

لَا يوْمَ كِيُومَكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

# رسالَةُ الْقُلُوبِ

إِسْلَامِيَّةُ ثَقَافَيَّةٌ شَامِلَةٌ

٥

السنة الثانية - العدد الخامس - محرم ١٤٢٧ هـ - فبراير ٢٠٠٦ م

أَنْجَانِ الْقُلُوبِ

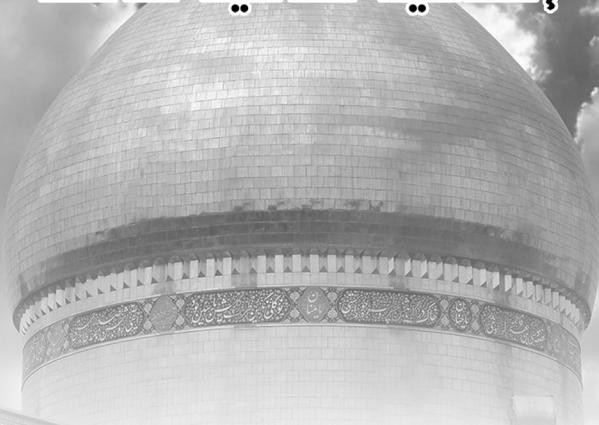


- حوار مع سماحة العلامة الشيخ عيسى احمد قاسم (دام عزه)
- أحكام التربة الحسينية
- التطور والإبداع بين السلب والايجاب
- الحكمة العاطفية في مدرسة آل البيت (عليهم السلام)
- أجمل زينة للمرأة العفيفة
- في ذكرى الشهادة

Resalat Alqalam

# رسالة القمر

## إسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن  
طلاب البحرين في الحوزة العلمية  
بمدينة قم المقدسة

برعاية  
مكتب البيان للمراجعات الدينية



- المشرف العام والمدير المسؤول:  
عبد الله علي الدقاقي
- رئيس التحرير:  
علي أحمد الكريابادي
- مدير التحرير:  
علي أحمد الجفيري
- هيئة التحرير:  
فاضل عبد الجليل الزاكي  
جعفر عبد المهدى شهاب  
سعيد حسن المادم



٣	هيئات منا الذلة .....
<b>عاشوراء ملحمة الوعي الحسيني والغضاف الزينبي</b>	
٤	حوار مع سماحة العلامة الشيخ عيسى أحمد قاسم (دام عزه) حاوره: غازى عبد الحسن إبراهيم.....
<b>أحكام التربية الحسينية</b>	
٢٥	فاضل عبد الجليل الزاكى.....
<b>الإنسان والمسؤولية</b>	
٥٧	السيد مجید السيد حمزة العلوی .....
<b>التطور والإبداع بين السلب والإيجاب</b>	
٧٢	حسن عيسى مرزوق.....
<b>الحكمة العاطفية في مدرسة آل البيت(عليهم السلام)</b>	
٨٢	السيد عباس السيد جعفر شبر.....
<b>أجمل زينة للمرأة العفيفة</b>	
٩١	حسين فؤاد المرزوقي.....
١٣٥	ثقافة البكاء / عزيز حسن الخضران.....
<b>حسابات النصر بين الإمام الحسين (ع) و الخواص</b>	
١٤٥	السيد حسن السيد أحمد الغريفي.....
<b>إطلالة على فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر</b>	
١٥٣	جاسم بدر المطوع.....
١٦٣	ثورة الحسين الخالدة رد لمقولة: (الحسين خرج عن حده فيقتل بسييف جده).....
<b>الحقائق الأربع</b>	
١٦٩	علي أحمد عبد الوهاب الجفيري.....
<b>رد الأباطيل عن نهضة الإمام الحسين (ع)</b>	
١٨٤	محمد حسن الكرانى.....
<b>في ذكرى الشهادة</b>	
١٩٠	علي أحمد الكربابادي .....
<b>صارع عشاق</b>	
١٩٣	علي عبد الحسين البنى.....

## فَهِيَاتٌ مِّنَ الظُّلْمَةِ

الحسين صرخة أصمت آذان اليزيديين على مدى التاريخ، وسوف يبقى صداتها يتربّد ويزلزل عرش كلّ يزيد، ومهما حاول اليزيديوناليوم أن يحاصرّوا الحسينين، فهم والله أبناء عاشوراء، ومهما حاولوا أن يجوعوهم، فهم والله أبناء شهر رمضان.

فكـد كـيدك يا يـزيد، فـوهـج زـينـبـ في عـفـافـ نـسـائـنـاـ لـنـ يـنـطـفـئـ، وـفـداءـ العـبـاسـ في قـبـضـاتـنـاـ يـتـوـقـدـ، وـصـرـخـاتـ الرـضـيـعـ في حـنـاجـرـنـاـ تـدـوـيـ، وـدـمـ الحـسـينـ في عـرـوـقـنـاـ يـجـريـ، وـحـرـارـةـ ثـأـرـهـ في قـلـوبـنـاـ لـنـ تـبـرـدـ، فـهـوـ ثـأـرـ اللهـ عـزـ وجـلـ، فـهـيـاتـ مـنـ الـذـلـةـ.

رئيس التحرير

## عاليشون

### ملحمة الوعي الحسينية والهفاف الزييني

حوار مع سماحة العلامة الشيخ عيسى أحمد قاسم (دام عزه)

حاوره: غازي عبد الحسن إبراهيم

في زمن تموت فيه الكلمة، وتتدفن في مقبرة النفاق، تتجلّى كلمة الحق التي لا تخشى في الله لومة لائم، فتتصاغر حينها كل الكلمات المجانبة للحق والحقيقة. إن كلمة الحق إذا تلجلجت على أطراف اللسان، فحبسها صاحبها في غير رضا الله تعالى، لم يبق له إيمان. هكذا هي كلمة الحق، وهكذا هم رجالاتها، رحمة من الرحمن على المستضعفين، وغضب من الجبار على المستكبرين. وكم هو جميل أن يقف المرء بكله مع معسكر الحق ورجالاته، وها نحن مع واحد من رجالات الحق، وبين يديه..

### المراسيم الحسينية بين الماضي والحاضر والمستقبل

● الملحمة الحسينية، ملحمة قديمة متتجدة ضاربة الجذور، تتّنوع الأساليب في التعاطي معها بما ينسجم مع محتواها المقدّس، عاشها أبناء الماضي ويعيشها أبناء الحاضر، وسوف يعيشها بإذن الله أبناء المستقبل، سماحة الشيط، جداله ونعيش معكم أجواء المراسيم العاشرائية قديماً، ولو من خلال الكلمات؟ بمعنى آخر.. كيف كانت المراسيم الحسينية في تلك الحقبة الزمنية الغابرة؟

■ كان الحس الرسالي، والولاء للدين ولأهل بيته العصمة والرسالة صلوات الله وسلامه عليهم، ولا زال بصورة لا تخفي وراء الاهتمام الكبير بالمراسم الحسينية التي تمثل إحياءً لأمر الدين وشعائره المقدسة وإن كانت الشوائب قد تعرض بعض الممارسات هنا وهناك بدرجات مختلفة، الشيء الذي يلزم تجربة الإنسان الضعيف على الأرض، ويحرمه من عطاءات جمة لروح الإخلاص والعبادة.

والأسلوب المبكر جداً للإحياء قد تمثل في إقامة المأتم الحسيني، ثم انضم إليه تسخير المواكب والعرض المسرحي الشعبي العام في الشوارع والساحات المكشوفة وهو ما كانت تغنى من الفاصلة الزمنية التي أشرتم إليها.

ودخل المأتم الحسيني العرض التاريخي لأحداث الطف، وما ثر أهل البيت عليه السلام، وذكر أمجادهم وبطولاتهم وتضحياتهم، ومساوئ الظلم التي ووجهوا بها ودخل الذكرى في مآتها قدر وآخر من الثقافة الإسلامية بصورة عامة.

وذهب الموكب العزائي يركز في الأكثر على التعبير عن المأساة، ولا يغفل البطولة والفداء واستشارة همة الإيمان، وحسن التضحية، ويلتفت إلى معاناة الواقع ومستوى تحدياته، ويعيش بدرجة وأخرى هم الحاضر، وينتبه إلى بُعد المستقبل. ولابد أن تختلف الرؤية سعة وضيقاً، والوعي عميقاً وتسطحاً، والمهم ومعاناة شدة وضعفاً، والطرح قدرة وكفاءة باختلاف التطورات العارضة على العقلية، والنفسية، والإرادة، والخبرة وحسب مدى التجربة التي تخوضها المجتمعات والجماعات في مراحلها المتلاحقة.

وبفرض التفاوت، الثقافات المتعددة، والمشاكل المعاشرة لكل جيل، ونوع التحديات حيث يكون لذلك كله انعكاسه الخاص على مستوى الطرح في مضمونه، ومستوى أدائه، وأسلوب إخراجه، وتوجهات الاهتمام ونوع الإثارة، والقدرة على استشفاف الرؤى والدروس، والتتوفر على نوع العطاءات وكثيراً ما تزخر من ثورة كربلاء والمخزون الهائل لتجربة أهل البيت علیهم السلام على الأرض والمهيئة لتمويل مسيرة كل الأجيال بالصالح المفيد للبناء.

وكان لعرض الجانب المأساوي لواقع الطف المترتب على استشهاد أبي عبدالله السجلي من هجمة علوج أمية على خيام بني الرسالة وترويعهن وعملية السبي والأسر والتسخير إلى الكوفة والشام على مستوى التمثيل الحي في الشوارع والساحات حضوره المؤثر في تعزيز الشعور بالمؤسسة وتغلغل روح الإنكار والاستبعاد لفظاظة الحكم الأموي وجاهلية ممارساته الواقحة.

وتحفز الإرادة الإيمانية، والاتسام بالجدية الصارمة، والاتساح بروح المؤسسة، وتنبه روح الفداء والعطاء للدين، ووضوح طابع العبادية والإيمان بالملائكة، وتأرجح العشق الحار لأهل البيت علیهم السلام، والانصهار بالأجواء الكرباء، والرحلة القلبية إلى أيام الحسين السجلي وأرض معركته الباسلة، ومصرع استشهاده الكريم، أمور كلها كانت تلون كل الممارسة وأجواءها وتحكمها، وتملاً كل الروايا والجنبات وتفرض نفسها عليها، وتنفذ إلى الأعمق بقوة، وتغذي الروح، وتصوغ الشخصية، وتشحن الإرادة، وتكافح عوامل الاهتزاء والجهل والاستكناة وتنتصر عليها.

• ما هي قراءاتكم للمراسم الحسينية في موسم عاشوراء في الوقت الحاضر بمختلف أساليبها؟

■ تقدم نوعي في المضامين المطروحة، وأسلوبها الأدائي، ويأتي ذلك نتيجة حتمية لتقدير المستوى الثقافي، وتراتبات التجربة.

ولكن ربما لوحظ على أجواءنا الحاضرة في مناسباتنا الكريمة تأثراً في التفاعل الروحي المطلوب، والقدرة على معايشة الحدث بما يتطلبه من انصهار في أخلاقيته وأهدافه ورؤاه ومشاعره وآفاقه، والاسترداد منه بما يتناسب مع قدرته على العطاء والإثراء الضخم المتواصل.

ولك أن تقول إن تقدم الآليات، والتطور الحاصل في طرق الأداء، وحتى نوع الطرح سعة وعمقا لا تواكب حركة روحية موازية، وتفاعل في الأعمق بالمستوى المطلوب والمناسب لحجم ذلك التقدم والتطور.

ويقلل من أهمية التقدم الذي أحرزته التجربة في المضمون والأداء، ويجعل في الكثير بينه وبين تحقيق أهدافه في التربية الناجحة ما تعكس به الأجواء المضادة والممارسات المعاشرة (العادية)، والسلبيات المصاحبة التي تقترب بتأثيرها السيء أجواء المناسبة، وتتدخل بدرجة وأخرى في أداء هذا الخطيب أو ذاك الرادود وذلك المعزي، وتتحول بالقلوب المشاعر والاهتمامات من خطها الرسالي إلى خط آخر، وتجعل العملية – ولو أحياناً – عملية استعراض أكثر منها عملية تربية هادفة منسجمة مع المدرسة الإيمانية الرسالية الكبرى لكرباء الحسين عليه السلام، وتوجهات قيادتها المعصومة، والصفوة المؤمنة التي استرخصت أرواحها الطاهرة على طريق الله العظيم بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

● ماذا يراد من المراسم الحسينية في موسم عاشوراء ؟ المأتم الحسيني على مستوى الخطيب المستمع، والموكب الحسيني على مستوى الرادود

## والمعزي، إضافة إلى بقية الفعاليات ؟

■ موسم عاشوراء وما يضمّه من فاعليات وأنشطة، وما يشارك في ذلك من عناصر متعددة له أهدافه التي تلتقي على خط واحد من أهداف ثورة الحسين عليه السلام، وتصب في صالحها، وتشترك في تحقيقها. وليس شيء من ذلك إلا ويتحذّق قيمته ومدى نجاحه من التقاءه بتلك الأهداف، ودوره في تحقيقها.

وعملية الإصلاح والتغيير النافع الشامل الناهض بمستوى الإنسان في هدّاه وإيمانه، وزكاة نفسه، وسلامة ضميره، ونقاء وجوداته، وصحة إرادته، وسمو قصده، واستقامة حياته، والناهض كذلك بأوضاعه السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والأمنية وبكل أوضاع وجوده، وقبل ذلك تعيد الإنسان فرده ومجتمعه لربه الذي لا يتم خيره إلا به، ولا يهتدي سبيلاً إلى رقّيه إلا عن طريقه، هو الهدف الكبير الذي انصبت جهود الأنبياء والمرسلين والأوصياء والأولياء والمصلحين على تحقيقه، وانتظمت كلها متناسقة متضامنة من أجله.

محرم من أجل أن يقترب فكرنا من فكر أهل البيت عليهم السلام، ورؤيتنا من رؤيتهم، وهدفنا من هدفهم، وطموحنا من طموحهم، وإرادتنا من إرادتهم، ورضانا من رضاهم، وغضبنا من غضبهم، وسرورنا من سرورهم، وحزننا من حزنهم، وشخصيتنا من شخصيتهم، وحياتنا بكل ما فيها من حياتهم، وفي ذلك تقدم على الطريق المرضي لله العلي العظيم.

وإن تقدم الأساليب، وتتطور الآليات، والتفنن في الطرح والإخراج لا شيء، وجهد بلا طائل إذا لم يحقق لنا ذلك النوع من الاقتراب، وقد يكون مأساة ومصيبة فادحة، وذلك أن يساعد على السقوط، ويكون عوناً على الإنحراف. وعلى المستوى الخارجي يمكن القول بأن التقدم المذكور صار ينفع من جهة،

ويضر من أخرى، ويتحول هدفا في نفسه في بعض الفروض، وذلك واضح من ملاحظة الآثار في الساحة.

إنه ليراد للمراسم الحسينية أن تطرد حركتها الصاعدة من حيث المضمون والأداء على الخط الشرعي المنضبط، وأن تتجه بحركة الفرد داخله وخارجها، وحركة المجتمع في مختلف الصعد إلى الله سبحانه خلصة له، مهتدية بهداه، غير مفارقة لأحكامه، متأدبة بأدب دينه، مستندة بسنة نبيه والأئمة المعصومين من آله. وهذه مسؤوليتنا جمعاً، وكل الطاقات الصالحة، وكل الفئات الوعائية، وكل الشرائح الهدافة الرشيدة تحمل قسطها المناسب من تحمل هذه المسؤولية. والقيام بعبء هذا الهم.

والصورة القائمة فيها كثير من القصور والتقصير والارتباك والتذبذب والميل والتسبيب فلابد من إصلاح.

● هل بإمكانكم أن تتفضلو وتقترحوا نمطاً معيناً من حيث الأساليب المساهمة في إحياء ذكرى عاشوراء الحسين عليه السلام، إضافة لما هو موجود؟

■ العقلية الجديدة التي تتمتع بالإبداع قادرة إن شاء الله على العطاء في هذا المجال، ويرتقب لها أن تتفق عن جديد جيد مفيد يلتقي مع الرسالية والأصلالة، ويتأثر بطار الحكم الشرعي. ويساعده على ذلك حركة الأساليب المنطلقة في عالم اليوم بسرعة هائلة في كل الساحات في مجالات التوصيل وفي الخطاب باللوانة المتعددة.

ولا يمكن لي أن أدعى القدرة على تقديم الجديد في هذا المضمار، وإذا ذكرت شيئاً فمن باب التنبيه إلى أهمية بعض ما هو موجود على نطاق غير واسع

أو بدون تخطيط كافٍ، وتحفيزاً للقادرين على الإبداع والعطاء الجديد في هذا الحقل.

١) بطاقات للتوزيع اليدوي تزينها كلمات مختارة ومصممة تصميم رسالياً واعياً مراعياً مقتضيات الزمان والمكان يفوق في روعته ورقمه تصميمها الفني الأخاذ، وملفتاً إلى الحاجات التربوية القائمة، والفراغات الفكرية والنفسية المعاشرة.

٢) كلمات من الوزن المعنوي نفسه، اختصارها لا يصل إلى اختصار سابقتها تلقي صوتها بفنية وكفاءة بين الحين والأخر لتركيز مفاهيم محددة وقيم مقصودة تغذي الواقع الرسالي، وتعالج بعض الملابسات.

٣) المطوبات التي ترکز على موضوع واحد، أو مفهوم واحد، أو شخصية معينة، أو موقف خاص مربٍّ بما تغنى به كربلاء.

٤) المقابلات الإذاعية والتلفزيونية المختارة والواقعة تحت السيطرة التامة والتوجيه والتحكم، وكذلك الندوات المعد لها إعداداً جيداً بحيث لا يؤثر شيء من ذلك على الحشد الجماهيري الهائل في تواجداته الحسينية في مجالس التعزية والموكب، ولا يفصل النخبة عن الجمهور، ولا يحول الإحياء إلى مسألة نظرية ترفية.

وفي العشرة يتوقع للإذاعات والتلفزيونات المملوكة لحرام أن تنشط في التحسيد لإحياء المناسبة وترشيد أساليب الإحياء، وتهذيب الممارسة وتوجيهها، وأن ترکز على لفتات مهمة من المحتوى الضخم للمناسبة، وإنارات كاشفة، ودورات سريعة مربية، وتدفع للبذل السخي للمال والوقت والجهد المتنوع لخدمة الإسلام العظيم، والأنشطة المرتبطة بالإحياء لذكرى الإمام الشهيد، وتشارك في

خلق أجواء العزاء، وإبراز مشاعر الأسى والحزن لمصارع الكرام في هاجرة الطف الشاهدة على هدى فتة وضلال أخرى.

وإنه لهم أن تغذى الإذاعة والتلفزيون روح المشاركة في الحسينية والموكب، وضار أن تستقطب جماهيرهما ليذهب المظهر الجماعي المؤثر لعملية الإحياء وتحول إلى متابعت فردية باردة وسلبية قابعة في البيوت والزوايا المنكفة. وبصدق الحديث عن ضمانة لاستمرارية تطور الأساليب وتقدمها وانضباطها كذلك على خط الحكم الشرعي، وضمان جدواه أكبر لها وتناسبها مع المكان والزمان ينبغي التنبيه على لزوم اعتماد لجان للإعداد والتحضير الكافي لكل موسم مستجد.

بذلك نضمن حركة الأسلوب المستمرة، والمراجعة الدائمة لمستوى عملية الإحياء، وانضباط مسار التجدد في الصيغ وحمايته من التأثيرات السلبية للرغبة العارمة في التجديد مما قد يحرف بعملية الإحياء عن خطها الشرعي الثابت.

### الوحدة الإسلامية وموسم عاشوراء

● هناك من يدعي بأن إحياء موسم عاشوراء يكرس الطائفية في المجتمع الإسلامي، كيف تتظرون إلى هذه الدعوى؟

■ واقع الثورة الحسينية المباركة كان حرباً على من استهدفوها تزييق الأمة وتفتيت وحدتها، والتقوّي بفرقتها للسيطرة الظالمه عليها، وإحياء ذكرى الحسين عليه السلام وهو ينطلق من أهداف ثورته الرسالية المخلصة مجافٍ بطبعاته وتوجهه وأخلاقيته لاستهداف الفرقه بين صفوف الأمة.

وما كانت ثورة كربلاء إلا ضد المنكر والفسق والظلم والطغيان والتخلي عن

قيم الرسالة، وهي بذلك إسلامية عامة شيعية و逊ية، وينبغي أن يتوحد وراء لوانها لواء الحق والعدل لجميع المسلمين، وأي تحسس منها ومن إحيائها لابد أن يتسم بالغرابة، كما أن أي توظيف طائفي لها يعادي بين المسلمين، وينال من وحدتهم، وينسى حقوقهم، غريب كل الغرابة ولا يلتقي مع خط كربلاء وأهدافها الرسالية الواضحة.

فليس شيعيا ولا سنيا أن يتحسس من إحياء ذكرى الشهادة الكريمة لسبط الرسول ﷺ، و ليس شيعيا ولا سنيا أن يستهدف من إحياء هذه الذكرى المؤلمة المشرفة الملهمة القائدة ما يتنافى ووحدة المسلمين.

ولا أرى مسلما واعيا يقف مع يزيد في خندق واحد مقابل الحسين ﷺ، وأن يساوي بين رجل الهوى ورجل المقدسات.

وأي مسلم يرى من يزيد مصداقاً مقبولاً للحاكم في الإسلام؟! وأي مسلم يشكك في كون الحسين ﷺ مصداقاً حقيقياً للحاكم الذي ارتضاه الله؟!

ومن يتمنى للMuslimين اليوم أن يسودهم حكم يزيد، ويسوؤه أن يحكم فيهم الحسين ﷺ؟! وهل أشدق من أبي عبد الله على الأمة، وأضمن لوحدها، وأكثر إدراكاً لإسلامها، وأشد أمانة على دين الله ومصلحة الأمة والإنسان؟!

#### ● **كيف تساهم قضية الإمام الحسين ﷺ في تحقيق الوحدة الإسلامية؟**

■ قضية الإمام الحسين ﷺ كانت من أجل الله الواحد الأحد الذي تؤمن به الأمة، ومن أجل الإسلام الجامع بين الناس على التقوى، ومن أجل وحدة الأمة وسد أبواب الفتنة والفرقة بينها، ومن أجل عزتها وكرامتها، وفي مواجهة واقع الذل والهوان الذي كان يريد يزيد أن يفرضه عليها.

وينبغي لإحيائها أن يلتزم أهدافها وخطها، ولا يعدل عنه أبداً مجتنباً ما قد يتواهم أنه لأمر آخر، ملتزماً بأمانة الحق غير مائل عنه، وصدق الكلمة غير خارج عليه، وصفاء الإخلاص للإسلام غير متساهم فيه، والوفاء للأهل بيت الرسالة غير جائز عنه، محسناً الاختيار فيما يطرح، ويحمله خطابه لآخرين.

كما ينبغي أن لا يستاء مسلم من ذكر أهل بيت الرسالة بما هم أهله، والتحدث عن مكانتهم الرفيعة ومنزلتهم الشاغلة التي بوأهم الله إليها، وميزهم بها خالص عبوديّتهم له، وصدق تفانيهم في سبيله.

ومن طرح يستهدف الوحدة لا الفرقة، ويحاول في حق لم شمل الأمة، ومن التفات إلى شأن أهل البيت عليهم السلام، وحقهم على الأمة، وتضحياتهم الماهية للإسلام، وتركيز القرآن الكريم والسنة المطهرة على منزلتهم الكريمة ربطاً للأمة بهم فكراً وشعوراً وعملاً يستطيع إحياء عاشوراء والذكريات الأخرى للأئمة عليهم السلام أن تسهم إسهاماً كبيراً في تلاحم صفوف الأمة، وبناء وحدتها، والخروج بها من حالة الشتات والتمزق، والنزاع والاحتراب.

ولست تجد في أي كلمة من كلمات أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولا موقف من موافقه، ولا كلمات وموافق أصحابه ما يصح أن يكون مادة خلاف بين طلاب الحق وعاشقين الحقيقة، أو سبب فرقه بين المسلمين إذا كانوا لا يصدرون فيما يحبون ويكرهون، ويأخذون ويدعون إلا عن الإسلام وهو الحق المبين.

فلنحسن التحدث عن الحسين وقضية الحسين عليه السلام، ولنأخذ من حكمة الحسين وخلق الحسين عليه السلام، ولنتعلم من سعة رؤية الحسين، ونرتفع إلى الأفق العالي الذي يعيشه الحسين عليه السلام، ولنسن لهم من شفقة الحسين على الأمة وحرصه

على وحدتها، ثم لنقبل ما ثبت عن الحسين<sup>العليّ</sup>، وما دعا إليه، وعندها لنختلف على إحياء ذكرى شهادته العطرة، وسيقودنا هذا الإحياء في اتجاه وحدتنا وعزتنا وكرامتنا، وفي اتجاه عودة حقيقة للإسلام العظيم.

## تساؤلات من الواقع

● **تعدد المآتم والماكب في المنطقة الواحدة، من وجهة نظركم، مسألة إيجابية أم سلبية؟**

■ لا إفراط ولا تفريط ففي كل منها ضرر وخسارة، إذا كان التعدد ما تقتضيه تغطية حاجة المنطقة لاتساع دائرة المكان، والكثافة البشرية، وكان خاضعا للتنسيق عند الحاجة، ولا يسبب إرباكات مخلة، ولا يدخل في التنافس على الدنيا، ولا يبدد الإمكانيات من مختلف أنواعها بما يفقدها أثراها النافع مجتمعة ويقلل من المردود البناء لعملية الإحياء وعطاءاتها الكريمة، فهو أمر مقبول، ونافع، ولابد منه في بعض الفروض. ومن فوائده توفير فرص المشاركة النبوية والجماهيرية المستوعبة التي تحرك كل الطاقات، وتستفيد من الإمكانيات كلها، وتدفع الجميع على طريق الإحياء المناسبة، تربية لكل المستويات بالانصهار في أجواء الذكرى، ومن خلال البناء والعطاء المألف.

● **كيف تتظرون إلى مسألة جلب الخطباء والرواديد من خارج البحرين؟**

■ مسألة التبليغ لا تخضع للحدود الجغرافية. وهناك ظروف موضوعية وملابسات خاصة منها ما يرتبط بالقضية المعاشرة، ومنها عدم افتتاح الفرص لتبادل ساحتنا الإيانية للخطباء والبلغاء ما قد يفرض لونا من التنسيق والموازنة، ومنها أن يتقطع الداخل التبليغي لساحة ما تماماً بسبب تدفق التبليغ

من الخارج، وفي هذا تخلف كبير لهذه الساحة في حركتها الثقافية والتبليغية وركود خطير في المستوى، ومنها أن تنغلق ساحتنا كل واحدة على نفسها، وتسد الأبواب أمام أي تبليغ من الخارج، وفي هذا شذوذ عن الحالة الإسلامية وقطيعة بين إخوة الإيمان.

ويكفي أن تتم الموازنة بصورة تلقائية وذلك من خلال افتتاح المآتم في أي قطر على خصوص الكفاءات المتميزة من خارج الحد الجغرافي والتي يمكن لها الإسهام في تنوع الطرح وإثراء التجربة، وليس أن تستقبل كفاءات أقل مستوى من أحد أقطارنا لتعطل كفاءات أجدر في القطر المستضيف.

أما طلب التدخل الرسمي في هذا المجال، ومحاربة الخطابة من خارج الحد الجغرافي، وإقامة الفوائل الحديدة بين جماعات المؤمنين وصفوفهم فما لا يمكن المساعدة عليه.

### ● ما هو تقييمكم للخطيب والرادود المحليين؟

■ لا يقاس الحاضر بالماضي في كثير من الأمثلة، وعملية التطوير لا تقف عند حد، والكثير من الخطباء محتاجون إلى جدية أكبر وإلى كفاءات طبيعية متميزة مما قد يكون البعض غير متتوفر عليها.

والساحة محتاجة إلى مشاريع تعليم وتربيه لإعداد خطيب الحاضر والمستقبل ومنشد الموكب الحسيني إعداداً يرتفع بهما إلى مستوى قضية كربلاء والإسلام عموماً هدفاً عالياً، وقصدأً ظاهراً، وشعوراً كريماً، علمأً جماً نافعاً، وخلقأ سامياً، ورشداً كثيراً، وأسلوباً ناجحاً.

إنه يراد للجميع أن يستلهموا أهداف الحسين<sup>عليه السلام</sup>، ورسالته، وقواته وورعه،

وإيشاره وتضحيته، وأن يرتفعوا إلى آفاقه الإيمانية الوعية الرحبة الرفيعة، وأن تواقع عقولهم ونفوسهم، أبعد ثورته، الثرة المعطاءة المباركة.

وإذا كان تطوير الأداء، والتقدم بأسلوب الإخراج مطلوباً لكل من الخطيب والمادح فإنما يطلب ذلك من أجل إيصال المضمون الصحيح النافع، لأن المضمون حيث يكون صحيحاً نافعاً مربياً هو المطلوب بالذات، والمنظور إليه في نفسه، وهو الغاية، وفيه القيمة النهاية لعملية الإحياء كلها.

ومن هنا لا يقبل خطيب أو مادح أن تنتهي به العناية بوظيفة الصوت إلى تضييع المضمون وتغييه، أو الخروج به عن أهدافه وتشويهها، واغتيال قدسيته في ميوعة النغم، واستفزازية اللحن لشاعر المبوط.

أهداف ثورة الحسين عليه السلام وأخلاقيتها وآفاقها الرسالية إنما تتطلب إيماناً ووعياً، ومعرفة وعلماً، ورجولة وجدية، وعزيمة قوية، واستقامة سلوك، وعفة، وعواطف كريمة، ووجدانيات طاهرة راقية. ولا قيمة لمضمون ولا أداء لا يأخذان بهذا التوجه.

● هل ترجحون طرح الملفات السياسية المحلية، وبعض القضايا الإسلامية، في الموكب والائم؟ كالملف الدستوري محلياً، ومحنة الشعب العراقي كقضية إسلامية؟

■ ثورة كربلاء لله، للإسلام، للإنسان، لقضايا الدين والدنيا كما هو الإسلام تماماً. والإسلام وكرباء لا يغرقان في الدنيا، ولا يهملانها، وينظران للدنيا، ولا يقفان بنظرتهما عندها. المنظور لهم صلاح الإنسان، ورقبه وكماله، وفلاحه. ولا يرقى الإنسان ويكمل وهو أسير الأوضاع المنحرفة، وقليل جداً من لا تحاصر الظروف المنحرفة رحلته إلى الله.

والمنظور الكبير لـهـما الآخرة، وفساد الدنيا كثيـراً ما يفسـد على الإنسان آخرـته، وثورة كربلاء - وهي دينـية بكل صـدق وتأكـيد - كانـ ما فـجرها الفـساد السياسي والأمنـي والاقتصادـي الذي خـيف منه على سـلامـة الدين وإنـسانـية الإنسانـ، وكانـ ما استـهدـفـته الثـورة المـبارـكة بـوضـوح تـصـحـيـحـ تلكـ الأـوضـاعـ، ورـدـ الأـمـةـ إـلـىـ المسـارـ الصـحـيـحـ.

فـإـصلاحـ الأـوضـاعـ الحـيـاتـيـةـ بـجـمـعـ الإـنـسـانـ وـفـرـدـهـ وـاقـعـ لاـ مـحـالـةـ فيـ دائـرـةـ الـاـهـتـمـامـ الكـبـيرـ لـحـرـكـةـ الإـمامـ الشـهـيدـ، وإنـ كانـ المنـظـورـ الأولـ لهاـ أـنـ يـسـتـقـيمـ الإـنـسـانـ وـيـكـونـ عـلـىـ طـرـيقـ النـمـوـ الطـبـيـعـيـ لـإـنـسـانـيـتـهـ وـكـمـالـهـ، وـأـنـ تـصلـحـ آخـرـتـهـ الـذـيـ هوـ أـهـمـ منـ صـلاـحـ دـنـيـاهـ.

وـمـاـ وـقـعـ فيـ دائـرـةـ الـاـهـتـمـامـ لـثـورـةـ كـرـبـلـاءـ يـقـعـ فيـ دائـرـةـ الـاـهـتـمـامـ لـإـحـيـائـهـ معـ كـوـنـ المنـظـورـ الأولـ هـنـاكـ هوـ المنـظـورـ الأولـ هـنـاـ، فـلـابـدـ لـلـإـحـيـاءـ منـ التـفـاتـهـ لـلـأـوضـاعـ الـحـيـاتـيـةـ الـحـاضـرـةـ وـاسـتـهـدـافـ إـصـلـاحـهـاـ منـ إـنـشـدـادـهـ إـلـىـ الـهـدـفـ الرـئـيـسـ، إـصرـارـهـ عـلـىـ التـزـامـ خـطـىـ الـإـسـلـامـ، وـأـخـذـهـ بـوعـيـ كـرـبـلـاءـ، وـأـخـلـاقـيـتـهـ وـإـخـلـاصـهـ، وـشـفـقـتـهـ عـلـىـ الـأـمـةـ، وـحـرـصـهـ عـلـىـ وـحدـتـهـ، وـتـقـدـيرـهـ الدـقـيقـ لـأـمـورـ التـزـاحـمـ وـالـأـوـلـويـةـ، وـتـقـيـيمـ الـظـرـوفـ، وـمـعـالـجـةـ الشـأـنـ بـالـحـكـمـةـ حـتـىـ فيـ أـشـدـ المـضـائقـ مـعـ الـاستـعـدـادـ الـكـامـلـ لـلـبـذـلـ وـالـعـطـاءـ وـالـإـيـثـارـ وـالـتـضـحـيـةـ وـالـفـداءـ، الشـيـءـ الـذـيـ لـاـ يـعـنيـ التـعـديـ وـالـظـلـمـ وـالـطـيـشـ وـالـتـهـورـ.

واختـيـارـ الشـعـارـاتـ فيـ كـلـ الـأـزـمـانـ وـالـأـمـاـكـنـ وـتـوـقـيـتـهـ وـإـخـرـاجـهـ يـحـتـاجـ إـلـىـ نـبـاهـةـ مـوـضـوعـيـةـ، وـإـدـراكـ سـيـاسـيـ، وـتـقـدـيرـ دـقـيقـ منـ نـظـرـ ثـاقـبـ. وـلـاـ يـكـفـيـ لـأـنـ تـقـولـ مـاـ تـقـولـ أـنـ مـاـ تـرـيدـ قـوـلـهـ حـقـ، بلـ عـلـيـنـاـ مـعـ ذـلـكـ أـنـ نـتـعـرـفـ مـدـىـ خـدـمـتـهـ

للحق أو إضراره به، وأن نتعرّف كيف نقول ما فيه خدمة الحق ليخدمه بالفعل.

## ● هل ترجحون حضور العلماء وطلاب العلوم الدينية في المأتم والموكب؟

■ العلماء وطلاب العلوم الدينية شريحة من شرائح المجتمع الإسلامي المسؤول بكماله عن الحفاظ على الإسلام، وتعزيز موقعه في الناس وأخذهم به عن رضى وإعجاب. ومن شرف أي فئة وأي فرد أن يوفق لخدمة الإسلام والتمكين له في النفوس والعقول والأفئدة والأرواح والسلوك، وأن تكون حياته حياة الإسلام وانتشاره. وقد تتفاوت الممارسات التي تسهم في خدمة الإسلام بتفاوت الفئات والأفراد موقعاً وطاقة وخبرة وكفاءة. ولكلٍ دور قد يكون أكثر تناسباً مع قدرته على العطاء في هذا الموضع أو ذاك.

وحضور العلماء وطلاب العلوم الدينية مجالس التعزية لأهل البيت عليهم السلام ومواكب ذكرياتهم الإمامية العبرة إلى جنب ما يمثله من دور المشاركة يؤدي دوراً في مقام القدوة الحسنة على أن تلتزم ممارسة الموكب مقتضيات الحكم الشرعي وأدب الرسالة.

وقد تقتضي الضرورة أحياناً من العالم أو طالب العلم حضور الحسينية والموكب، وعليه أن يتحمل مسؤوليته بأمانة، وقد تقتضيه اشتغالاته الأخرى في صالح الإسلام عن التواجد المكثف أحياناً أخرى. وهناك أبطال في المجتمع لهذا الميدان قد لا يكون بينهم عالم، أو طالب علم. وحسابات المصلحة الإسلامية، والملابسات الخارجية مقتضاتها وحكمها في الموضوع.

## ● كيف لنا أن نطرح قضية الإمام الحسين عليه السلام للأخر - المذهبي والديني -؟

■ علينا أن نطرح قضية الإمام الحسين<sup>العليّ</sup> وثورته المباركة كما هي في صورتها الأصلية المشعة منطلقاً وهدفاً ومضموناً ومنهجاً وأخلاقية وشعاراً، بلا إضافات عنديه من وحي الأنما والظرف الضيق والمعاناة الخانقة مما تضغط به على الفكرة والشعور والكلمة والحركة بعيداً عن المديات الممتدة والأفاق الشاسعة الرفيعة للثورة فنسب لأننا نُسب، ونَشِّتم لأننا نُشتَّم، ونظلم لأننا نُظَلَّم. فكثيراً ما تشوّه هذه العندية الصورة الإسلامية الشفافة لثورة كربلاء وتحطّل الأئمة المعصومين<sup>عليهم السلام</sup>، وتسيء إلى كرامته، وتكرر صفاءه، وتهبط به عن مستوى، وتقزم حجمه، وتغتال روعته، وتطرد عنه الناس وإن كانوا من الباحثين عن الحقيقة.

مذهبياً من الظلم الفاحش أن توضع ثورة الإمام الحسين<sup>العليّ</sup>، في قفص بعنوان أنها مذهبية أي لا تمثل إلا اتجاهًا خاصاً في الإسلام من بين اتجاهات متعددة له تقف على صعيد واحد، وينظر إليها بقيمة واحدة إن لم يكن هذا الاتجاه أقل قيمة أو بدون قيمة إسلامية على الإطلاق.

إنه ظلم فاحش لأن المسلمين ليس لأحد منهم أن يحتمل إسلاماً آخر يرضاه الله، ولا يفهمه الحسين<sup>العليّ</sup>، أو يفهمه ولا يأخذ به، والحسين من أهل آية التطهير، وأية المباهلة، وأية المودة، وحديث الثقلين، وهو أحد سيدي شباب أهل الجنة وسفينة النجاة ومصباح المدى، والحسين هو الحسين الإمام القدوة في كتاب الله، وسنة رسوله<sup>صلوات الله عليه وآله وسليمه</sup>، والحسين<sup>العليّ</sup> أجمل من أن يتهم في دينه فهماً وعلماً وقوى وورعاً وعملاً.

نعم لا يلتقي كل المسلمين مع التشيع في كل أفكاره وأحكامه<sup>(١)</sup>، ولكن لا يسهل على مسلم أن يكون الحسينالعليّ في خندق، ويختار خندقاً آخر يعادى الحسين. ولقد كان للحسينالعليّ يوم كربلاء خندق، وليزيد خندق آخر، وكان الإمام جبهة، ويزيد جبهة أخرى استباحت من سبط رسول الله دمه الشريف، ونفسه الطارهة، وأسر حريه ويتاماه.

ومن الصعب أن يتصور من مسلم واع أن يغضبه الانتصار للحسينالعليّ على يزيد، وأن يشاد بالحسين وحركته وتضحيته وإيثاره وفدائه وإخلاصه لله ولرسوله صلوات الله عليه وللمؤمنين، وأن يندد بيزيد وطاغوتيه وظلمه وعدوانيته واستهتاره. وإذا كانت الثورة الحسينية المباركة ثورة إيمان على جاهلية، وتقوى على فسق، وعدل على ظلم، وحرية على عبودية، ومعروف على منكر، وشرعية على طاغوتية، ومن أجل بقاء الدين، وصفائه وحاكميته، وإنقاذ الأمة وعزتها وكرامتها وسؤددها، وإصلاح دينها ودنياه، فالالتزام الخطاب في إحياء الذكرى بنفس ما التزمت به الثورة لا يتوقع فيه بحسب طبيعته أن يستفز أحداً من المسلمين أو يعاديه.

إن خطاباً هذا محتواه من غير شوائب من هنا وهناك فهو الخطاب الذي يفهمه المسلمون جميعاً ويقبلون عليه، ويتفاعلون معه، ويقبلونه.

ثم إن خطاب الثورة الحسينية الهدافية بما كان فيه من مواجهة للطاغوتية والدكتatorية، وشجب حاكم بلا مؤهلات، ورفض للاستغلال والاستعباد للأمة، ونهب لثرواتها، واستئثار بخيراتها، وتحدى حالة التكيل بأحرارها، وخنق الصوت

(١) وهو أمر خاضع للنقاش. (منه حفظه الله).

الحر فيها هو خطاب إنساني عام، وهو اللغة التي تتحدث بها كل شعوب العالم المضطهدة اليوم وهي تتطلع إلى مبدأ صادق أصيل يعترف لها حقاً بلغتها ويدفعها على هذا الطريق دفعاً لنيل حقوقها.

إن لغة كربلاء - وهي لغة إحياءها فيما ينبغي - لغة مختضنة عالمياً وهي تتحدث عن عالم بأسره، وتلامس جراحه، وتلتقي مع طموحاته وأمانيه التي تتلخص في تبدل الجور إنصافاً، والظلم عدلاً، والباطل حقاً، والخوف أمناً، وانسحاق الإنسان كرامة، وإنها الطموحات التي لا يتحققها إلا دين الإسلام، ولا تتم إلا بقيادة الحسين عليه السلام.

علينا في إحياء عاشوراء أن نجاري خطاب ثورة الحسين عليه السلام، ومؤشراته، وإضاءاته، ودلائله، ونأخذ بهدياته وأخلاقياته، ورشده، وحكمته، ودقيقه، ورساليته، ونظافته، وهادفيته، وأحكامه، وذكائه، ونزاهته، وعلميته، وفنيته، وخبرته، ودرايته.

وإذا فعلنا ولم نشوه خطاب الثورة فلن يعادي هذا الخطاب منصف من المسلمين ومن خارج الإسلام، وسيكون الخطاب القادر على التوحيد داخل الأمة، والاستقطاب من خارجها.

### الحالة الأخلاقية في موسم عاشوراء

#### ● كيف تقييمون الحالة الأخلاقية في موسم عاشوراء؟

- حالة تحتاج إلى معالجة جادة وحازمة، وهي تعمل باستمرار على تلويث الجو الروحاني للمناسبة بل تخلق أجواء مضادة دينية منافسة.  
أن يبقى الشكل وتخسر المضمون، بل أن يكون الشكل والممارسة في خدمة

أهداف مضادة. غباء أو تفريط كل منهما لا يليق بالمؤمنين، الكل يضج من الأجراء الفاسدة الموبوءة الشيطانية التي تقتاح نقاء المناسبة و تستولي على مساحات من سمائها للتتشبع بالسموم والجرائم الفتاكـة، والعملية أصبحت عملية مكشوفة في بعض المناطق وهي آخذة في الاتساع إن لم يوقف المد السيء. وأنتم تجدون أن الصوم باقٍ، والحجـ باقٍ، والأعياد باقية ولكن كل ذلك يتعرض إلى سياسة التمييع والخروج بالمواسم العبادية والشريفة عن خطها وتحويلها إلى مواسم نزهة أو ترف أو تبذل ومساحات زمنية صارخة بما يهدم الدين.

وهناك نابهون، وهناك غيارى، وهناك جادون ومخلصون لدين الله، وينبغي للجهود المؤمنة أن تجتمع منتظمة متكافئة مثابرة جاهدة من أجل حماية المواسم العبادية وشعائر الدين من استمرار العبث بها وتحويلها في صالح الكفر والفسق والميوعة والرذيلة آخذة (هذه الجهد) في سعيها الكريم بمقتضى الدين والحكمة وعزم وحزم وصلابة بعيداً عن حالات التهور والانفلات والعدوانية.

- كيف تظرون إلى مسألة تواجد النساء والفتيات للتفرج على المراكب الحسينية الرجالية؟

- قوام الموكب عنصر مشارك بفاعلية إيجابية تتناسب وطبيعة الموكب
- رسالته النابعة من رسالة الذكرى المختضنة له ... عنصر متأنب بأدب
- الحسين عليه، غني بالشعور بالمسؤولية، متسلح بوشاح السكينة واللوقار، ظاهر عليه التأثر بالمصاب الجلل، ودرك لدور المشاركة في شد العقول والأرواح والأفئدة لأجواء كربلاء وإشارتها وإيحاءاتها ودروسها وإلهاماتها المربية، ومشاعرها الملتهبة،

وعطاءاتها الإيمانية الثرة.

وتأتي من بعد ذلك مرتبة العنصر المتلقي المنفعل بالمحظى الكريم للذكرى، المتتفق بزادها الطيب والهنيء من فكر نير، وشعور زكي، ورسالية واعية، وحسن بالكرامة، ويقطنة في الضمير، ونصرة للحق، ومناهضة للباطل، ورؤى سديدة، وعواطف حميدة رشيدة.

أما العنصر المترفج الذي لا هم له إلا التفرج بلا قصد إفاده، ولا استفاده، فضلاً عن عناصر الإضرار فلا مكان له في الموكب فيما تقتضيه جدية الموكب ورساليته.

والنساء المتواجدات في الموكب وفي أجواءه لسن على حد واحد، فمن ثبت أن وجودها للإضرار فلابد من العمل على إقصائهما، ومن كانت تتخذ من الموكب فرصة للتفرج فأولى بها أن تبحث عن التفرج في أجواء أعدت لذلك وليس منها الموكب بمجديته ورساليته وهادفيته.

ويبقى أن تمازج الرجال والنساء في الموكب بمظهره المعاش غير المحتشم، البعيد عن التحرز والتوقى وغض البصر والباعث على الفتنة، وكذلك اصطفاف النساء في حالة استعراضية فاتنة مما يفسد أجواء الموكب، ويسقط فاعليته المربيّة، وينخرجه من وضعه الرسالي الهادي إلى وضع تخريبي مفسد محارب.

### ● كيف تعالج هذه المسألة ؟

■ لا ضرورة أصلاً تختتم تواجد العنصر النسوبي في أجواء الموكب الرجالي، ولا مصلحة في ذلك توازي المضار المحتملة خاصة في ظل الأوضاع القائمة، ثم لا انحصار لإحياء النساء المناسبة في هذا الأسلوب، ولو انحصر الأمر فيه وأدى إلى

هتك حرمة الموكب، والإضرار برسالته لتعيين الإستغناء عن مشاركتهن في الإحياء بهذا الأسلوب.

ويكن للنساء إذا أردن تسيير مواكب عزائية بأسلوب فيه حفاظ على الوقار والسكينة والالتزام بالخشمة في أجواء خاصة بهن لا تكون محل تفرج للرجال.

ختاما

## ● كلمة ختامية توجهونها للحسينيين والزيانيات في هذا الموسم العاشرائي؟

■ موسم انطلق من رحم ثورة الحسين<sup>عليه السلام</sup> ويراد له أن يكون امتداداً لخط الثورة المباركة لابد أن يكون حسينياً بحق، والحسين<sup>عليه السلام</sup> كله إسلام، وكله من أجل الإسلام، فمن مسؤوليتنا أن يكون الموكب واقعاً كما هو شأننا وطبيعة إسلامياً خالصاً، ورسالياً هادفاً، ومربياً واعياً، ودعوة إلهية هادية، وأن يكون لوحدة الأمة وانبعاثها، وعودتها لدينها وكتاب ربها وسنة نبيها<sup>صلوات الله عليه وآله وسلامه</sup>، والاستظلال ببيت النبوة والرسالة والأمانة.

وكرباء جادة فكل إحيائها يجب أن يكون جاداً، كربلاء هادفة فيجب أن تكون كل امتداداتها هادفة، وكرباء واعية فينبغي أن تكون أيام مناسباتها مشحونة بالوعي، وكرباء للمعروف، وفي مواجهة المنكر فتحتم أن ترسم الممارسات المتممية لها بالمعروف، وتتنزه عن المنكر، وأن تكون في نصرة المعروف وهزيمة المنكر.

## ألكام التربة الائينية

فاضل عبد الجليل الزاكى

مدخل البحث:

كثير إن مما لا شك فيه أن هناك بقاعاً كثيرة احتلت مكانة خاصة في نفوس الناس وذلك لأسباب مختلفة، فقد يكون ذلك نتيجة لاقترانها ببعض الحوادث السعيدة أو الحزينة أو المفصلية، وقد يكون ذلك بسبب اشتتمالها على قبور تحوي أجساداً لها قدسيتها، أو لأسباب تعبدية صرفة.

وعلى هذا الصعيد تأتي تربة كربلاء في الفكر والفقه الشيعي، فهذه التربة لها مكانتها الخاصة في وجдан الشيعة وفي فقههم، وإذا ما أردنا تلميس السبب والعلة لهذه المكانة الخاصة لأمكننا طرح ما يلي كأهم وأوضح الأسباب لهذه المكانة:

١- اقتران هذه التربة بحادثة حزينة دامية تعد الأكثر وقعاً وإيلاماً في وجدان الشيعة، وذلك برغم كثرة الحوادث الحزينة والمؤلمة التي تستعر في وجدانهم، إلا وهي حادثة كربلاء العظيمة التي تعتبر - وبكل المقاييس - حادثة مفصلية في تاريخ أهل البيت عليه السلام وشيعتهم.

٢- احتوايتها على قبر الحسين عليه السلام وقبور أصحابه من الشهداء (رضوان الله عليهم)، مع ما تمثله هذه القبور من رمزية مهمة لدى الشيعة.

٣- ما ورد من روایات أهل البيت عليه السلام الكثيرة في فضل هذه التربة وبيان مزاياها، وهو ما أكدته - تبعاً لذلك - فتاوى فقهاء الشيعة على مر العصور.

ونظراً لأهمية هذه التربة، ولما جاء فيها من روایات عديدة عن أهل بيته

العصمة والطهارة عليهما السلام، هذه الروايات التي أنسنت للعديد من الأحكام المرتبطة بهذه التربة والتي تعرض لها الفقهاء منذ القدم في كتبهم وموسوعاتهم الفقهية، فقد رأيت أن أطرق هنا إلى ما ورد حول هذه التربة المباركة من فتاوى وأحكام، ثم أعقب بذكر ما دل عليها من أدلة ونصوص، وأسألكم عرض هذه الفتوى ضمن تسعه مباحث كالتالي:

- ١- حرمة تنحيس التربة الحسينية.
  - ٢- خلط التربة الحسينية بحنوط الميت.
  - ٣- الكتابة بالتربة الحسينية على كفن الميت.
  - ٤- وضع التربة الحسينية مع الميت في قبره.
  - ٥- السجود على التربة الحسينية.
  - ٦- التسبيح بالتربة الحسينية.
  - ٧- الاستشفاء بالتربة الحسينية..
  - ٨- تحنيك المولود بالتربة الحسينية.
  - ٩- الإفطار على التربة الحسينية يومي الفطر وعاشراء:
- وصدقَتْ أغلب هذه المباحث بذكر الفتوى التي تناصها، معتمداً في نقلها للفتوى بشكل أساسي على كتابي (العروة الوثقى) للسيد اليزدي، و(وسيلة النجاة) للسيد الأصفهاني، كما نقلت عبارة واحدة من كتاب الدروس للشهيد الأول لاشتمالها على بعض المزايا.

#### ١- حرمة تنحيس التربة الحسينية:

قال السيد اليزدي في العروة الوثقى: «مسألة ٢٥: يجب إزالة النجاسة عن التربة الحسينية، بل عن تربة الرسول وسائر الأئمة عليهم السلام المأخوذة من قبورهم، ويحرم

تنجيسها، ولا فرق في التربة الحسينية بين المأخوذة من القبر الشريف أو من الخارج إذا وضعت عليه بقصد التبرك والاستشفاء، وكذا السبحة والتربة المأخوذة بقصد التبرك لأجل الصلاة»<sup>(١)</sup>.

والكلام هنا إنما هو بالنسبة إلى تربة القبر أو التربة المأخوذة من تلك البقاع الظاهرة لأجل التبرك أو الاستشفاء أو ما شابهه، وليس الكلام عن مطلق التراب الموجود في تلك البقاع الظاهرة مما هو على وجه الأرض أو مما تصنع به الأواني الخرفية هناك، ضرورة أن التربة بعد أخذها لتلك الغاية تُنسب إلى صاحبها، بحيث يُعد هتكها هتكا لحرمة صاحب القبر وتعظيمها تعظيمًا له، ومن هنا لزم تعظيمها وحرم هتكها، وأما قبل أن تُنَسَّب لصاحبها بالنحو المتقدم فلا دليل على حرمة هتكها، بل هي من هذه الجهة كباقي الأراضي، والسيرورة قائمة على التعامل معها كغيرها.

ثم إن حرمة التنجيس إنما هي في صورة استلزم الهتك، وكذا بالنسبة إلى وجوب الإزالة، وأما إذا لم تستلزم الهتك فلا دليل على الوجوب.

بقي أن نشير إلى مبحث مهم أشار له الشيخ الصيمرى رحمه الله في غاية المرام، حيث قال: (والمحترم من التربة الذي لا يجوز تقريب النجاسة منه هو ما أخذ من الضريح أو من خارج ووضع على الضريح المقدس، أما ما أخذ من خارج ولم يوضع على الضريح فإنه لم يثبت له الحرمة، إلا أن يأخذه بالدعاء المرسوم ويختتم عليه فيثبت له الحرمة حينئذ)<sup>(٢)</sup>.

وذكر الشهيد الثاني رحمه الله في شرح اللمعة<sup>(٣)</sup> ما يقرب من هذا المعنى، هذا والظاهر أن مقصود الصيمرى بقوله: (أو من الخارج) هو ما أخذ من خارج الضريح المقدس من المناطق المجاورة له، لا أنه يقصد ما أخذ حتى من المناطق الأخرى

التي هي خارج كربلاء ثم وضع بعد ذلك على الضريح المقدس، وهذا المعنى هو الذي يظهر أيضاً من عبارة صاحب العروة التي ذكرناها سابقاً، إلا أن في عباري البعض ما يشير إلى المعنى الثاني، حيث قال: بأنه لو أخذ التراب من مكان آخر، وأتي به إلى كربلاء، ووضع على الضريح المقدس بقصد التبرك، للحقته الأحكام المذكورة من حرمة التجيس والهتك.

هذا ما ذكرناه، إلا أنه لم يتضح الوجه في إناطة الاحترام بوضع التربة على القبر إذا كانت مأخوذة من خارجه، أو إناطته بأخذها بالدعاء والختم المذكورين في بعض الروايات؛ إذ أن تمام المناط في لزوم الاحترام وحرمة الهتك – كما مر سابقاً – هو انتساب هذه التربة إلى صاحب القبر بحيث يعد هتكها هتكاً له، وتعظيمها تعظيمما له، وهذا لا يتوقف على وضعها على القبر، ولا على أخذها بالدعاء والختم كما هو واضح، وإنما يتوقف على صدق الانتساب ليس إلا، وهو أمر عرفي، ولم يظهر من النصوص أن الإلتزام بالأداب الخاصة كالدعاء والختم على التربة يولد لها حالة خاصة تكون منشأ لتلك الأحكام الشرعية، نعم لو توقف صدق الانتساب عرفاً على وضع التربة على القبر أو الإتيان بالأداب الخاصة لتم ما ذكرناه.

وعلى هذا فلا فرق في حرمة التجيس بين التراب المأخوذ من نفس القبور المقدسة، وبين غيره مما أخذ من البقاع المجاورة لها مادام هذا التراب منتسباً إلى تلك النفوس الظاهرة على النحو المذكور.

## ٢ - خلط التربة الحسينية بحنوط الميت:

قال السيد اليزيدي قُدَّسَ اللَّهُ بِهِ وَسَلَّمَ في العروة الوثقى عند حديثه عن تحنيط الميت: «مسألة ٩: يستحب خلط الكافور بشيء من تربة قبر الحسين السَّلَّيْلَةُ لكن لا يمسح به الموضع المنافية للإحترام»<sup>(٤)</sup>.

ويدل على هذا الحكم ما ورد في مکاتبة الحمیري قال: «كتبت إلى الفقيه الشیعی أسأله عن طین القبر يوضع مع المیت في قبره، هل يجوز ذلك أم لا؟ فأجاب - وقرأت التوقيع ومنه نسخت - : يوضع مع المیت في قبره، ويخلط بحشو طه إن شاء الله».<sup>(٥)</sup>

و واضح أن المقصود بطین القبر هنا هو طین قبر الحسین، لأن المعمود لدى الشیعہ عند الإطلاق، وهو في غایة الوضوح لمن تبع الروایات الواردة عن أهل بیت العصمة علیہ السلام.

والرواية صحيحة كما هو واضح، والتوقف في سندھا من جهة محمد بن أحمد بن داود القمي - لعدم ورود توثيق صريح له - في غير محله، فإن ما ورد فيه من المدح لا يقصر عن التوثيق، بل ويدل على جلالته قدره وعظم شأنه أيضا. هذا بالنسبة إلى أصل استحباب خلط التربة الحسينية بالكافور، وأما عدم المسح به على المواضع المنافية لاحترامها كإبهامي الرجلين أو العورة، فهو واضح بعد ما تقدم من لزوم تعظيمها وحرمة هتكھا.

والظاهر من النص أن المقصود هنا هو خصوص تراب القبر وما يقرب منه على وجه يلحق به عرفا، نعم ورد في بعض الروایات أن طین قبر الحسین يؤخذ ولو من على عدة أمیال أو فراسخ<sup>(٦)</sup>، إلا أن جل هذه الروایات قابلة للنقاش سندا ودلالة، نعم سيأتي في مبحث الاستشفاء بالتربيه أن هذه الأحكام ثبتت للتربة المحيطة بالقبر إلى مسافة خمسة وعشرين ذراعا من جوانبه الأربع، وأما ما زاد على هذا المقدار فلم يثبت بدليل معتبر، وعليه فلا يعلم شمول هذا الاستحباب للتربة الحسينية التي تؤخذ من كربلاء في هذه الأعصار وتنقل إلى البلدان المختلفة لأجل السجود عليها في الصلاة، نعم لا بأس باستعمالها رجاءً، خصوصا بالنظر إلى الروایات المشار إليها

والتي تذكر الأموال والفراسخ، وهذا الكلام جارٍ بالنسبة إلى أكثر الأقسام الآتية، فلا  
تحتاج للإعادة.

### ٣ - الكتابة بالتربة الحسينية على كفن الميت:

قال الشهيد الأول قُلبي في الدروس عند كلامه عن استحباب وضع الجريدين مع الميت «ويستحب جريدتان من النخل... ويكتب عليها وعلى القميص والإزار والجبرة واللفافة والعمامة بتربة الحسين عليه السلام اسمه، وأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وزاد الشيخ وأسماء الأئمة عليهما السلام»<sup>(٧)</sup> وذكر مثله في العروة .

والكلام هنا في عدة نقاط:

أ- أصل استحباب الكتابة على الكفن، وما الذي يكتب؟ هل خصوص الشهادة الأولى أو الشهادتين معاً؟ وهل يلحق بهما الإقرار بالأئمة عليهما السلام أيضاً؟

وهذا خارج عن محل كلامنا، إلا أن أكثر الفقهاء ذكرروا استحباب كتابة الشهادتين والإقرار بالأئمة إما على وجه الاستحباب، أو بر جاء المطلوبية.

ب- هذا الاستحباب هل يختص بالكفن أم يشمل الجريدين أيضاً؟ وأي القطع هي التي يُكتب عليها، هل هي قطعة معينة بخصوصها، أم جميع قطع الكفن؟

وهذا أيضاً خارج عن محل كلامنا، وقد اختلفت فيه عبائر الفقهاء أيضاً.

ج- كون الكتابة بالتربة الحسينية، وهذا قد ذكره الكثير من الفقهاء المتقدمين، وإن قلت الإشارة له في عبائر متأخري المتأخرين والمعاصرين.

وقد وردت فيه رواية في كتاب الاحتجاج للطبرسي، عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري «عن صاحب الزمان عليه السلام، أنه كتب إليه: قد روي لنا عن الصادق عليه السلام أنه كتب على إزار إسماعيل ابنه: إسماعيل يشهد أن لا إله إلا الله، فهل يجوز لنا أن نكتب مثل ذلك بطين القبر أم غيره؟ فأجاب: يجوز ذلك، والحمد لله»<sup>(٩)</sup>.

والمقصود بطين القبر هنا طين قبر الحسين عليه السلام كما تقدمت الإشارة سابقا، إلا أنها لا تدل على أكثر من الجواز، ولا ثبت استحبابا على ما يبدوا، كما أنها ضعيفة لجهالة سند الطبرسي إلى الحميري، ولعله لهذا قلت الإشارة له في عبائر متاخرة المتأخرين والمعاصرين، نعم قد يستفاد عموم الاستحباب من المكاتبة الأولى التي تقدم تصحيح سندها حيث ورد فيها «يوضع مع الميت في قبره»<sup>(١٠)</sup>، وهي صريحة في استحباب وضعها مع الميت في قبره ومن غير تعين لكيفية خاصة، فتشمل الكتابة بها على الكفن فإنها نحو من الوضع مع الميت، إلا أنها لا ثبت استحباب الكتابة بها بعنوان كونها كتابة، نعم يمكن الكتابة بها رجاءً أو بعنوان الوضع مع الميت.

د- بقى أن نشير إلى أن جملة من الفقهاء أشاروا إلى أنه ينبغي أن تبلّ التربة بالماء، ولعل أول من تعرض لذلك هو الشيخ المفيد<sup>(١١)</sup>، وتبعه بعض من جاء بعده<sup>(١٢)</sup>، وقد علل المحقق الكركي بقوله: «لتكون الكتابة مؤثرة حملا على المعهود»<sup>(١٣)</sup>.

وقد يقال بعدم اشتراط أن تكون الكتابة مؤثرة، لعدم الدليل، ولما ذكره الشيخ في المصباح حيث قال «ويكتب ذلك بتربة الحسين أو بالإصبع ولا يكتب بالسود»<sup>(١٤)</sup>، فقد يقال بأنه يرى كفاية الكتابة بالتربة وإن لم تكن مؤثرة، لأنه عطف عليها الكتابة بالإصبع، ومن المعلوم أنها غير مؤثرة، فظاهر كلامه أن الكتابة تصدق وإن لم يبق لها أثر.

وجوابه واضح؛ إذ لم يدع أحد بأن الكتابة لا تصدق إن لم تكن مؤثرة، ولكن لا شك ولا ريب في أن المنصرف عند إطلاق اللفظ هو خصوص المؤثرة، وأما الكتابة غير المؤثرة فهي فرد خفي غير معهود لا يحمل النص عليه، مضافا إلى أن

الدليل في المسألة إن كان هو رواية الإحتجاج المتقدمة فقد جاء فيها عنوان (طين القبر) ومن المعلوم أن الطين هو الممزوج بالماء، دون الجاف المعبر عنه بالمدر، ودون التراب الخالص، وإن كان الدليل هو رواية التهذيب فقد دلت على عنوان (الوضع مع الميت) وهو لا يتحقق إذا لم تكن الكتابة مؤثرة، إلا بمقدار ما قد يتتساقط على الكفن من ذرات، مما لا يصدق عليه اسم الطين الوارد في هذه الصحىحة أيضاً، فعلى كلا الاحتمالين لابد أن تكون الكتابة مؤثرة.

والكلام عن موضع أخذ التربة هو عين ما تقدم في المبحث السابق.

#### ٤ - وضع التربة الحسينية مع الميت:

قال السيد اليزدي قُلَيْلَة في العروفة الوثقى في مستحبات الدفن: «الثاني عشر: جعل مقدار لبنة من تربة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ تلقاء وجهه، بحيث لا تصل إليها النجاسة بعد الانفجار»<sup>(١٥)</sup>

وهذا الاستحباب مشهور في فتاواهم، ويبدل عليه نفس مكتبة الحميري المتقدمة، حيث ورد فيها «توضع مع الميت في قبره»، ومن الواضح أن السؤال والجواب لم يكن عن إباحة الوضع، وإنما هو عن وجود الرجحان في هذا الوضع وعدمه، ويبدل على ذلك نفس جواب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: «يوضع مع الميت في قبره، ويخلط بحنوطه» إذ من الواضح أن عطف (الخلط بالحنوط) على (الوضع مع الميت) يدفع احتمال أن يكون الكلام عن أصل الإباحة، إذ لو كان الكلام عن الإباحة لم يكن هناك معنى للعطف المذكور، فالكلام عن وجود الرجحان في ذلك ليس إلا.

كما يمكن تأييد هذا الحكم بما نقله العلامة في منتهاء المطلب حيث قال: «روي أن امرأة كانت ترني وتضع أولادها فتحرقهم بالنار خوفاً من أهلها، ولم يعلم

به غير أمهما، فلما ماتت دفت فانكشف التراب عنها ولم تقبلها الأرض، فنكلت عن ذلك الموضع إلى غيره، فجرى لها ذلك، فجاء أهلها إلى الصادق عليه السلام وحكوا له القصة، فقال لأمها: ما كانت تصنع هذه في حياتها من المعاصي؟ فأخبرته بباطن أمرها. فقال عليه السلام: إن الأرض لا تقبل هذه لأنها كانت تعذب خلق الله بعذاب الله، أجعلوا في قبرها شيئاً من تربة الحسين عليه السلام. ففعل ذلك بها فسترها الله تعالى<sup>(١٦)</sup>.

كما يؤيده ما ورد من أنها أمان من كل خوف، كما في رواية الحارث بن مغيرة النصري عن الصادق عليه السلام: قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني رجل كثير العلل والأمراض، وما تركت دواء إلا تداوينت به؟ فقال: وأين أنت عن طين قبر الحسين عليه السلام؟ فإن فيه الشفاء من كل داء، والأمن من كل خوف، فقل إذا أخذته: اللهم إني أسألك بحق هذه الطينة... قلت: قد عرفت الشفاء من كل داء، فكيف الأمان من كل خوف؟ فقال: إذا خفت سلطاناً أو غير ذلك فلا تخرج من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين عليه السلام، وقل إذا أخذته: اللهم إن هذه طين قبر الحسين وليك وابن وليك، أخذتها حرزاً لما أخاف ولما لا أخاف، فإنه قد يرد عليك ما لا تخاف<sup>(١٧)</sup>.

ومثلها رواية زيد الشحام عن الصادق عليه السلام: إن الله جعل تربة الحسين عليه السلام شفاء من كل داء وأماناً من كل خوف<sup>(١٨)</sup>

وحيث أن أهوا القبر مما يخاف منه كل أحد، فتشمله الرواية بإطلاقها.

وأما جعلها تلقاء وجهه فقد يستفاد ذلك مما أورده الشيخ في مصباح المتهدج «عن جعفر بن عيسى أنه سمع أبا الحسن عليه السلام يقول: ما على أحدكم إذا دفن الميت ووسده التراب أن يضع مقابل وجهه لبنة من الطين، ولا يضعها تحت رأسه»<sup>(١٩)</sup>، ومن الواضح أن المقصود هنا هو طين قبر الحسين عليه السلام لأنه هو المعهود للتبرك، وقد أورده الشيخ في مصباحه في ضمن الأحاديث الخاصة بتربة الحسين.

وأما جعل التربة في موضع لا تصيبها النجاسة فهو وإن كان النص حاليا منه، إلا أنه بمثابة من الوضوح بعد ما تقدم من لزوم تعظيمها وحرمة هتكها على ما تقدم بيانه سابقا.

وقد تقدم الحديث في آخر المبحث الثاني عن مواضع أخذ التربة الحسينية، والكلام هنا هو عين ما تقدم هناك فلا نعيد.

#### ٥ - السجود على التربة الحسينية:

قال السيد اليزيدي فاطم في العروة الوثقى في باب مكان المصلي: «مسألة ٢٦: السجود على الأرض أفضل من النبات والقرطاس، ولا يبعد كون التراب أفضل من الحجر، وأفضل من الجميع التربة الحسينية فإنها تخرق الحجب السبع، وتستثير إلى الأرضين السبع»<sup>(٢٠)</sup>.

لا نتكلم هنا عن لزوم السجود على الأرض أو ما أنتت، فإنه خارج عن بحثنا هذا وقد تعرض له الفقهاء مفصلا في بحوثهم الفقهية، وكلامنا هنا إنما هو عن خصوص استحباب السجود على التربة الحسينية وفضيلتها على غيرها، وهذا الحكم أفتى به الشيخ الصدوق في الفقيه، وأفتى به أكثر المتأخرين، وجرت عليه سيرة الشيعة منذ القدم، ويمكن الإستدلال على الحكم بنحوين من الإستدلال:

الأول: الروايات الخاصة التي نصت على هذا الحكم، وهي أربع روايات:

أ- ما أورده الشيخ في مصباح المتهجد، «عن معاوية بن عمارة قال: كان لأبي عبد الله عليه السلام خريطة ديجاج صفراء فيها تربة أبي عبد الله عليه السلام، فكان إذا حضرته الصلاة صبه على سجادته وسجد عليه، ثم قال عليه السلام: إن السجود على تربة أبي عبد الله عليه السلام يخرق الحجب السبع»<sup>(٢١)</sup>.

ب- ما رواه الحسن بن محمد الديلمي في إرشاد القلوب، قال «كان

**الصادق عليه السلام لا يسجد إلا على تربة الحسين عليهما تذللا لله واستكانة إليه**٢٢.

ج- ما رواه الصدوق قال «قال الصادق عليه السلام: السجود على طين قبر الحسين عليهما السلام ينور إلى الأرضين السبعة، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين عليهما السلام كتب مسبحاً وإن لم يسبح بها»<sup>(٢٣)</sup>

د- ما رواه في الاحتجاج عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن صاحب الزمان عليه السلام «أنه كتب إليه يسأله عن السجدة على لوح من طين القبر هل فيه فضل؟ فأجاب عليه السلام: يجوز ذلك، وفيه الفضل»<sup>(٢٤)</sup>

ورغم إمكانية المناقشة في سند هذه الروايات الأربع من جهة الإرسال، إلا أن الرواية الرابعة نقلها الشيخ الطبرسي في الاحتجاج في ضمن رسالة طويلة تحتوي على مجموعة مسائل أرسلها الحميري إلى الإمام صاحب الزمان عليه السلام وقد أجاب عنها الإمام، ورغم أن الشيخ الطبرسي – وكما هي عادته في هذا الكتاب – لم يذكر هنا سنته إلى الحميري إلا أن الشيخ الطوسي في كتاب التهذيب أورد عدة مقاطع من هذه الرسالة بسند معتبر، وهذا وإن لم يكن كافياً للحكم بصحة هذا المقطع بخصوصه، إلا أنه يعطيه نوعاً من المزية كما لا يخفى.

الثانى: وهو مركب من مقدمتين:

المقدمة الأولى: لا شك في أفضلية السجود على الأرض، وأنها تُقدم على غيرها كما في النصوص الصحيحة مثل صحيحه هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «السجود على الأرض أفضل لأنه أبلغ في التواضع والخضوع لله عز وجل» <sup>(٢٥)</sup>.

**المقدمة الثانية:** بعد ثبوت استحباب السجود على مطلق الأرض نقول: لا شك في تفاوت بقاع الأرض من حيث الفضل، وأنها ليست على حد سواء، وقد دلت

الروايات على فضل تربة كربلاء، وتميزها عن بقية الأراضي والبقاء، وهي روايات كثيرة أشرنا لبعضها في ما سبق وسيأتي التعرض لبعضها ضمن النقاط التالية، وبعضها روايات معتبرة.

فيستفاد استحباب السجود على تربة كربلاء من نفس تلك الروايات الدالة على استحباب السجود على الأرض؛ وذلك لأنها من خير بقاع الأرض كما دلت النصوص.

والكلام بالنسبة إلى محل أخذ التربة هو عين ما تقدم في المبحث الثاني، إلا أنه قد يقال هنا بإمكانية التوسيع عن مقدار الخمسة والعشرين ذراعاً، لأن التعبير الوارد في بعض الروايات هو (السجود على تربة الحسين)، كما أن جملة من الروايات تثبت الفضيلة لتربة كربلاء ولو كانت بعيدة عن القبر.

#### ٦ - التسبيح بالتربة الحسينية:

قال السيد اليزدي قطنطش في العروة الوثقى في فصل تعقيب الصلاة عند حدثه عن استحباب تسبيح فاطمة عليها السلام، قال: «مسألة ١٩: يستحب أن تكون السبحة بطين قبر الحسين صلوات الله عليه، وفي الخبر أنها تسبح إذا كانت بيد الرجل من غير أن يسبح، ويكتب له ذلك التسبيح وإن كان غافلاً»<sup>(٢٦)</sup>

وقد وردت روايات كثيرة تؤيد هذا المضمون، نذكر هنا جملة منها:

أ- ما رواه الصدوق عن الصادق عليه السلام: «ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين عليه السلام كتب مسبحاً وإن لم يسبح بها»<sup>(٢٧)</sup>.

ب- ما رواه الشيخ في مصباح المتهدج، قال «وروي عن الصادق عليه السلام أن من أدار الحجر من تربة الحسين عليه السلام فاستغفر به مرة واحدة كتب الله له سبعين مرة وإن أمسك السبحة بيده ولم يسبح بها ففي كل حبة منها سبع مرات»<sup>(٢٨)</sup>.

ج- ما رواه الشيخ في التهذيب عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري قال:  
«كتبت إلى الفقيه الشافعية أسأله هل يجوز أن يسبح الرجل بطين القبر؟ وهل فيه فضل؟  
فأجاب وقرأ توكيد التوقيع ومنه نسخت: تسبح به، فما في شيء من السبح أفضل منه،  
ومن فضله أن المسبح ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له ذلك التسبيح»<sup>(٤٩)</sup>.  
وهذه الرواية صحيحة السند، والمقصود بالفقهي هنا هو صاحب الزمان (أرواحنا  
فداه).

د- ما رواه الشيخ في التهذيب عن الحسن ابن علي بن شعيب يرفعه إلى بعض  
أصحاب أبي الحسن موسى بن جعفر العليل قال: «دخلت إليه قال: لا يستغنى شيعتنا  
عن أربع: خمرة يصلى عليها، وخطام يتختم به، وسوالك يستاك به، وسبحة من طين  
قبر أبي عبد الله العليل فيها ثلاث وثلاثون حبة متى قلبها ذاكرا الله كتب الله له بكل  
حبة أربعين حسنة، وإذا قلبها ساهيا يبعث بها كتب الله له عشرون حسنة أيضا»<sup>(٥٠)</sup>.

## ٧ - الاستشفاء بالتربة الحسينية:

من المعروف أن الفقهاء (رضوان الله عليهم) يفتون بحرمة أكل الطين، لقيام  
الأدلة على حرمتها، إلا أنهم مع ذلك يستثنون طين قبر الحسين العليل، ونحن هنا  
نستعرض ما أورده السيد أبو الحسن الأصفهاني في كتاب وسيلة النجاة<sup>(٥١)</sup>،  
حيث أورد بعض مسائل تتعلق بهذا الموضوع، فبعد أن ذكر حرمة أكل الطين قال:  
مسألة ٩: يستثنى من الطين طين قبر الإمام الحسين العليل للاستشفاء، فإن في  
تربته المقدسة الشفاء من كل داء، وإنها من الأدوية المفردة، وإنها لا تمر بداء إلا  
هضمته. ولا يجوز أكلها لغير الاستشفاء، ولا أكل ما زاد عن قدر الحمصة  
المتوسطة، ولا يلحق به طين غير قبره حتى قبر النبي ﷺ والأئمة علية السلام على  
الأحوط لو لم يكن أقوى، نعم لا بأس بان يمزج بماء أو شربة والتبرك والاستشفاء

بذلك الماء وتلك الشربة.

مسألة ١٠: لأخذ التربة المقدسة وتناولها عند الحاجة آداب وأدعية مذكورة في محالها، خصوصاً في كتب المزار ولا سيما مزار بحار الأنوار، لكن الظاهر أنها كلها شروط كمال لسرعة تأثيرها لا أنها شرط لجواز تناولها.

مسألة ١١: القدر المتيقن من محل أخذ التربة هو القبر الشريف وما يقرب منه على وجه يلحق به عرفاً، ولعله كذلك الحائر المقدس بأجمعه. لكن في بعض الأخبار يؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام من عند القبر على سبعين ذراعاً، وفي بعضها طين قبر الحسين عليه السلام فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل، بل وفي بعضها أنه يستشفى مما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، بل وفي بعضها على عشرة أميال، وفي بعضها فرسخ في فرسخ، بل وروي إلى أربعة فراسخ. ولعل الاختلاف من جهة تفاوت مراتبها في الفضل فكل ما قرب إلى القبر الشريف كان أفضل، والأحوط الاقصر على ما حول القبر إلى سبعين ذراعاً، وفيما زاد على ذلك أن تستعمل ممزوجاً بماء، أو شربة على نحو لا يصدق عليه الطين ويستشفى به رجاء.

مسألة ١٢: تناول التربة المقدسة للإستشفاء، إما بازدراحتها وابتلاعها، وإما بحلها في الماء وشربه، أو بأن يمزجها بشربة ويشربها بقصد التبرك والشفاء.

للتعليق على كلامه نعقد الوقفات التالية:

**الوقفة الأولى:** في أصل استثناء طين قبر الحسين عليه السلام.

وهو متسلّم عليه بين الأصحاب، وبمضمونه روايات مستفيضة، نذكر بعضها منها:

١- عن أبي يحيى الواسطي عن رجل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «الطين حرام كله كلام الخنزير ومن أكله ثم مات فيه لم أصل عليه، إلا طين القبر فإن فيه شفاء من كل داء، ومن أكله بشهوة لم يكن له فيه شفاء»<sup>(٣٢)</sup>.

٢ - عن سعد بن سعد قال: «سألت أبا الحسن عليه السلام عن الطين؟ فقال: أكل الطين حرام مثل الميّة والدم ولحم الخنزير إلا طين الحائز، فإن فيه شفاء من كل داء وأمنا من كل خوف»<sup>(٣٣)</sup>.

٣ - وروى سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أكل الطين حرام على بنى آدم ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام من أكله من وجع شفاه الله»<sup>(٣٤)</sup>.  
٤ - عن حنان بن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من أكل من طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنما أكل من لحومنا»<sup>(٣٥)</sup>.

٥ - علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أحد هم عليه السلام قال: «إن الله تعالى خلق آدم من الطين فحرم الطين على ولده»، قال: فقلت: ما تقول في طين قبر الحسين بن علي عليه السلام؟ فقال: يحرم على الناس أكل لحومهم ويحل لهم أكل لحومنا؟ ولكن اليسير منه مثل الحمصة»<sup>(٣٦)</sup>.

٦ - وروي: «أن رجلا سأله الصادق عليه السلام فقال: إني سمعتك تقول: أن تربة الحسين عليه السلام من الأدوية المفردة، وأنها لا تمر بداء إلا هضنته. فقال: قد قلت ذلك بما بالك؟ قلت: إني تناولتها فما انتفع بها. قال: أما أنا لها دعاء فمن تناولها ولم يدع بها واستعملها لم يكدر ينتفع بها. قال: فقال له: ما يقول إذا تناولوها؟ قال تقبلها قبل كل شيء وتضعها على عينيك، ولا تناول منها أكثر من حمصة، فإن تناول منها أكثر فكأنما أكل من لحومنا ودمائنا...»<sup>(٣٧)</sup>.

٧ - وعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو أن مريضا من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله عليه السلام وحرمه وولايته أخذ من طين قبره مثل رأس أنملة كان له دواء»<sup>(٣٨)</sup>.

الوقفة الثانية: في عدم جواز أكلها لغير الاستشفاء:

وذلك لأن مقتضى النصوص العامة هو حرمة أكل الطين، وإنما رفعنا يدنا عنه في مورد الاستشفاء بطين قبر الحسين عليه السلام للتسالم على استثنائه واستفاضة الروايات به، فيبقى أكله لغير الاستشفاء مشمولاً للنصوص المانعة، سواء كان الأكل بقصد التبرك أم لا، وقد نصت بعض الروايات أيضاً على حرمته لغير الاستشفاء، كما في رواية حنان بن سدير المتقدمة.

**الوقفة الثالثة: لا يجوز أكل أكثر من مقدار الحمصة:**

ودليله واضح أيضاً، إذ أن أكله خلاف مقتضى النصوص العامة، فيقتصر فيه على القدر المتيقن وهو مقدار الحمصة، لورود تقييده بهذا المقدار في بعض النصوص المتقدمة<sup>(٣٩)</sup>، كما ورد هذا التقييد في بعض الفتاوى أيضاً<sup>(٤٠)</sup>. فما زاد عن هذا المقدار لا يعلم خروجه عن النصوص العامة النافية عن أكل الطين.

**الوقفة الرابعة: هذا الحكم لا يشمل طين قبور بقية المعصومين عليهم السلام :**

وذلك لأن الاستثناء الوارد في الروايات وفتاوي الأصحاب، هو خصوص طين قبر الحسين عليه السلام، فيبقى غيره تحت عموم النهي، فلا يجوز أكله، نعم هنا رواية أوردها ابن قولويه في كامل الزيارات عن أبي حمزة الثمالي «عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث أنه سُئل عن طين الحائر هل فيه شيء من الشفاء؟ فقال يستشفى ما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر جدي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وكذا طين قبر الحسن وعلي ومحمد فخذ منها فإنها شفاء من كل داء وسقم وجنة مما تخاف ولا يعدلها شيء من الأشياء التي يستشفى بها إلا الدعاء وإنما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها وقلة اليقين لمن يعالج بها وذكر الحديث - إلى أن قال : - ولقد بلغني أن بعض من يأخذ من التربة شيئاً يستخف به حتى أن بعضهم يضعها في مخلة البغل والحمار وفي وعاء الطعام والخرج فكيف يستشفى به من هذا حاله عنده؟..»<sup>(٤١)</sup>.

وهذا الحديث مخالف لغيره من الأحاديث الكثيرة التي حضرت الاستثناء بطين قبر الحسين رض وقد حُمل هذا على الاستشفاء بغير الأكل، إذ لا إشكال في جواز الاستشفاء بما يؤخذ من قبورهم بمثل التمسح والحمل ونحوه، بل ولا إشكال في مزجه بالماء بحيث يستهلك فيه ويخرج عن عنوان الطين، إذ لا تشمله أدلة تحريم الطين حينئذ.

#### الوقفة الخامسة: في جواز أكلها وإن لم يأت بالأدعيه الخاصة:

وردت في جملة من النصوص آداب خاصة لكيفية أخذ التربة وتناولها أيضاً، وقد علل في بعض الروايات سبب عدم تأثيرها بعدم مراعاة هذه الآداب الخاصة، هذا ولكن المعروف بين الأصحاب الذي لا يكاد يخالفه أحد هو أن جواز الأكل لا يتوقف على الإتيان بهذه الآداب، فهي ليست سوى شرط كمال في المقام، خصوصاً وأن جملة كبيرة من الروايات هي روايات مطلقة وغير مقيدة بالإتيان بهذه الآداب، بل في بعضها إشارة واضحة إلى أنها شرط كمال كما في الرواية السادسة المتقدمة.

#### الوقفة السادسة: في مكان أخذ الطين الذي يؤكل:

اختللت الروايات في تحديد مكان أخذ الطين، وهل يشترط أن يكون من نفس القبر الشريف، أم يكفي أن يكون من الأماكن البعيدة كما تشير إليه بعض الروايات؟ فقد جاء في بعضها أنه يؤخذ من مسافة خمسة وعشرين ذراعاً من الأربعة جوانب التي للقبر<sup>(٤٢)</sup>، وفي بعضها كفاية أخذه ولو على بعد سبعين ذراعاً من القبر<sup>(٤٣)</sup>، وفي بعضها على رأس ميل<sup>(٤٤)</sup>، أو أربعة أميال<sup>(٤٥)</sup>، أو عشرة أميال<sup>(٤٦)</sup>، أو فرسخ في فرسخ<sup>(٤٧)</sup>، بل وروي إلى خمسة فراسخ<sup>(٤٨)</sup>، وعلى أي حال وبعد الالتفات إلى أن هذا الحكم تقييد لعمومات المنع من أكل الطين، ولأن أكثر المتقدمين لم يتعرضوا لحيثية المسافة، والروايات مختلفة في المقام، وجلها لا يخلو من إرسال أو

ضعف، وعليه فقد يقال بلزم الاقتصار في جواز الأكل على تراب القبر الشريف أو ما يقرب منه بحيث يلحق به عرفاً، لأنَّ القدر المتيقن الخارج من تحت عمومات المنع من أكل الطين.

هذا ولعلَّ الصحيح إمكان التعدي عن هذا المقدار، وذلك بأحد توجيهين:

**التوجيه الأول:** التمسك بما ورد في بعض الروايات من التعبير بطين الحائر، وهي ما رواه ابن أبي عمير عن عمه، قالت: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أنَّ في طين الحائر الذي فيه الحسين عليه السلام شفاء من كل داء وأماناً من كل خوف»<sup>(٤٩)</sup>. وقد عبرت الرواية بطين الحائر بدلاً من طين القبر، والhair أوسع من القبر كما هو معلوم، وهذه الرواية قد يُناقش في سندتها من جهة عيسى بن سليمان، ومن جهة عمة ابن أبي عمير، فإنَّهما ممن لم يذكرا في كتب الرجال، إلا أنه يمكن توثيق عيسى ابن سليمان لرواية يونس عنه لو قيل بأنَّ الشيخ في عبارة العدة ناظر إلى أصحاب الإجماع حيث قال: (وغيرهم من الثقات الذين عرفوا بأنَّهم لا يرون ولا يرسلون إلا عن يوثق به)<sup>(٥٠)</sup>، ولكنَّ هذا المبني لم يثبت بالنسبة لغير الثلاثة بأعيانهم، ولم نحرز نظره إلى بقية أصحاب الإجماع، وعليه فلا يتم التوثيق.

ويتمكن التغلب على المشكلة عند من يكتفي في تعويض الأسناد بعبارة (أخبرنا بجميع كتبه ورواياته)، وذلك لأنَّ الشيخ قال في فهرسته في حق ابن أبي عمير: (أخبرنا بجميع كتبه ورواياته جماعة، عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه محمد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله والحميري، عن إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير)<sup>(٥١)</sup>. فيقال بأنَّ هذا طريق إلى جميع الروايات التي رواها ابن أبي عمير سواء كانت مذكورة في نفس كتب الشيخ أم في كتب غيره بشرط أنَّ نحرز إطلاع الشيخ على هذه الكتب وروايته لها، فيكون الطريق شامل لما ورد في كامل

الزيارات على ما ذهب إليه بعض المحققين، فلو قبلنا بهذا النحو من التعويض لارفع الإشكال، إلا أن الصحيح عدم تمامية هذا المبني، فإن الظاهر من عطف الروايات على الكتب في عبارة الفهرست هو إرادة خصوص الروايات الواردة في هذه الكتب، لا إرادة مطلق الروايات التي رواها ابن أبي عمير مما كان منتشرًا في الكتب الأخرى، إذ من البعيد أن يكون الشيخ ناظر إلى جميع هذه الروايات على كثرتها وانتشارها، ويفيده أن نفس الشيخ ناقش في التهذيبين في أسناد بعض الروايات التي هي صحيحة على هذا المبني من التعويض<sup>(٥٢)</sup>، وعليه فلم يبق سوى التمسك بدعوى وثاقة جميع رواة كامل الزيارات – كما كان يذهب إليه السيد الخوئي فَلَتَّ – للحكم بوثاقة عيسى بن سليمان، ولكنه مبني ضعيف، لعدم دلالة العبارة على المدعى بالنسبة لغير المشايخ المباشرين، ولهذا عدل عنه السيد الخوئي فَلَتَّ في آخر عمره الشريف بالنسبة لغير مشايخ ابن قولويه.

والنتيجة أنه لم يبق وجه لتصحيح الرواية من جهة عيسى بن سليمان.

وأما (عمة ابن أبي عمير) فيمكن توثيقها بنفس رواية ابن أبي عمير عنها، إلا أن ذلك يتوقف على صحة الطريق إلى ابن أبي عمير كما لا يخفى، وحيث تقدم عدم صحته فلا مجال لتوثيقها من هذا الطريق، وعلى هذا فلا يتم هذا التوجيه.

**التوجيه الثاني:** التمسك بما ورد في موثقة إسحاق بن عمار، قال: «سمعت أبا عبد الله ع يقول: إن لموضع قبر الحسين بن علي ع حرمة معلومة من عرفها واستجار بها أجير، قلت: فصف لي موضعها جعلت فداك، قال: امسح من موضع قبره اليوم، فامسح خمسة وعشرين ذراعا من ناحية رجليه، وخمسة وعشرين ذراعا مما يلي وجهه، وخمسة وعشرين ذراعا من خلفه، وخمسة وعشرين ذراعا من ناحية رأسه، وموضع قبره منذ يوم دفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج يergus فيه

بأعمال زواره إلى السماء،...»<sup>(٥٣)</sup> فإنها دلت على التحديد بما هو أوسع من القبر الشريف، ورغم أن الرواية أشارت إلى الاستجاره به وأنها توجب الأمان، ولم تشر إلى بقية الأحكام الأخرى كالاستشفاء وغيره، إلا أنه لا ينبغي الريب في أن الإمام كان بقصد تحديد المكان الخاص الذي ثبت له كافة الأحكام الواردة في تربة كربلاء، ويفهم ذلك من قوله في صدر الرواية (إن لموضع قبر الحسين) فهذا النص حاكم على النصوص الأخرى التي عبرت بـ(طين القبر)، إذ أنه هنا وسع من مفهوم القبر كما فعلت جملة من النصوص الأخرى التي ذكرت الفراسخ أو الأميال، ويفيد ما ورد في جملة من الروايات من عطف الأمان على الشفاء «فيه شفاء من كل داء، وأمنا من كل خوف»<sup>(٥٤)</sup>. والظاهر تامة هذا التوجيه الثاني، وعليه فلا مانع من القول بالتتوسيعة المذكورة، فيقال بجواز أخذ الطين من مسافة خمسة وعشرين ذراعاً من القبر الشريف من جهاته الأربع، وأما ما زاد على ذلك فيبقى تحت عمومات المنع عن أكل الطين على ما تقدم بيانه.

ومما تقدم يتضح الحال في التربة الحسينية التي تؤخذ من كربلاء في هذه الأعصار وتنقل إلى البلدان المختلفة لأجل السجود عليها في الصلاة، فمن المعلوم أنها ليست من طين القبر الشريف، كما أنها لا تؤخذ من المسافة المشار إليها، بل تؤخذ من البقاع بعيدة عنه، وعليه فلا تكون مستثنة من حرمة الأكل، نعم يجوز أن تمزج في الماء ونحوه على وجه تكون مستهلكة فيه، فتشرب معه وهذا لا يعد أكلاً للطين كما هو واضح.

#### الوقفة السابعة: كيفية التناول:

الظاهر عدم وجود كيفية مخصوصة لتناول التربة - أكلها - الحسينية والاستشفاء بها، إذ أن الروايات خالية عن التعرض لهذا الشرط، نعم ورد في بعضها أن الإمام

الصادق عليه السلام مزجها في ماء وسقاها لبعضهم<sup>(٥٥)</sup>، وفي روايات أخرى ورد عنوان الأكل<sup>(٥٦)</sup>، ولكن أكثر الروايات خالية عن التعرض للكيفية، كما أن فتاوى الأصحاب لم تُشر لكيفية خاصة، ولذا أفتى من تعرض لهذه المسألة من المتأخرین أو المعاصرين بجواز أن يكون التناول بالازدراد والابتلاع، أو أن تُحل التربة – تذاب – في الماء أو غيره ويُشرب بقصد التبرك والشفاء.

الوقفة الثامنة: في ذكر جملة من الآداب الواردة في الاستشفاء بالترفة:

هناك روايات كثيرة أشارت إلى آداب الاستشفاء بالترفة الحسينية، وقد أورد الشيخ جعفر بن قولويه قسماً من هذه الروايات في كتابه (كامل الزيارات)، كما أورد الشيخ الطوسي قسماً آخر في كتاب (مصابح المتهجد)، وأورد أبو بن المشهد أيضاً روايات أخرى في كتاب (المزار الكبير)، والروايات في هذا الباب كثيرة جداً، ورغم ما أشرنا إليه سابقاً من أن هذه الآداب ليست سوى شرط كمال هنا، إذ أن جواز الأكل والاستشفاء غير منوط بها، إلا أنه لا ريب أن ترك هذه الأدعية والإعراض عنها مما لا يليق بالمستشفى الذي يأمل نيل الرحمة الإلهية وبركات هذه التربة الشريفة، فلذا آثرنا أن نذكر بعضما مما ذكره ابن قولويه في (كامل الزيارات) كتتمة أو ملحق لهذا المبحث:

١- حدثني علي بن الحسين، عن علي بن إبراهيم، عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي، عن عبد الله بن حماد الأننصاري، عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا تناول أحدكم من طين قبر الحسين عليه السلام فليقل: اللهم إني أستألك بحق الملك الذي تناولته، والرسول الذي يوأده، والوصي الذي ضمّن فيه، أن تجعله شفاء من كل داء كذا وكذا ويسمّي ذلك الداء<sup>(٥٧)</sup>.

٢- حدثني حكيم بن داود، عن سلمة، عن علي بن الريان بن الصلت، عن

الحسين بن أسد، عن أحمد بن مصقلة، عن عمه، عن أبي جعفر الموصلي أن أبا جعفر عليه السلام قال: إذا أخذت طين قبر الحسين فقل: اللهم بحق هذه التربة وبحق الملك الموكِل بها والملك الذي كرَبها وبحق الوصي الذي هو فيها صل على محمد وآل محمد، واجعل هذا الطين شفاء من كل داء وأماناً من كل خوف <sup>(٥٨)</sup>.  
فإن فعل ذلك كان حتماً شفاء من كل داء وأماناً من كل خوف.

٣- حدثني جعفر بن محمد بن إبراهيم الموسوي، عن عبيد الله بن نهيك، عن سعد بن صالح، عن الحسن بن علي بن أبي المغيرة، عن بعض أصحابنا، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني رجل كثير العلل والأمراض وما تركت دواء إلا وقد تداوית به فقال لي: فأين أنت عن تربة الحسين عليه السلام فإن فيها الشفاء من كل داء والأمن من كل خوف وقل إذا أخذته: اللهم إني أسألك بحق هذه الطينة، وبحق الملك الذي أخذها، وبحق النبي الذي قبضها، وبحق الوصي الذي حل فيها، صل على محمد وأهل بيته، واجعل لي فيها شفاء من كل داء، وأماناً من كل خوف.  
قال: ثم قال عليه السلام: إن الملك الذي أخذها جبرائيل عليه السلام وأراها النبي صل عليه السلام فقال: هذه تربة ابنك هذا تقتلها أمتك من بعدك، والنبي الذي قبضها فهو محمد رسول الله صل عليه السلام وأما الوصي الذي حل فيها فهو الحسين بن علي عليه السلام سيد الشهداء.  
قلت: قد عرفت الشفاء من كل داء، فكيف الأمان من كل خوف؟ قال: إذا خفت سلطان أو غير ذلك، فلا تخرج من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين عليه السلام وقل إذا أخذته: اللهم إن هذه طين قبر الحسين وليك وأبنك وليك أخذتها حزراً لما أخاف ولما لا أخاف.  
فإنه قد يرد عليك ما لا تخاف.

قال الرجل: فأخذتها كما قال، فصح بدني وكان لي أماناً من كل ما خفت وما

لم أخف، كما قال الشَّيْلَةُ، فما رأيت بحمد الله بعدها مكروها<sup>(٥٩)</sup>.

٤- حدثني أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن الحسين العسكري بالعسكر، قال: حدثنا الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن محمد بن مروان، عن أبي حمزة الشمالي قال: قال الصادق الشَّيْلَةُ: إذا أردت حمل الطين من قبر الحسين الشَّيْلَةُ فاقرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين و«قل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» و«قل يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» و«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» ويس وآية الكرسي، وتقول:

اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ عَبْدَكَ وَحَسِيبَكَ وَبَنِيكَ وَرَسُولِكَ وَأَمِينِكَ، وَبِحَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَبْدِكَ وَأَخِي رَسُولِكَ، وَبِحَقِّ فَاطِمَةَ بُنْتِ نَبِيِّكَ وَزَوْجِهِ وَلِيِّكَ، وَبِحَقِّ الْحَسَنِ وَالْحَسِينِ، وَبِحَقِّ الْأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ، وَبِحَقِّ هَذِهِ التُّرْبَةِ، وَبِحَقِّ الْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِهَا، وَبِحَقِّ الْوَرَصِيِّ الَّذِي حَلَّ فِيهَا، وَبِحَقِّ الْجَسَدِ الَّذِي تَضَمَّنْتُ، وَبِحَقِّ السَّبِطِ الَّذِي ضَمَّنْتُ، وَبِحَقِّ جَمِيعِ مَلَائِكَتِكَ وَأَنْبِيائِكَ وَرُسُلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مُحَمَّدًا وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْ هَذَا الطَّينَ شَفَاءً لِي وَلِمَنْ يَسْتَشْفِي بِهِ مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَسُقُمٍ وَمَرَضٍ وَأَمَانًا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ.

اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ اجْعَلْهُ عَلِمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَشَفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَسُقُمٍ، وَآفَةٍ وَعَاهَةٍ، وَجَمِيعِ الْأَوْجَاعِ كُلُّهَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وتقول: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ التُّرْبَةِ الْمُبَارَكَةِ الْمَمِيْمَوْنَةِ وَالْمَلَكُ الَّذِي هَبَطَ بِهَا وَالْوَرَصِيُّ الَّذِي هُوَ فِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَأَنْقَعَنِي بِهَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(٦٠)</sup>.

٥- حدثني الحسن بن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن أبيه، عن عبد الله الشَّيْلَةُ قال: إذا أخذت من تربة المظلوم ووضعتها في فلك فقل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذِهِ التُّرْبَةِ، وَبِحَقِّ الْمَلَكِ الَّذِي قَبَضَهَا، وَالنَّبِيُّ الَّذِي حَضَنَهَا، وَالإِمَامُ الَّذِي حَلَّ فِيهَا، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ

وَآلِ مُحَمَّدَ، وَأَنْ تَجْعَلَ لِي فِيهِ شَفَاءً نَافِعًا، وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَأَمَانًا مِنْ كُلِّ حَوْفٍ وَدَاءٍ.  
فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ وَهَبَ اللَّهُ لِهِ الْعَافِيَةَ وَشَفَاهُ<sup>(٦١)</sup>.

نكتفي بهذا المقدار من الروايات، ونجيل من يطلب المزيد على الكتب  
الموسعة.

#### ٨ - تحنيك المولود بالتربة الحسينية:

قال السيد أبو الحسن الأصفهاني فَلَيَتَ في كتاب وسيلة النجاة في باب أحكام الأولاد: «مسألة ٢: يستحب غسل المولود عند وضعه مع الأم من الضرر، والأذان في أذنه اليمنى والإقامة في اليسرى فإنه عصمة من الشيطان الرجيم، وتحنيكه بماء الفرات وتربة الحسين اللَّطِيفَةَ، وتسميته بالأسماء المستحسنة...»<sup>(٦٢)</sup>.

وهذا الاستحباب مذكور في عبائر كثير من الأصحاب كالشيخ<sup>(٦٣)</sup> وأبن البراج<sup>(٦٤)</sup> وأبن حمزة<sup>(٦٥)</sup> وأبن إدريس<sup>(٦٦)</sup> والمحقق<sup>(٦٧)</sup> والعالمة<sup>(٦٨)</sup> وغيرهم<sup>(٦٩)</sup>، وذلك للخبر الذي أورده الشيخ الكليني في كتابه الكافي حيث قال: «وروي: حنکوا أولادكم بماء الفرات، وبتربة قبر الحسين اللَّطِيفَةَ، فإن لم يكن فبماء السماء»<sup>(٧٠)</sup>، وللخبر الذي أورده ابن قولويه بسنده إلى الحسين ابن أبي العلاء، قال: «سمعت أبا عبد الله اللَّطِيفَةَ يقول: حنکوا أولادكم بتربة الحسين اللَّطِيفَةَ فإنها أمان»<sup>(٧١)</sup>.

وهنا ثلات نقاط لابد من التعرض لها:

الأولى: هل التحنين بماء الفرات وبتربة الحسين اللَّطِيفَةَ على نحو المستحب الواحد؟ أم على نحو الفعلين المستحبين، فيستحب تحنيك الطفل بكل منهما بعنوانه؟

الذي يظهر من الرواية الأولى أنه مستحب واحد، إلا أن الرواية الثانية خالية من الإشارة إلى ماء الفرات، مما يظهر منه أنه مستحب مستقل، مضافا إلى أن جملة من

الروايات ورد فيها التحنين بماء الفرات من دون ذكر التربة الشريفة<sup>(٧٢)</sup>، فيبدو منها بأن كلامهما مستحب مستقل، ولكن على ما يبدو فإن أكثر عبائر الأصحاب ظاهرة في أنه مستحب واحد.

### الثانية: متى يؤتى بهذا الاستحباب؟

رغم خلو الروايتين عن تحديد وقت هذا الاستحباب، إلا أنه لا ينبغي الريب في أن وقته حين الولادة أو الفترة القليلة اللاحقة لها، فإن بعض الروايات الواردة في التحنين بماء الفرات قد صرحت بذلك كما في رواية الكافي «عن أبي جعفر<sup>عليه السلام</sup> قال: يُحنك المولود بماء الفرات ويُقام في أذنه»<sup>(٧٣)</sup> وكذا ما رواه الصدوق عن السيدة نجمة أم الإمام الرضا<sup>عليها السلام</sup> أنها قالت: «لما وضعت ابني عليا دخل إلى أبيه موسى بن جعفر<sup>عليه السلام</sup> فناولته إياه في خرقه بيضاء، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ودعا بماء الفرات فحنكه به، ثم رده إلى» فقال: خديه فإنه بقية الله في أرضه<sup>(٧٤)</sup>. وهذا الحكم ذكره الأصحاب تحت أحكام المولود، ففي الكافي (باب ما يفعل بالمولود من التحنين وغيره إذا ولد)<sup>(٧٥)</sup> وذكر في ضمنه عدة روايات، وقال الصدوق (باب العقيقة والتحنين والتسمية والكتنى وحلق رأس المولود وثقب أذنيه والختان)<sup>(٧٦)</sup> ثم قال بعد عدة صفحات: (ويستحب إذا ولد المولود أن يؤذن في أذنه الأيمن ويقام في الأيسر ويُحنك بماء الفرات ساعة يولد إن قدر عليه)<sup>(٧٧)</sup>. وقد ورد من طرق العامة أن النبي<sup>'</sup> كان يُحنك الأطفال بالتمر عند ولادتهم<sup>(٧٨)</sup>، وورد في الكافي «عن أبي عبد الله<sup>عليه السلام</sup> قال: قال أمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup> حنكونا أولادكم بالتمر هكذا فعل رسول الله<sup>'</sup> بالحسن والحسين<sup>عليهم السلام</sup>»<sup>(٧٩)</sup>.

الثالثة: الظاهر إن المقصود من التحنين هو إدخال الشيء إلى أعلى داخل الفم، كما صرح بذلك كثير من الأعلام وعلماء اللغة، قال ابن منظور في لسان العرب:

«والحنك هو باطن أعلى الفم من داخل.... والتحنيك أن تمضغ التمر وتدلّكه بحنك الصبي داخل فمه»<sup>(٨٠)</sup>.

#### ٩ - الإفطار على التربة الحسينية يومي الفطر وعاشراء:

ذكر الشيخ الكليني في كتابه الكافي عن علي بن محمد النوفلي قال: «قلت لأبي الحسن عليه السلام إني أفطرت يوم الفطر على طين وتمر، فقال لي: جمعت بركة وسنة»<sup>(٨١)</sup>.

وجاء في الفقه الرضوي: «والذي يستحب الإفطار عليه يوم الفطر البر والتمر، وروي عن العالم عليه السلام الإفطار على السكر، وروي: أفضل ما يفطر عليه طين قبر الحسين عليه السلام»<sup>(٨٢)</sup>.

وقال الشيخ في مصباحه: (إذا كان يوم عاشوراء أمسك عن الطعام والشراب إلى بعد العصر ثم يتناول شيئاً من التربة)<sup>(٨٣)</sup>.  
فهنا مطليان:

الأول: جواز بل استحباب الإفطار على التربة الحسينية يوم عيد الفطر.

الثاني: استحباب الإفطار على التربة بعد العصر يوم عاشوراء.

أما بالنسبة للأول – أي الإفطار يوم العيد – فيظهر من الشيخ الصدوق رحمه الله الإمام الإفتاء به، وذلك لما التزم به في أول كتابه من أنه لا ينقل فيه إلا ما يفتى به بينه وبين ربها<sup>(٨٤)</sup>.

وأما بالنسبة للثاني – أي الإفطار عليه يوم عاشوراء – فيظهر من كتاب المصباح بأن الشيخ الطوسي رحمه الله يفتى به أيضاً، إلا أنه عاد وعدل عنه في كتاب النهاية حيث قال: (لا يجوز أكل شيء من الطين على اختلاف أجنباسه إلا طين قبر الحسين بن علي عليه السلام فإنه يجوز أن يؤكل منه يسيراً للاستشفاء به)<sup>(٨٥)</sup>. حيث حصر الجواز بقصد

الاستشفاء دون غيره.

ولكن جل الأصحاب لم يفتوا بجواز الإفطار على التربة في أي من الموردين، بل ندر أن تجد من يفتى بالجواز، والسبب في ذلك واضح؛ إذ أن مستند الحكم منحصر في ما ذكرناه، والمناقشة فيها غير خافية:

أما مرسلة الفقه الرضوي فضعفها واضح، فلا يمكن الاستناد إليها. وأما ما نقله الشيخ في مصباحه - مضافاً إلى عدوله عنه في كتاب النهاية - فلم نعرف مستنته، ولم يُسنده إلى أحد المعصومين عليهما السلام.

أما رواية علي بن محمد النوفلي فقد أوردها الشيخ الحر العاملي رحمه الله في وسائل الشيعة<sup>(٨٦)</sup> بهذا اللفظ الذي أوردناه، نقاً عن كتاب الكافي، وهي بهذا اللفظ ظاهرة في المدعى، إذ أن المنصرف من لفظ الطين هو طين قبر الحسين عليهما السلام كما نبهنا عليه سابقاً، ولكن في نسخة الكافي المطبوعة ورد «إني أفترط يوم الفطر على تين وتمرة»، وهذا اللفظ لو صح لما كان في الرواية دلالة على المدعى، ولعل الصحيح هو ما نقله في الوسائل، بقرينة قوله (بركة وسنة)، وقد نقلها ابن طاووس رحمه الله عن الشيخ الكليني بنفس اللفظ الذي أورده في الوسائل<sup>(٨٧)</sup>، كما رواها الصدوق في الفقيه أيضاً بسنده عن علي بن محمد النوفلي إلا أنه قال: «إني أفترط يوم الفطر على طين القبر وتمرة»<sup>(٨٨)</sup>، وعليه فالظاهر خطأ ما ورد في النسخة المطبوعة من الكافي، وهذا اللفظ الذي أورده الصدوق أشد صراحة من لفظ الكافي، إذ يعبر بـ(طين القبر) بدلاً من التعبير بـ(طين).

وعلى أي حال فالرواية من جهة السنّد ضعيفة لوجود سهل ابن زياد في سنّد الشيخ الكليني، على أن نفس الراوي أي علي بن محمد النوفلي مجهول، إذ لم يرد في حقه أي توثيق، وهو موجود في سنّد الكليني والصدوق.

وعليه فهذه النصوص مع ما بها من ضعف، وإعراض الأصحاب عنها، لا تكفي لرفع اليد عن عمومات ما دل على حرمة أكل الطين.

هذا وربما أمكن حمل النصوص -كما فعل البعض- على ما إذا كان مريضاً وقصد الاستشفاء بأكلها، ورغم أن النص غير ظاهر في ذلك، إلا أن هذا الحمل أولى من طرح الرواية من رأس.

نعم لا ينبغي الشك في الجواز لو مُرِجَ الطين بماء أو بشراب على نحو يستهلك فيه، لارتفاع الاسم وخروجه بذلك عن موضوع الحرمة كما تقدمت الإشارة إليه فيما سبق، إلا أنه لا يختص بهذين اليومين كما هو واضح.

هذا تمام الكلام في هذا المبحث، وبه يتم الكلام في ما أردتُ إيراده من أحکام التربة الحسينية على مشرفها الآف التحية والسلام.

«اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةً لِّهُسَيْنِ الْكَطَلَلَةِ يَوْمَ الْوُرُودِ، وَبَيْتٌ لِّي قَدَّامَ صَدِيقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْهُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْهُسَيْنِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَاجِهِمْ دُونَ الْهُسَيْنِ الْكَطَلَلَةِ» ..

## المواهش

- (١) العروة الوثقى ١: ١٨٩، طبعة جامعة المدرسين في قم.
- (٢) غایة المرام في شرح شرائع الإسلام ٤: ٦٥.
- (٣) الروضة البهية في شرح الملمعة الدمشقية ٧: ٣٢٦.
- (٤) العروة الوثقى ٢: ٨٢، طبعة جامعة المدرسين في قم.
- (٥) وسائل الشيعة ٣: ٢٩. الحديث ٣ من الباب ١١ من أبواب التكفين.
- (٦) ستأتي الإشارة إلى هذه الروايات في ضمن المبحث السابع المتعلق بالاستشفاء بالتربة الحسينية.
- (٧) الدروس الشرعية ١: ١١٠.
- (٨) قال في العروة: والأولى أن يكتب الأدعية المذكورة بتربة قبر الحسين الكتلة. راجع العروة الوثقى ٢: ٧٧، طبعة جامعة المدرسين في قم.
- (٩) الاحتجاج ٢: ٤٨٩، وراجع وسائل الشيعة ٣: ٥٣، الحديث ٣ من الباب ٢٩ من أبواب التكفين.

- (١٠) وسائل الشيعة: ٣٢٩، الحديث ٣ من الباب ١١ من أبواب التكفين.
- (١١) نقله عنه ابن إدريس في (السرائر: ١٦٢).
- (١٢) كابن إدريس في (السرائر: ١٦٢)، والعلامة في (مختلف الشيعة: ٤٠٦).
- (١٣) جامع المقاصد: ٣٩٦.
- (١٤) مصباح المتهدج: ١٨.
- (١٥) العروة الوثقى: ٢، ١٢٠، طبعة جامعة المدرسين في قم.
- (١٦) منتهي المطلب: ١: ٤٦١.
- (١٧) وسائل الشيعة: ١٤: ٥٢٤، الحديث ٩ من الباب ٧٠ من أبواب المزار وما يناسبه.
- (١٨) وسائل الشيعة: ١٤: ٥٢٢، الحديث ٥ من الباب ٧٠ من أبواب المزار وما يناسبه.
- (١٩) مصباح المتهدج: ٧٣٥.
- (٢٠) العروة الوثقى: ٢، ٣٩٧، طبعة جامعة المدرسين في قم.
- (٢١) مصباح المتهدج: ٦٧٧. وراجع وسائل الشيعة: ٣٦٦، الحديث ٣ من الباب ١٦ من أبواب ما يسجد عليه.
- (٢٢) إرشاد القلوب: ١١٥. وراجع وسائل الشيعة: ٣٦٦، الحديث ٤ من الباب ١٦ من أبواب ما يسجد عليه.
- (٢٣) من لا يحضره الفقيه: ١: ١٧٤. وراجع وسائل الشيعة: ٣٦٥، الحديث ١ من الباب ١٦ من أبواب ما يسجد عليه.
- (٢٤) الاحتجاج: ٤٨٩. وراجع وسائل الشيعة: ٣٦٦، الحديث ٢ من الباب ١٦ من أبواب ما يسجد عليه.
- (٢٥) من لا يحضره الفقيه: ١: ١٧٧. وراجع وسائل الشيعة: ٣٦٧، الحديث ١ من الباب ١٧ من أبواب ما يسجد عليه.
- (٢٦) العروة الوثقى: ٢، ٦١٦، طبعة جامعة المدرسين في قم.
- (٢٧) من لا يحضره الفقيه: ١: ١٧٤. وراجع وسائل الشيعة: ٣٦٥، الحديث ١ من الباب ١٦ من أبواب ما يسجد عليه.
- (٢٨) مصباح المتهدج: ٧٣٥، وراجع وسائل الشيعة: ٦، ٤٥٦، الحديث ٦ من الباب ١٦ من أبواب التعقيب وما يناسبه.
- (٢٩) تهذيب الأحكام: ٦، ٧٥، وراجع وسائل الشيعة: ١٤: ٥٣٦، الحديث ١ من الباب ٧٥ من أبواب المزار وما يناسبه.

(٣٠) تهذيب الأحكام: ٧٥، وراجع وسائل الشيعة: ١٤، ٥٣٦، الحديث ٢ من الباب ٧٥ من أبواب المزار وما يناسبه.

(٣١) أورد هذه المسائل في الجزء الثاني كتاب الأطعمة والأشربة، تحت عنوان «القول في غير الحيوان»

(٣٢) الكافي: ٦: ٢٦٥، ٢٦٦: ٢٤، وراجع وسائل الشيعة: ٢٤، ٢٢٦، الحديث ١ من الباب ٥٩ من أبواب الأطعمة المحرمة.

(٣٣) الكافي: ٦: ٢٦٦، ٢٦٦: ٢٤، وراجع وسائل الشيعة: ٢٤، ٢٢٦، الحديث ٢ من الباب ٥٩ من أبواب الأطعمة المحرمة.

(٣٤) كامل الزيارات: ٢٨٦، وراجع وسائل الشيعة: ٢٤، ٢٢٨، الحديث ٤ من الباب ٥٩ من أبواب الأطعمة المحرمة.

(٣٥) مصباح المتهدج: ٦٧٦، ٦٧٧، وراجع وسائل الشيعة: ٢٤، ٢٢٩، الحديث ٦ من الباب ٥٩ من أبواب الأطعمة المحرمة.

(٣٦) كامل الزيارات: ٢٨٥، وراجع وسائل الشيعة: ١٤، ٥٢٨، الحديث ١ من الباب ٧٢ من أبواب المزار وما يناسبه.

(٣٧) مصباح المتهدج: ٦٧٧، ٦٧٧، وراجع وسائل الشيعة: ٢٤، ٢٢٩، الحديث ٧ من الباب ٥٩ من أبواب الأطعمة المحرمة.

(٣٨) كامل الزيارات: ٢٧٧، وراجع وسائل الشيعة: ١٤، ٥٣٠، الحديث ٤ من الباب ٧٢ من أبواب المزار وما يناسبه.

(٣٩) وهما الرواية الخامسة والستة حيث ورد فيما التقييد بمقدار الحمصة، وفي الرواية السابعة إشارة إلى كفاية القليل منه (مثل رأس الأنملة) وهو قريب من مقدار الحمصة.

(٤٠) قال الشيخ في النهاية: ٥٩٠ (إنه يجوز أن يؤكل منه اليسيير للاستشفاء)، ومثله ابن البراج في كتاب المذهب: ٤٢٩، وابن حمزة في الوسيلة: ٣٦٣، وابن زهرة في الغنية: ٣٩٧، وابن إدريس في السرائر: ٣. ١٢٤

وقيده المحقق في الشرائع: ٣. ٢٤٥ والمختصر النافع: ٢٤٥ بمقدار الحمصة، وتبعه على ذلك العلامة في القواعد: ٣٢٩ والتحرير: ٢: ١٦١، والشهيد الأول في الدروس: ٣: ١٤ واللمعة: ٢٣٠، وتبعهم أكثر من جاء بعدهم.

(٤١) كامل الزيارات: ٢٨٠، وراجع وسائل الشيعة: ٢٤، ٢٢٨، الحديث ٣ من الباب ٥٩ من أبواب الأطعمة المحرمة.

(٤٢) كامل الزيارات: ٤: ٤٥٧. الباب ٨٩ الحديث ٤.

- (٤٣) كاملاً زيارات : ٤٦٨. الباب ٩٣ الحديث .٢
- (٤٤) كاملاً زيارات : ٤٦٧. الباب ٩٢ الحديث .٦
- (٤٥) كاملاً زيارات : ٤٧٠. الباب ٩٣ الحديث .٥
- (٤٦) تهذيب الأحكام : ٧٢:٦
- (٤٧) كاملاً زيارات : ٤٥٦. الباب ٨٩ الحديث .٢
- (٤٨) كاملاً زيارات : ٤٥٦. الباب ٨٩ الحديث .٣
- (٤٩) كاملاً زيارات : ٤٦٦. الباب ٩٢ الحديث .٤
- (٥٠) عدة الأصول ١: ١٥٤.
- (٥١) فهرست كتب الشيعة وأصولهم: ٤٠٥. ترجمة ابن أبي عمير.
- (٥٢) فقد ضعف في (التهذيب: ٩. ٣٩٣). الحديث ٩ سند رواية رواها ابن أبي عمير، لأن في سنه أبا سمينة، ولو كان الطريق الذي ذكره في الفهرست طريق لجميع روايات ابن أبي عمير لما كان هناك معنى لهذا التضييف، لأن الرواية ستكون صحيحة بالطريق الفهرست.
- (٥٣) كاملاً زيارات : ٤٥٧. الباب ٨٩ الحديث .٤
- (٥٤) كاملاً زيارات : ٤٧٨. الباب ٩٥ الحديث .٢، ومثله في ص ٤٧٣. الباب ٩٣ الحديث .١٠
- (٥٥) كاملاً زيارات : ٤٦٢. الباب ٩١ الحديث .٧
- (٥٦) كاملاً زيارات : ٤٧٦. الباب ٩٤ الحديث .١
- (٥٧) كاملاً زيارات : ٤٦٩. الباب ٩٣ الحديث .٣
- (٥٨) كاملاً زيارات : ٤٦٩. الباب ٩٣ الحديث .٤
- (٥٩) كاملاً زيارات : ٤٧٣. الباب ٩٣ الحديث .١٠
- (٦٠) كاملاً زيارات : ٤٧٤. الباب ٩٣ الحديث .١٢
- (٦١) كاملاً زيارات : ٤٧٧. الباب ٩٤ الحديث .٣
- (٦٢) وسيلة النجاة، الجزء الثاني، كتاب النكاح، القول في أحكام الولادة وما يلحقها.
- (٦٣) النهاية في مجرد الفقه والفتاوی: ٥٠٠
- (٦٤) المهدب ٢: ٢٥٩
- (٦٥) الوسيلة إلى نيل الفضيلة: ٣١٥
- (٦٦) السرائر ٢: ٦٤٦
- (٦٧) المختصر النافع: ١٩٣

- (٦٨) قواعد الأحكام: ٩٧. (٦٩) كفخر المحققين في إيضاح الفوائد ٣: ٢٥٨، والشهيد الأول في اللمعة الدمشقية: ١٧٥، وابن فهد في المذهب البارع ٤٢٣: ٣.

(٧٠) الكافي: ٦: ٢٤. وراجع وسائل الشيعة ٢١: ٤٠٧، الحديث ٣ من الباب ٣٦ من أبواب أحكام الأولاد.

(٧١) كامل الزيارات: ٦: ٤٦٦. الباب ٩٢ الحديث ٢.

(٧٢) وسائل الشيعة ١٤: ٤٠٧-٤٠٤، الباب ١٤ من أبواب المزار وما يناسبه، الأحاديث ٢، ٧، ١٠. وراجع وسائل الشيعة ٢١: ٤٠٧، الباب ٣٦ من أبواب أحكام الأولاد، الأحاديث ٢، ٤.

(٧٣) الكافي: ٦: ٢٤.

(٧٤) وسائل الشيعة ٢١: ٤٠٧. الحديث ٤ من الباب ٣٦ من أبواب أحكام الأولاد.

(٧٥) الكافي: ٦: ٢٣.

(٧٦) من لا يحضره الفقيه: ٣: ٤٨٤.

(٧٧) من لا يحضره الفقيه: ٣: ٤٨٨.

(٧٨) فقد روى البخاري في صحيحه (حدثني إسحق بن نصر حدثنا أبوأسامة قال حدثني بريد عن أبي بردة عن أبي موسى قال: ولد لي غلام فأتت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلى وكان أكبر ولد أبي موسى) راجع صحيح البخاري ٥: ٢٠٨١.

ورووى مسلم حديثا آخر في تحنيك الرسول ﷺ لعبد الله ابن الزبير حينما ولد، راجع صحيح مسلم ٣: ١٦٩٠.

ووردت روايات عديدة في بقية صحاحهم تشير إلى ما ذكرناه.

(٧٩) الكافي: ٦: ٢٤.

(٨٠) لسان العرب ١٠: ٤١٦، مادة (حنك).

(٨١) الكافي: ٤: ١٧٠. وراجع وسائل الشيعة ٧: ٤٤٥. الحديث ١ من الباب ١٣ من أبواب صلاة العيد.

(٨٢) فقه الرضا: ٢١٠.

(٨٣) مصباح المتهجد: ٧٧١.

(٨٤) ذكر ذلك في مقدمة كتابه، راجع (من لا يحضره الفقيه ١: ٣).

(٨٥) النهاية في مجرد الفقه والفتوى: ٥٩٠.

(٨٦) وسائل الشيعة ٧: ٤٤٥. الحديث ١ من الباب ١٣ من أبواب صلاة العيد.

(٨٧) إقبال الأعمال: ٢٨١.

(٨٨) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٧٤.

## الإنسان والمسؤولية

السيد مجید السيد حمزة العلوی

جاءت ثورة الإمام الحسين عليه السلام في وقت قد تخلت فيه الغالبية الساحقة من أبناء الأمة عن مسؤوليتها الملقاة على عاتقها، فقام صلوات الله وسلامه عليه بحركته المباركة من أجل أن يعيد الأمة إلى مسارها الصحيح وأن يضعها على خط المسؤولية الذي أراده الله لها. فنجد وهو في طريقه إلى العراق يذكر الناس بقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالف لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعذوان، ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقيقة على الله أن يدخله مدخله))<sup>(١)</sup> فنجد كلمة (يغير) تفتح على الإنسان باباً واسعاً من المسؤولية بحيث يبدأ عملية التغيير بالنفس، ومنها ينتقل إلى الأهل والمجتمع بما فيه من الحاكم والمحكوم. فمسؤولية الإنسان في هذا العالم الواسع تختلف عن بقية الكائنات.

فما هي العوامل التي يمكن لها أن توفر العون للإنسان في تحمل عبء هذه المسؤولية؟

يعتبر الإنسان أشرف مخلوقات الله وأكرمها وأعظمها على وجه الأرض فقد خلقه وميّزه بخصائص ومميزات جعلته مؤهلاً لتحمل المسؤولية الإلهية، فهو يملك العلم والإدراك والإرادة، وأودع فيه العقل هذه النعمة العظيمة التي يستطيع من خلالها أن يصل إلى أعلى مراتب الكمال، هذا العقل الذي يدرك من خلاله عواقب الأمور، وبه يسيطر على شهواته وميولاته النفسية وبه يصل إلى السعادة

الأبدية.

فإن الحمادات والنباتات لا تملك العلم والإدراك والإرادة، فهي غير مؤهلة لتحمل المسؤولية، لأنها غير مسؤولة عن أعمالها، والحيوانات كذلك غير مؤهلة لذلك وإن كانت تملك الشعور والإحساس والإرادة ولكنها فاقدة للعقل، فهي غير قادرة على التفكير والتدبر في عواقب أعمالها، ولا يمكنها العمل وفق ضوابط وقوانين الحياة.

أما الملائكة فلا يتصور في حقهم المعصية، فإن وظيفتهم محددة. ((لا يعصون

الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون))<sup>(٢)</sup>

هذا الكون الواسع قد حدد الله عز وجل فيه وظيفة لكل كائن من أصغرها حتى أكبر شيء فيه، فلا تكاد ترى شيئاً إلا وله وظيفة قد تكون معلومة بالنسبة لنا وقد لا تكون كذلك.

وإذا كانت الكائنات الأخرى مسيرة لما خلقت له – أي تمضي في القيام بواجباتها حسب نظام كوني قدره الله لها – ينبغي للإنسان وهو الكائن المختار ذو الإرادة – بحسب طبيعته أيضاً – أن يعمل بمسؤولياته التي أوجبها الله عليه وإن كان يمكنه أن يتخلى عنها بحسب اختياره، ومن هنا تترتب النتائج فوزاً أو خسارة.

فالإنسان بطبيعته مختلف عن بقية الكائنات فقد روي عن عبد الله بن سنان أنه قال سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق فقلت: الملائكة أفضل أم إبن آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيها، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غابت شهوته عقله فهو شر

من البهائم<sup>(٣)</sup>.

فالإنسان عندما يستخدم نعمة العقل ويفعلها في حياته يكون قد وصل إلى مرحلة تؤهله لتحمل المسؤولية التي عبرت عنها الآية ((إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقت منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً))<sup>(٤)</sup>

وعندما نلاحظ الرسالات السماوية نجدها كلها جاءت لتبيّن للإنسان طبيعة هذه المسؤولية وتُعرّفه الطريق الذي يسلكه من أجل الوصول لأداء هذه المسؤولية، فالله عز وجل عندما خلق هذا الإنسان لم يخلقه عبشاً ((أفحسبتم أنها خلقناكم عبشاً وأنكم إلينا لا ترجعون))<sup>(٥)</sup> بل خلقه هدف سام وعظيم.

ففي الرواية عن جعفر بن عمارة عن أبيه، قال سألت الصادق جعفر بن محمد<sup>عليه السلام</sup> فقلت له: لمَ خلق الله الخلق؟

فقال: ((إن الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبشاً ولم يتركهم سدىً، بل خلقهم لإظهار قدرته وليكفلهم طاعته، فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة، ولا ليدفع بهم مضره بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد))<sup>(٦)</sup>.

فالإنسان إنما خُلق لكي يؤدي هذه المسؤولية الملقاة على عاتقه، فإذا قام بمسؤوليته استوجب بذلك رضوان الله عز وجل وعادت المنفعة لهذا الإنسان وحصل على النعيم الأبدي.

فقد شاعت إرادة الله تعالى أن تكون هذه الدنيا ورشة عمل كبيرة، وساحة سباق وتنافس في الخيرات.. ((هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أياكم أحسن

عملًا<sup>(٧)</sup>.

حتى إذا انتهت هذه المراحل الأرضية منذ أبينا آدم وحتى آخر خلائق أقبلنا على الساحة الثانية (المحشر والقيمة) التي يعلو فيها النداء ((وقفوهم إنهم مسؤولون))<sup>(٨)</sup>.

فقبل أن نقف ذلك موقف الحرج والصعب وهو يوم الحساب، فكما ورد عنهم عَزَّلَهُمْ ((اليوم عمل بلا حساب، وغداً حساب بلا عمل))<sup>(٩)</sup>.  
نحتاج أن نبادر للقيام بالمسؤوليات الملقاة على عواتقنا، فهناك عوامل تساعدنا في ذلك منها:

## ١ - الإيمان

نحن نؤمن بالله عز وجل على نحو الإجمال، ولكن نحتاج إلى معرفته والإيمان به على نحو التفصيل.. في آياته في الكون، وفي آياته في الكتاب الكريم.. فكلما ازدمنا إيماناً بالله ازدمنا حباً له وطاعة لما يريد من مسؤوليات، فهناك حالة طردية بين الإيمان والقيام بالمسؤوليات.

## ٢ - العلم والمعرفة

كان العلم والمعرفة منذ البدء وسيبقىان سلاحين في معركة الإنسان ضد الجهل والكفر وجميع الأوضاع الظلامية والمتخلفة.  
والعلم والمعرفة ليسا مجرد عملية حفظ مصطلحات وتخزين وتكميس للمعلومات، فالمعرفة في الإسلام مسؤولية (من عرف دلته معرفته على العمل)<sup>(١٠)</sup>.

ومن هنا فلابد من العمل على تنويع وتوظيف معارفنا من أجل أن تساعدنا على القيام بمسؤوليتنا.

### ٣ - العزم والإرادة

من غير العزم والإرادة سوف لن يستطيع الإنسان القيام بأي مسؤولية عليه، فعندما يفقد الإنسان العزم والإرادة ويميل إلى الدعة والراحة ويشارك في مجالس اللغو واللهو والثرثرة والتصرفات اللامسؤولة سوف يُضيع الكثير من طاقته، وسوف يتوجه للخمول والكسل والتقاعس بحيث يفقد الكثير الكثير من طاقته. الإنسان في موسم العطاء (مرحلة الشباب) يستطيع أن يقوي عزمه وإرادته بحيث تتعكس هذه المرحلة على جميع مراحل حياته وتكون سبب لنجاته.

### ٤ - التفقه في الدين:

إن مسؤولية الإنسان منذ أن تطاً قدماه ساحة البلوغ هي التفقه في الدين وهي مسؤولية تتطلب التعرف على حلال الله وحرامه في شؤون الحياة كلها. إن الثقافة الفقهية ليست حاجة كمالية بل حاجة أساسية على اعتبار أنها تحدد لك موقفك الشرعي من الأحداث والسلوك والمعاملات والعلماء، ذلك أن الشريعة هي قانون الحياة الإسلامية ودستورها، وأيّ جهل بالقانون يؤدي لا محالة إلى عدد من المخالفات التي تضر بالمخالف نفسه من جهة وبين يتعامل معهم في المحيط الاجتماعي من جهة ثانية.

إن السبيل للقيام بالمسؤولية على أكمل وجه هو التفقه في الدين، فعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ((الفقه مفتاح البصيرة وتمام العبادة والسبب إلى المنازل

الرفيعة))<sup>(١١)</sup>.

هذا الحديث يوضح مسألة مهمة هي أن الإنسان الذي يقوم بمسؤوليته على أكمل وجه يحصل على أعلى الدرجات الإنسانية، ويكون موضع تقدير واعتزاز، ويكون مورداً للطف الإلهي.

نماذج من مسؤوليات الإنسان:<sup>(١٢)</sup>

### ١ - المسؤولية أمام الله تعالى:

كلّ المسؤوليات تجتمع في النهاية لديه، ولا سبيل للفوز برضوان الله وجنته إلا بسلوك الصراط المستقيم.

### ٢ - مسؤولية الانتماء إلى الإسلام:

فالإسلام وهو – كما تعرف – ليس مجرد نطق بالشهادتين ولا مجرد عبادات شكلية بل هو عملٌ كله، ولهذا نرى أن هناك عدداً من الأحاديث أخرجت بعض المسلمين من أسرة المسلمين لأنهم لم يلتزموا ولم يعمدوا بمتطلبات الإيمان، ونظرية فاحصة في هذه الأحاديث تبين لنا أن (الإسلام مسؤولية) في كل شيء وأن كلمة (ليس منا) هي استبعاد لكل من لا يشعر بمسؤوليته عن دائرة الإسلام.

### ٣ - مسؤولية الوقت:

أعمارنا هبة الله إلينا، وهي المساحة الواسعة من الأراضي الزراعية التي ترك لنا زراعتها، حتى إذا كان يوم الحصاد الأكبر (يوم القيمة) سألنا عما فعلنا بمزارعنا، وعن محاصيلنا فيها.

#### ٤ - مسؤولية العلم:

مسؤولية العلم لا تجُوز لك أن تكتم علمك أو تحجبه أو تخفيه عمن هم بحاجة إليه فذلك أخطر من أن تختكر غذاء، فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ في التحذير من كتمان العلم (كاتم العلم يلعنه كل شيء حتى الحوت في البحر والطير في السماء) <sup>(١٣)</sup>.

#### ٥ - مسؤولية الكلمة:

الكلمة في الإسلام مسؤولة (وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) <sup>(١٤)</sup> رقيب يراقب أقواله في الخير وفي الشر، ذلك لأن اللسان كما في الحديث (مفتاح خير ومفتاح شر) <sup>(١٥)</sup>.

ومسؤولية الكلمة تتحدد في التفكير بها قبل إطلاقها، وإتباع الأسلوب الأمثل في إطلاقها ودراسة انعكاسها وتأثيرها على من يتلقونها.

إن كلماتنا الجميلة هي مثل المدايا. يستحسن أن نقدمها مغلفة بغلاف جميل حتى تسر الذين نقدمها إليهم.

وكلماتنا الناقدة مثل وخزات الإبر. يفضل أن لا تكون موجعة للدرجة التي تخرج سامعيها.

كلمتك إذاً مسؤوليتك ومادامت في عهديك وتحت طي لسانك فأنت قادر على التحكم بها، فإذا خرجت صارت في عهدة الآخرين وعليها ترتيب النتائج السلبية والإيجابية.

كلمتك صوتك.. هي أنت.. فلا تتبرع بها بالجان.. ولا تجعلها السفلى في تأييد

باطل هنا ومنكر هناك.

#### ٦ - مسؤولية العمل:

نحن أتباع دين يراد لنا أن نقرن (القول) بـ (العمل) وأن لا تكون كلماتنا أكبر من حجم قدراتنا، فالأعمال عادة تتكلّم بصوت أعلى من الأقوال ولذا جاء في الحديث ((كونوا دعاء للناس بغير ألسنتكم حتى يروا منكم الورع والاجتهاد والتقوى فذلك داعية))<sup>(١٦)</sup>.

دلالة على قدرة العمل الخارجي على التأثير.

#### ٧ - المسؤولية الشرعية:

إن الطريق إلى هذه المسؤولية يكون عبر الرجوع إلى الأمانة على الشريعة من يوثق بعلمهم ودينهم وبأخلاقهم من يستبطون أحكام الحلال والحرام من مصادرها الشرعية المعترفة.

#### ٨ - المسؤولية الأدبية والأخلاقية:

مسؤولية الإنسان هي نشر الفضيلة والأخلاق الإسلامية الحسنة، ومكافحة المساوئ والرذائل الأخلاقية، فعلاوة على أن هذه مسؤولية دينية فإنها مسؤولية اجتماعية أيضاً.

والمسؤولية الأدبية تنتظر من الإنسان أن لا يكون خشبة في مجرى الحملات المشبوهة التي تنسف هويته الإسلامية وتدعوه بأساليبها المختلفة إلى نبذ القيم وضرب العادات والتقاليد عرض الحائط.

## ٩ - المسؤولية الاجتماعية:

الإنسان في المجتمع تربطه من حوله شبكة من العلاقات: علاقة مع الوالدين والأسرة والأقرباء، وعلاقة مع الأخوات والأصدقاء والزملاء وعلاقة مع عامة الناس.

في العلاقة مع الوالدين والأسرة بما يتصل بها من الأرحام، فالإنسان مسؤول عن الإحسان للوالدين والبرّ بهما، وفي العلاقة مع أفراد الأسرة فالإنسان مسؤول عن احترام الكبير والعطف على الصغير مما يحقق الراحة النفسية للجميع، ويزيد الألفة والمحبة بينهم، والإنسان في حالة انتسابه لأسرة ذات سمعة حسنة بين الناس (فإن ذلك) يحمله أيضاً مسؤولية الحفاظ على سمعتها نقية زاهية. أما العلاقة مع الأخوان والأصحاب والأصدقاء فالإنسان مسؤول بأن يبنيها

على أساس (الإيان) (إنما المؤمنون إخوة)<sup>(١٧)</sup> حتى ينتفع بصحبتهم في الدنيا والآخرة، ومسؤول عن إصلاح الخلل فيما يقع بين الأخوات المقربين وأن يكون مرآتهم التي يرون منها جمال تصرفاتهم وقبحها.

وكذلك الإنسان مسؤول عن الناس الذين يعيشون حوله بحيث يسعى لخدمتهم والتعاون معهم في أعمال الخير والبر.

## ١٠ - المسؤولية الاقتصادية:

ونعني بها مسؤولية الإنسان في ترشيد الإنفاق والاستهلاك، فقد سادت أو شاعت النظرة المادية في حياتنا حتى تهالك الناس على الاستهلاك المبالغ فيه لل حاجيات بما يصل إلى حد التبذير والإسراف في بعض الأمور غير الضرورية أو

غير الأساسية.

المسؤولية الاقتصادية تتطلب أيضاً من الإنسان الميسور الحال أن يكون له إفاق خيري وما أكثر مجالاته.

## ١١ - المسؤولية السياسية والإعلامية:

في الحديث الشريف ((من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم))<sup>(١٨)</sup> هذه دعوة واسعة، مفتوحة للاهتمام بأمور وشؤون المسلمين أينما كانوا.. الاهتمام هنا لا يقف عند حد التأمل لما يتأنون والفرح بما يفرحون، بل يشتمل كل ما من شأنه أن يجعل حياتهم المادية والمعنوية كأفضل ما يكون.

وعلى ضوء ذلك فإن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينحصر في الدعوة إلى الإصلاحات الأخلاقية ومحاربة المكررات الاجتماعية فقط، بل يمثل مسؤوليتنا كمسلمين في أن يكون لنا ( موقف ) من الإصلاح والفساد كله.. بأن نغير الفاسد ب مختلف أساليب التغيير وضمن الإمكانيات المتاحة التي تسمح بها الشريعة... ونشجع الإصلاح والمعروف.

مثلاً قد تبدو في نظر البعض مقاطعة سلع وبضائع العدو المحتل غير مؤثرة كثيراً على اقتصاد سوقه لكنها في حساب الموقف كبيرة جداً.

إنها تمثل (ثقافة الحضور) فمقاطعة هنا ومقاطعة هناك، تجعل الرقعة تتسع والتأثير يكبر والعدو يصرخ متائلاً.

ولذا فإن الطريق إلى تحمل المسؤولية السياسية يمر من عدة قنوات؛ إحداها (الوعي) والبيئة السياسية لما يجري هنا وهناك من مخططات وشعارات ومؤامرات وتحركات ليس على الساحة المحلية فقط بل الدولية أيضاً.

ثم (الحضور السياسي) بأن يكون للإنسان رأيه في قضايا أمته الحاضرة والمستقبلية، لسبب بسيط وهو أنه جزء لا يتجزأ من هذه الأمة... والمسؤولية الإعلامية تتركز في نقد الإعلام المابط وعدم التعاطي مع مواده على أنها مقدسة لا يطأها النقد، بل لابد من الكتابة إلى الصحف والمجلات عن الإعلام الغربي والمطالبة بوضع حد له.

إن غياب النقد لهذا الإعلام سوف يرفع من مكانته ويوسع من قنواته، كما أن الإقبال على البرامج النظيفة التي راحت تبث في هذه القناة أو تلك، أو هذا الموضع على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) أو ذاك سوف يفتح للإنسان نوافذ جديدة وجادة للمعرفة.

### ١٣ - المسؤولية التاريخية:

صفحات التاريخ بخيرها وشرها انطوت.. إنها مسؤولية الماضين لا نحاسب على سلبياتها ولا نكافأ على إيجابياتها، ولكن ما هو الموقف من التاريخ؟ إن دروس التاريخ وعبره كثيرة يمكن أن نستلهم منها أفكاراً وخبرات وتجارب جديدة، فلقد ثبت بالتجربة أن الذين أمعنوا النظر في التاريخ وتعلموا في دلالات أحداشه كانوا أقوى في نظرتهم للواقع والمستقبل. نحن لا ندعوا إلى الاستغراق في الماضي، ولكننا نأخذ من ماضينا حاضرنا مما ينفع ويغني وتلك دعوة القرآن إلينا:

((قل سيروا في الأرض فانظروا...))<sup>(١٩)</sup>

وكذلك اهتم القرآن بسرد قصص الأمم الماضية حيث قال ((لقد كان في

قصصهم عبرة لأولى الألباب))<sup>(٢٠)</sup>.

### على طريق المسؤولية:<sup>(٢١)</sup>

- ١ - المسؤوليات معرفة؛ اعرف تفاصيل المسؤولية لتعرف ماذا يراد منك؟  
اعرف أهميتها حتى تتفاعل معها وتسعى لتحقيقها.
- ٢ - كن مشغولاً بما أنت عنه مسؤول فمن اشتغل بالمهم ضيع الأهم فليس في  
الحياة متسع للهوا من الشور والتوافة من الأمور.
- ٣ - الروتينية والرتابة يقتلان روح المسؤولية.. حاول أن تجدد في أسلوب  
التعامل مع مسؤولياتك ولا تجمد على حالة معينة، فالركود والتقليد الأعمى  
يجعلان المسؤوليات إلى أعباء لا يطيق الكاهل حملها.
- ٤ - لا تؤجل المسؤوليات لأنها تراكم وبالتالي فقد تهمل لصعوبة القيام بها  
في الحديث (إياك والتسويف، فإنه بحر يغرق فيه الملك)<sup>(٢٢)</sup>.
- ٥ - تعاطي مع المسؤولية بروح منفتحة وكأنك أنت أخذتها على نفسك حتى  
تتمكن من إنجازها على أحسن وجه.. أحبب المسؤولية يتحسن إنتاجك.
- ٦ - المسؤولية إثراء لأبعاد الشخصية، فبقدر ما تأخذ المسؤولية من وقتك  
وجهدك تعطيك عقلاً أنصج وقدرة على التحمل أكبر، وتجربة أغنى ومعرفة  
أوسع.
- ٧ - الكسل والضجر عدوان لدوستان للمسؤولية، ((إياك والكسل والضجر،  
فمن كسل لم يؤدي حقاً، ومن ضجر لم يصبر على حق))<sup>(٢٣)</sup>.  
الكسل خمول وفتور في الهمة، والضجر ملل وسأم وتبزم وانصراف عن القيام

بالمسؤولية.

٨ - الروح الجماعية في إنجاز المسؤوليات تساعد على التخفيف من ثقلها وعلى الإبداع في إنجازها وعلى الشعور بالمسؤولية في تحقيق مهام مشتركة تقرب الأهداف البعيدة.

٩ - قراءة كتاب الله المجيد والأحاديث الشريفة والصحيحة التي توافق كتاب الله أفضل مجال للتنقيف بالمسؤوليات.

١٠ - الإصرار على القيام بالمسؤولية حتى الوصول إلى الهدف وبغض النظر عن النتائج، فإن الطبيب يتحتم عليه بذل قصارى جهده في علاج المريض ونجاحه يتمثل في بذل جهده وبغض النظر عن شفاء المريض وعدمه.

### نتائج الإلتزام بالمسؤولية

إن العمل بأية مسؤولية والقيام بها على أكمل وجه سيؤدي إلى واحدة أو أكثر من النتائج التالية:

١ - إن الأخذ (ببدأ المسؤولية) يفتح باب الحرية بطريقة منتظمة لا تعدى فيها ولا ظلم.

٢ - المسؤولية توجه نشاط الإنسان وتجعله ذا موقف وإرادة، أي أن الإنسان المسؤول يتحول بتحمله لأعباء المسؤولية إلى إنسان هادف، فلا يتحرك إلا نحو هدف مرصود.

٣ - المسؤولية الإسلامية، لا هوية جغرافية لها، فمساحتها العالم كله.

٤ - النماذج الإيجابية الناهضة بمسؤولياتها على ما يرام تعمل كأدوات محرضة أو حفزة على الاحتذاء والتأسي من قبل المتقاعسين أو المتنصلين.

٥ - بقدر ما يحمل الإنسان من أعباء المسؤولية في هذه الدنيا تتحدد له مستويات الشواب والعقب في الآخرة.

### كلمةأخيرة..

حينما قال رسول الله ﷺ :

((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))<sup>(٢٤)</sup> فإنه قد جعل كل مسلم مسؤولاً مهما كان موقعه في المجتمع.

من هنا، فإن حالة القنوط والتشاؤم التي تنتشر في أوساط الناس لابد من نزعها من طريقهم والعمل على بث روح التفاؤل والأمل وفتح أبواب الحوار الجاد المثير القائم على احترام رأي الآخر حتى لو اختلف معنا.

### المواهش

- (١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨٢.
- (٢) سورة التحرير، الآية : ٦.
- (٣) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٢٤.
- (٤) سورة الأحزاب، الآية : ٧٣.
- (٥) سورة المؤمنون، آية : ١١٥.
- (٦) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٢٤.
- (٧) سورة الملك، الآية : ٣.
- (٨) سورة الصافات، الآية : ٢٤.
- (٩) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٣٢.
- (١٠) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ١٨٧٠.
- (١١) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٤٥٤.
- (١٢) اعتمدت في مادة هذا الباب على كتاب (الشباب تطلع نحو المسؤولية) صادر عن دار البلاع.
- (١٣) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠٧٤.

- (١٤) سورة ق، الآية: ٨  
 (١٥) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٢٧٧٧.  
 (١٦) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٦٠٢.  
 (١٧) سورة الحجرات، الآية: ١٠.  
 (١٨) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٣٤٤.  
 (١٩) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.  
 (٢٠) سورة يونس، الآية: ١١٠.  
 (٢١) استفدت من نفس المصدر السابق.  
 (٢٢) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٣٨٨.  
 (٢٣) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٧٠٦.  
 (٢٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٢١٢.

كَلْمَر رَأْيِ  
 وَكَلْمَر مَسْؤُلٌ عَنْ رَبِّهِ



# التطور والإبداع بين السلب والإيجاب

حسن عيسى مرزوق

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾<sup>(١)</sup>

## المقدمة

لقد أودع الله في الإنسان نعماً كثيرة، من طاقات جبارة وقدرات عظيمة، وشرفه بنعمة العقل والتفكير والاختيار، ونتاج هذه الموهب من أفعال الإنسان تجسيد لهذه الطاقات والقدرات، وعندما تتحول هذه الطاقات إلى أعمال خربة أو غير هادفة فكأنها فنيت أو ضاعت، فهي كمثل الإنسان الذي يحمل معه ثروة عظيمة، ولكنه لا يحسن التدبير ولا يدرى ما يفعل بها فيتلفها بسوء تدبيره. والخسران الحقيقى والمضارع هو أن يفقد الإنسان كل شيء في مسالك خاطئة و مجالات منحرفة ويظن أنه أحسن العمل، ولا يلتفت إلى ما هو فيه فيعيش الجهل المركب، فيكون مصداقاً للآية المباركة : ﴿قُلْ هَلْ نُبَيِّكُمْ بِالْأَنْحَسْرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(٢)</sup>. ولذلك لابد لنا أن نوظف هذه النعم والطاقات والملكات في السير نحو التكامل ونحو المهدى من خلقنا، ولا يمكن الوصول إلى التكامل المنشود إلا بالتعامل والتعاون والتشاور فيما بيننا وحفظ الواقع والخصوصيات لكل فرد بحسب الإمكانيات والتخصصات والقدرات التي يحملها.

## مدخل

انتشرت بعض الظواهر الخطيرة في مجتمعاتنا الحافظة باسم التطور والإبداع، نتيجة المدّ الثقافي المنحرف ضمن خطط مدروس ومحكم لاغتيال الهوية الدينية، فكان من ضمن قنواته - وللأسف الشديد - بعض المفكرين والباحثين والذين يشهدون بالشهادتين ولكنهم مصابون بفيروس الحداثة المطلقة غير المراعية للقيم والتعاليم الإسلامية والعرفية؛ وأخرى نتيجة الجهل الفقهي والفقير العقائدي والتهاون في مواجهته، وبالتالي فقدان المانعة الفقهية وال الدرع العقائدي السبب الذي سهل كثيراً إختراق مجتمعنا في دينه وفكره وعرفه وأصالته، ولذلك فعلى المعنيين من طلبة علوم ومثقفين وعاملين وكل من له موقع ديني واجتماعي من يحملون الحس الأصيل، التفكير الجاد في إعادة تقويم كثير من الظواهر والتحرك نحو إيقاف هذا المدّ والأخذ بيد الأجيال القادمة نحو الأصالة الدينية، والعودة إلى التقاليد والقيم الإسلامية السامية التي نشأت عليها مجتمعاتنا، والسير قدماً نحو التطور والإبداع بتفعيل الطاقات العاملة واستثمار الكوادر الفاعلة وإبراز القدرات الكامنة والعمل على تهذيب هذه التطورات والإبداعات بأن تكون ضمن الإطار الإسلامي الحافظ فقهياً وعرفياً.

ولو أفقنا قليلاً من عملية التخدير، وتأملنا في مفاصل الحياة وخصوصاً في المواسم العبادية والطقوس الدينية كشهر رمضان، وأيام عاشوراء، و الحج والعمرة، ومواسم الزيارات لرأينا بوضوح مدى التجاوزات الفقهية والأخلاقية والعرفية، وبعد أن كان شهر رمضان شهر القرآن والدعاء والعبادة، صار عند الكثير من أهل زماننا شهر التلفاز في برامجه المبتذلة والسهير مع آلات اللهو،

واستبدلت المساجد و المآتم و مجالس القرآن بالجمعيات التجارية و مراكز الإنترت إلى وجه النهار، وأما عن محرم الحرام شهر العطاء الحسيني شهر العفاف الزيني شهر البطولة الهاشمية شهر الوفاء المظاهري، هذه الأيام العظيمة التي سقطنا من فيض عطائها إيماناً وفكراً نقياً عبر منابرها ومواكبها، نرى فيها اليوم بعض التجاوزات والاشتباهات عند بعض الإخوة (الرواديد) الأعزاء في ما انتشر مؤخراً من إصدارات خاصة جلوس الأفراح و اللطميات العزائية \_ وأنا أقول البعض \_ والتي اشتغلت على بعض الكلمات وبعض الألحان والتأثيرات الصوتية التي لا تناسب مع الرأي الفقهي في بعض صورها، ولا تتوافق مع الذوق العربي الحافظ في بلداننا الكريمة تحت عناوين كثيرة، منها التطور والإبداع من أجل التأثير. وبما أن تأثير اللطميات العزائية وانتشارها على مستوى البلدان الإسلامية وفي الوسط الشبابي كبير جداً، سنتعرض إلى عدة التفاصيل مهمة في المسألة متوكلين على الله رب الرحيم :

## الأولى

تردد شعار أن سماع هذه الإصدارات بهذه الكيفية بدليل عن سماع الأغاني. هذا الشعار وإن كان في ظاهره حسن إلا أنه يحتاج إلى ترميم وتصحيح...  
أولاً : إذا كان الهدف من العزاء هو الانتقال بمشاعر وأحاسيس السامع إلى جو خاص يتناسب مع مقام هذا الحدث الأليم على المسلمين، فإذا صار سماع العزاء بدليل عن سماع الغناء وكان تأثير العزاء على السامع هو نفس التأثير الذي كان يستشعره عند سماع الغناء مع اختلاف المادة فقط، فهذا يعني قتل الهدف الحسيني الكبير من هذا العزاء، وهو نقل المجتمع إلى أن يعيش كربلاء في قيمها ومأساتها،

بل إنه يؤدي إلى وأد الحركة الحسينية وتحويلها من معركة نضال إلى أغنية جميلة وأنشودة عذبة كسائر الأناشيد.

ثانياً : الإسلام لم يأت لإيجاد البديل عن المعاصي والمخالفات والعادات الجاهلية، بل جاء بقوانين جديدة، وجاء ناسخاً للشائع السابقة وملغياً لكثير من العادات الجاهلية مثل العبودية وشرب الخمر ووأد البنات وغيرها، ودعا إلى كل ما يتناسب مع الفطرة السليمة ليحفظ بذلك كرامة الإنسان وسعادته. إذًا.. فعلينا الاختيار بين الإسلام وغيره لا على أساس أن الإسلام يتکفل بإيجاد البديل عن الخمر والميسر وعن المحرمات التي كانت تمارس قبل الإسلام، بل على أساس أنه الدين القيم الذي تکفل قوانينه للإنسان العدالة والمساواة والكرامة والسعادة.

قال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مُلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) <sup>(٣)</sup>. وقال تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...) <sup>(٤)</sup> وقال تعالى (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) <sup>(٥)</sup> ، و امتازت الشريعة الإسلامية بالشمول، ووضع الحلول لكافة المشاكل التي تعترى الإنسان في جميع جوانب الحياة، قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينَ﴾ <sup>(٦)</sup> فالإسلام أوجد الحلول بإيجاد شريعة كاملة لا أنه يوجد البديل عن المعاصي كلما ظهرت واستجذبت، أي إذا اعتاد الناس على ممارسات مخالفة للدين وصارت من روتين الحياة، واقتحموا المحرمات نتيجة عدم مراعاتهم للحكم الشرعي، فيتبين لهم بعد ذلك أنها تصطدم مع الشريعة المقدسة، طلب من الإسلام أن يوجد البديل وإلا أُتهم الإسلام بالنقص وعدم القدرة على إدارة الحياة !!

ولذلك لو تعاملنا مع العزاء بهذه النظرة الشكلية فقط وهي التركيز على جودة اللحن وقوّة التأثير في إحداث نشوة عند المستمع كما يركّز عليه الملحنون فإننا بذلك قد ربّطنا المستمع بأجواء اللحن نفسه، بمعنى أنّ نفس النشوة والاهتزاز اللهوي الذي يبغضه الشرع المقدّس ومن أجله حُرم الغناء والموسيقى اللهويّة، تكون نحن قد ساهمنا في زرعه وترسيخه في النفوس من خلال العزاء وهذا ما أراد الشرع المقدّس إبعاد الناس عنه.

## الثانية

نحن نعلم أننا في زمِنٍ كثُرت فيه الشبهات، واستعرَ الغزو الثقافي من خلال القنوات الفضائية والإِنْتِرْنَت الذي أثَر سلباً على عقول شبابنا وصار الشاب يتأثُر ويُتزلزل بِأَبْسَطِ إِشكالٍ على الدين والعقيدة، وذلك لعدم وجود الحصانة الدينية \_ الفقهية والعقائدية \_ الكافية، وهذا يدعونا إلى أن نحافظ على الأصالة في ديننا وتقاليدنا التي ورثناها من آئمتنا وأجدادنا وأن لا يكون التطور والإِبداع والارتقاء على حساب تبييع وطمس الهوية الحسينية الأصيلة، وخير مثال على ذلك هو المنبر الحسيني، فمنذ وعيينا هذه الحياة كان المنبر ولا يزال هو المنبع الأصيل الذي تربينا تحته وتطور بما يتَّسَبُّبُ وهذا المكان المقدّس، تطور في الأسلوب والفكرة والكلمة المربيّة، ورفع مستوى الوعي، وربط الناس بالقرآن وبأهل البيت عليهم السلام وبخصوصاً صاحب العصر عليه السلام منبع العلوم وال المعارف. فالمفروض علينا كشيعة حسينيين أن نُسخر كل الشعائر كالمنبر والعزاء لما يخدم تأصيل العقيدة في النفوس، وربطها بمبادئ أهل البيت عليهم السلام من خلال اختيار الكلمة الهدافة والألحان المشجّعة التي تربط ذهن المستمع بفطّاعة المأساة وتزرع في

قلبه بذور حب الحسين<sup>عليه السلام</sup> ومبادئ الحسين<sup>عليه السلام</sup> لتأثيره العاطفي بالحسين<sup>عليه السلام</sup>، فإن التأثير العاطفي يجذب الإنسان إلى التفاعل مع قضية الحسين<sup>عليه السلام</sup> ومشروعه.

### الثالثة

مسألة وجود استفتاءات لبعض الفقهاء في جواز شراء (الأورغ) نوع من آلات الموسيقى يُعزف عليه بأصابع اليد على أنه من الآلات المشتركة وإخراج الألحان الخاللة منه :

نُعلق عليها بأن الفقيه إنما يُفتنيك بالعنوان الأولي. أي بما توصل إليه من حكم شرعي بعد النظر في الأدلة الشرعية بعيداً عن الظروف المحيطة بالسائل ولو علم الفقيه ببعض المفاسد التي تترتب على الحكم فلعله يحكم بعدم الجواز بالعنوان الثاني، وعليه فليس كلّ فعل مباح يُفعل، إذ لا بد قبل الإقدام على أي تصريح أو فعل ملاحظة مقدار المفسدة والمصلحة، حيث أن هناك بعض التصرّفات وبعض الأفعال المباحة بل وبعض الأفعال المستحبة، قد تكون مفاسدها في مكان وزمن معينين أو لبعض فئات المجتمع مثل الرموز الدينية أكبر، مثلاً : مسألة ترك العباءة ولبس (البالطو) وإن كان جائزًا إذا لم يُظهر مفاتن المرأة، ولكن صار باباً لظهور هذه الظاهرة حتى وصلت إلى حد الانحراف في (موديلاتها) بلا شعور عند البعض، ومثال آخر (العقد المنقطع) فعل مستحب، إلا أنه إذا تحول إلى حالة من الفوضى وعدم الانضباط ونشر المفاسد الاجتماعية والأسرية صار وباءاً على المجتمع بعد أن كان حلاً لمشاكل عديدة، بل إن من الأمور المهمة التي يجب ملاحظتها أن لا تتحول ممارساتنا للشعائر وسيلة لهتك حرمة المذهب ووهنه في نظر الناس فإنه بذلك تتحول الشعيرة الحسينية إلى معول يهدم كرامة المذهب

فتكون محمرة، فكما أن استخدام المتعة كالزنا في بعض الأماكن يُسيء لسمعة أهل البيت الصَّلَوةُ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ ومذهبهم فكذلك تحويل العزاء لألحان وتأثيرات صاحبة مناسبة مجالس اللهو يوجب سخرية المجتمعات العقلائية بالطائفه ويُشوه سمعتها ونقائه صورتها.

#### الرابعة

يتمسك البعض أيضاً بساحة إيران ولبنان، بأن إيران ولبنان يستعملون هذه الآلات ويعزفون مثل هذه الألحان وغيرها من الأمور. أقول :

أولاً : إن الحجة علينا هو الرجوع إلى رأي الشرع من خلال علماء الدين لا إلى ما تعارف عليه في بعض المجتمعات، أي أن سمعاناً لموسيقى تُثبت عبر إذاعة أو تلفزيون لدولة أو جهة إسلامية لا يكون ذلك دليلاً على حلّيتها وجواز الاستماع إليها فضلاً عن تقليلها وإن شادها بنفس الطريقة.

ثانياً : إن ساحة إيران ولبنان والبحرين وأيّ دولة تختلف ظروفها الاجتماعية والسياسية وغير ذلك عن بعضها البعض فلا نجد ساحة لبنان إلى البحرين ولا يجر الإيراني ساحة البحرين إليه قبل أن ينظر في ملابساتها وهل أن ظروفها تتناسب مع ظروف مجتمعه الدينية والعرفية أم لا؟ باعتبار أن للعرف دخالة في ترتيب كثير من الأحكام الشرعية.

#### الخامسة

بقدر ما نحن مأموري بالإهتمام بقضية سيد الشهداء الصَّلَوةُ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ وأبناءه المعصومين الصَّلَوةُ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ، فنحن مأموري أيضاً بالإهتمام بجوانب أخرى مهمة إن لم تكن أهم، وهو الاهتمام بالقرآن الكريم قراءة واستماعاً وتدارساً وتدبراً، فلا تكون مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

مَهْجُوراً<sup>(٧)</sup>؛ وكذلك الأدعية والزيارات والمحاضرات وغيرها. إذاً لابد أن نعمل جيئاً على إيجاد برامج لتشجيع الشباب من الرجال والنساء للمحافظة على القرآن درساً وتدريساً حيث ورد عن الأمير الصلوة : (.. وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربِيع القلوب، واستشفوا بتوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص...) - نهج البلاغة - خطب الإمام علي الصلوة ج ١ ص ٢٦، وعلى الشباب المؤمن أن يتقدم للمشاركة في المحافل بما لديه من مواهب من كلمات ومحاضرات ومسرحيات وأشعار هادفة وأن يهتموا بقراءة الأدعية والزيارات في مناسباتها وغير ذلك، حتى نسعى نحو الهدف والتكامل ولا يغلب جانب على جانب آخر.

## السادسة

للأسف... إن كثيراً من الثقافات والمظاهر المنحرفة المنتشرة في مجتمعاتنا دخلة عليه وبسبب قبول فئة لها، ولأنها لم تواجه بعدم القبول أو الاستنكار من أحد، فإنها أخذت مأخذها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت ثقافة لا يمكن التخلص منها بل يدافع عنها في المجالس والمنتديات بقوة ويُستهزئ بها لا يرى شرعيتها بل بداهتها !! وهذا الأمر عدّة أسباب، منها :

الأول : التهاون في مواجهة مثل هذه الثقافات والعادات الدخيلة من البداية من الجيل الذي يعلم بفساد هذه الثقافة، إلا أنه يتهاون معها فتصبح ثقافة أصيلة عند أولادنا وأجيالنا القادمة ما يؤدي إلى صعوبة، وربما استحالة انتزاعها منه بعد ذلك.  
ثانياً : المغالطة التي يعيشها البعض، وهي البحث عن الرأي الذي يتماشى مع شهواته ورغباته، على مستوى الرأي الفقهي والعقائدي والفكري وغيرها مدعياً

أنها أراء علماء وفقهاء فيتظاهر بالتدين من دون أي توقف وتأمل، وهذا النوع من التساهل في دين الله أدى إلى ظهور شريحة كبيرة من ضعاف الإيمان والجهلة، وأخذت هذه الفئة بترويج هذا النوع من التفكير عبر سلوكها.

### خاتمة

ولا ينكر أحداً الدور الكبير والفاعل الذي يقوم به الإخوة (الرواديد) الأعزاء في العمل على نشر الحق والحقيقة ورفع مستوى الوعي من خلال الكلمة والحن المؤثرين، ولن تنسى التضحيات للبعض منهم في وقت كانت تُدفع على كلمة الحق ضريبة قاسية فجزاهم الله خير الجزاء، ولذلك نقطع بأن الإخوة المؤمنين و (الرواديد) الأعزاء لا يعتمدون فعل ما يُسيئ للدين والمذهب والمجتمع، ولكن يجب أن لا تأخذنا العزة بالإثم، وأن نتحلى بالروح الحسينية النقية التي قال تعالى فيها ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَاب﴾<sup>(٨)</sup>، وأن نعترف بقصورنا وقصورنا وفقرنا وجهلنا لكثير من الأمور، فكما ورد عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام: (إلهي أنا الفقير في غنائي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري، إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي..) من دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، إذاً فعلينا أن نستشير أهل الشرع أولاً والالتفات إلى أعراف وقيم وتقاليد البلد، بأن تُعرض مثل هذه الإصدارات على أحد العلماء المتفقهين وعلى طلبة العلوم الدينية المتابعين لأحوال العزاء وعلى المدينيين الوعيين المهتمين بالعزاء ولنرتقب الأثر على ملاحظاتهم وهذا ليس بالأمر الصعب. وكذلك أدعوا نفسي أولاً و الإخوة الأحبة (الرواديد) والشباب المؤمن رجالاً ونساءً أن نتفقه في ديننا خصوصاً في

مجال اهتمامنا، ولا نعيش الجهل المركب فنحسب أننا نحسن صنعا فنكون مصداقا لما رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام : (أنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي : سَيُخْرُجُ قَوْمٌ يَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامِ الْحَقِّ، لَا يُجَازِي حَلْوَقَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْحَقِّ خَرْجُ السَّهْمِ) ميزان الحكمة - محمدي الريشهري ج ١ ص ٧٣٢، وأن نلتفت للعبة الدينية التي تحاك لنا ليلاً ونهارا لطمس هويتنا وإبعادنا عن ديننا وقرآننا وأئمتنا، وأن لا نجر خلف الأهواء والمادة على حساب ديننا وقيمنا، وأن نطور أعمالنا ومشاريعنا ضمن الإطار الديني والعرفي المناسبين للمحيط الاجتماعي في بلداننا، وأن نسعى للحفاظ على ما تبقى وإرجاع ما ترك وتصحيح ما اختلط وأن نعتز بتعاليم إسلامنا وأعرافنا وتقاليدنا الأصيلة وأن لا نتنازل عنها لأبسط الأمور، وأستغفر الله لي ولجميع المؤمنين والمؤمنات.

**﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** (٤) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

### المواهش

- (١) سورة الأسراء: الآية ٣٦.
- (٢) سورة الكهف، الآية ١٠٤.
- (٣) سورة الأنعام، الآية ١٦١.
- (٤) سورة آل عمران، الآية ١٩.
- (٥) سورة آل عمران، الآية ٨٥
- (٦) سورة المائدة، الآية ٣.
- (٧) سورة الفرقان، الآية ٣٠.
- (٨) سورة الزمر، الآية ١٨.
- (٩) سورة يوسف، الآية ٥٣.

# اللائحة العاطفية في ميراث آل البيت

السيد عباس السيد جعفر شبر

## علاقة المعصومين بالبكاء

كان الأنبياء والأئمة عليهم السلام الذين هم المثل الأعلى للإنسان الفاضل، لا يكففون دموعهم إذا انبجست أبداً. فالنبي آدم صلوات الله عليه بكى حين خروجه من الجنة، حتى صنع الدمع مسيلين في خديه. والنبي يعقوب صلوات الله عليه بكى على فراق ابنه يوسف صلوات الله عليه حتى أبيضت عيناه. والنبي يوسف صلوات الله عليه بكى على أبيه يعقوب في السجن حتى ضاق به السجناء معه، فقالوا له: إما أن تبكي الليل وتسكت النهار وإنما أن تبكي النهار وتسكت الليل. وإن النبي الأعظم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه بكى على ولده إبراهيم، وقد توفي عن ثمانية عشر شهراً، حتى كانت تنتفض من كباشه فسألها الناس على سبب بكائه وهو يأمرهم بالصبر على النوازل، فأجابهم صلوات الله عليه: (القلب يحترق والدمع يجري ولا نقول ما يغضب رب).

فقد شرع رسول الأكرم صلوات الله عليه مسألة البكاء من خلال سيرته الشريفة ولو تصفحتنا التاريخ لوجدنا أنه صلوات الله عليه قد أكثر من البكاء أيضاً على أبويه وعمه الحمزة وزوجه خديجة وأبو طالب بل وتعدى ذلك إلى البكاء على أحفاده قبل رحيلهم عليهم آلاف التحية والسلام.

ومن خلال ذلك نجد أن أول مشروع تبناه بيت النبوة هو التركيز على إثبات دعائم الحق من خلال التذكير بالأسلوب العاطفي والمنظقي بلا فصل. ومن أهم القضايا التي ركز عليها هي قضية عاشوراء الحسين صلوات الله عليه. وهناك أخبار كثيرة تدل

على أن الله لم يبعث على وجه الأرض نبياً ووصياً إلا ذكره بمصاب الحسين عليه السلام  
فبكى عليه قبل استشهاده.

والمعروف كذلك نقاً عن الروايات أن الإمام السجاد عليه السلام بكى على أبيه  
الحسين عليه السلام بقية حياته كما بكى عليه باقي الأئمة عليهما السلام حتى لُقب الحسين عليه السلام  
(صريح الدمعة الساكبة) و (عبرة كل مؤمن ومؤمنة).

ومشوّعيّة البكاء التي أعطاها الرسول عليه السلام للأمة في حياته و بكائه  
على الحسين عليه السلام بالخصوص بما خير دليل يمكننا الاعتماد عليه لبيان أهميته في  
خلق الارتباط العاطفي بين القيادة والأمة. وهناك الكثير من الروايات المروية عن  
أهل البيت عليهما السلام تبيّن هذا الجانب ومنها قول التستري (ره) أنه : روي عن الإمام  
الصادق عليه السلام أنه قال: لما أوحى الله إلى نبيه ليلة المعراج أن الله يختبرك بثلاث  
لينظر كيف صبرك. فقال: أسلم أمري ولا قوة لي على الصبر إلا بك. فأوحى إليه  
أنه لا بد أن تؤثر فقراء أمتك على نفسك. فقال : أسلم وأصبر. ولا بد أن تتحمّل  
الأذى والتكذيب. فقال: أسلم وأصبر، ولا بد أن تسلّم لما يصيب أهل بيتك. فاما  
أخوك فيغصب حقه ويظلم ويقهر و أما ابنتك فتظلم وتحرم وتؤخذ وتضرب  
وهي حامل ويدخل على حريمها ومتزلاً بغير إذن وأما ولدك فيقتل أحدهما غدرًا  
ويسلب ويطعن و الآخر تدعوه أمتك ثم يقتلونه صبراً ويقتلون ولده ومن معه  
من أهل بيته ثم يسبون حرمته فقال إنما الله وإنما إليه راجعون أسلم أمري إلى الله  
وأسأله الصبر.

ولقد صبر عليه السلام في جميع ذلك على كل شيء إلا على حالة واحدة فلم يصبر  
عن البكاء على الحسين عليه السلام لأنّه لا ينافي الصبر بل هو لازم الشفقة ورقة

القلب: إذ إنه كلما كان يذكر الحسين أو يراه يغلبه البكاء وكان يقول -لأبيه-  
أمسكه فيمسكه فيقبل نحره ويقول له لم تبكي؟ فيقول أقبل موضع السيف منك  
وابكي وكان إذا رأه فرحا يبكي وإذا رأه حزينا يبكي وإذا لبس ثوبا جديدا يبكي.

فاطمة الزهراء علیہ السلام

وقد تبنت كوثر البيت الرسالي السيدة الزهراء البتول عليها السلام هذا الأسلوب أيضاً بعد رحيل أبيها عليه السلام عن دار الدنيا، فقد اخزت من البكاء سلاحاً في التعبير عن حزنها على أبيها أولاً، وثانياً عن استيائها لما فعله القوم بها وبجعلها أمير المؤمنين عليه السلام من سلب لحق التطبيق الكامل لشريعة الله. فكانت في الأيام المتبقية من حياتها لا يهدأ لها أذى، حتى اجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقالوا له : يا أبا الحسن إن فاطمة تبكي الليل والنهار، فلا أحد منها تهنا بالنوم في الليل على فرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنما نخبرك أن تسألها إما تبكي ليلاً أو نهاراً، فقال عليه السلام : حبا وكرامة. فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفique من البكاء ولا ينفع فيها العزاء، فلما رأته سكت هنيئة له، فقال لها : يا بنت رسول الله إن شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إما أن تبكين أباك ليلاً وإما نهاراً، فقالت : يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فو الله لا أسكط ليلاً ولا نهاراً أو أحق بأبي رسول الله عليه السلام، فقال لها علي عليه السلام : افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك. ثم أنه عليه السلام بنى لها بيتاً في البقاع نازحاً عن المدينة يسمى بيت الأحزان وكانت تقضي يومها كاملاً فيه وهي تبكي وتتوه. ما يهمنا هو لماذا تبنت البتول فاطمة عليها السلام الخطاب العاطفي في التعبير عن حقها

ومظلوميتها؟ وهل كانت عليه قاصدة بهذا الأسلوب أن تؤرخ هذه القضية في التاريخ وبذلك تُلقي الحجة على من ظلمها؟ هل تكون بذلك قد أرست دعائم التبليغ لمنهج البيت الحمدي؟

من هنا نستطيع أن نستنتج أن الزهراء عليه كانت تتبع نماذج مختلفة من الإرساءات العاطفية والمنطقية معاً للتدليل على ما ت يريد أن توصله إلى الناس في تلك الفترة. وبناءً بيت الأحزان واتخاذه من قبل الزهراء مكاناً للبكاء ما هو إلا أول مشروع ينجز هذا الدور الرسالي التبليغي الذي لم يقدر أي نظامٍ طاغوتي أن يواجهه أو يخدمه والذي يكمن في إقامة مجالس الحزن والعزاء على مصائب أهل البيت عليه. والأهم من ذلك كله أن الزهراء عليه أرادت أن تعرف الناس بالخط الحمدي الأصيل وإثباتاً للهوية الإلهية ببكائهما بينهم، ولو حدث أن تذمرت فئة من المجتمع على ذلك، لا يعني أن تتوقف مسيرة البكاء مهما تلقى من صعوبات.

### نظرة الإسلام إلى البكاء

من الطبيعي أن يحبب الإسلام البكاء لأنّه يحمل العقد النفسيّة التي يعجز العلم عن معالجتها، لأنّ الأزمات والخسائر التي تصدم الإنسان تترسب في قلبه على شكل عقد، لا يحلّها سوى الانتقام، مما يسبّب له النكبات. وإذا كان الإسلام ديناً متسامحاً لا انتقامياً، وإذا كان الإنسان جائراً في كثير من ألوان الانتقام التي يرغب فيها بطبعته الحيوانية، وتتضافر الأديان والقوانين على صده عن ممارستها، فلا تجد تلك العقد مجالاً للتعبير والتنفس الذين يروحان عنها، بل تظل في أعماق النفس، تأكل بعضها وتأكل الإنسان، حتى تنقلب تحت الكبت الطويل، إلى

حقد يجعل صاحبه شريراً، يحب الواقع بكل أحد بعد أن كان يريد الانتقام من خصمه فحسب، بحيث لا يشعر بالراحة، إلا إذا رأى الدماء البريئة تراق، ودموع التكلى تسفح ولا يطمئن بغير الأنات الجريحة، والآهات الباردة.

ووجود الحقد في النفوس بلاء إذا أصاب مجتمعاً يلتهم فيه الرطب واليابس، ولا ينجو من ويلاته مجرم ولا بريء، فلابد من إزالته بمختلف الطرق قبل أن يستفحليستعصي على العلاج. والإسلام حيث يوصي بالبكاء يحاول حل العقد النفسية قبل أن تترسب في النفوس وتعاني الكبت فتحول إلى حقد. فالدمع هو المعين الذي يغسل النفس عن العقد التي تترسب عليها من غبار المعارك والأحداث. فالبكاء محبوب عند الله وفي جميع الأديان، سواء كان من خشية الله، أم على نكبة. وأما البكاء على مأسى أهل البيت العليا ومأساة الطف بالذات فإنه مطلوب ومستحب، وعليه ثواب عظيم.

### قصة في فضل البكاء على الحسين العليا

روى المجلسي<sup>(٢)</sup> إذ قال: حكى السيد علي الحسيني قال: كنت مجاوراً في مشهد علي بن موسى الرضا العليا مع جماعة من المؤمنين فلما كان يوم العاشر من المحرم عقدها مأتماً للحسين العليا، فابتداً رجل منا يقرأ مقتل الحسين العليا فقرأ رواية عن الإمام الバاقر العليا أنه قال: من ذرفت عيناه بالدموع على مصاب الحسين ولو كان مثل جناح البعوضة غفر الله له ذنبه ولو كانت مثل زبد البحر. وكان في المجلس معنا رجل يدعى العلم ولا يعرفه. فقال: ليس هذا صحيح وإن العقل لا يقبله، قال: وكثير البحث بيننا ثم افترقنا وهو مصر على ما هو عليه. فلما نام تلك الليلة رأى في منامه كأن القيامة قد قامت وحشر الناس في صعيد واحد وقد

نصبت الموازين وامتد الصراط ووضع الحساب ونشرت الكتب واستعرت النيران وزخرفت الجنان واشتد الحر عليه وعطش عطشا شديدا فجعل يطلب الماء فلا يجده. فالتفت هناك وإذا بحوض عظيم الطول والعرض فقال في نفسه هذا هو الكوثر فأقبل إليه وإذا عليه رجالن وامرأة أنوارهم مشرقة لابسين السواد. قال : فسألت عنهم فقيل لي : هذا رسول الله ﷺ وهذا علي عليه السلام وهذه فاطمة عليها السلام، فقلت : إذا لماذا لابسين السواد؟ فقيل لي : أليس هذا اليوم قتل فيه الحسين ؓ؟ قال فدنوت منها وقلت لفاطمة : سيدتي إني لعطشان، فنظرت إلي شرراً وقالت لي : أنت الذي تنكر فضل البكاء على ولدي الحسين والله لن تذوق منه قطرة واحدة حتى تتوب مما أنت عليه. قال : فانتبهت من نومي فزعاً مرعوبا وجاء إلى أصحابه وقص عليهم رؤيه وقال : والله يا أصحابي أنا ندمت مما صدر مني وأنا تائب عما كنت عليه.

من خلال هذه القصة يتضح لنا أهمية البكاء على أهل البيت وخصوصا على مصاب سيد الشهداء ؓ.

### أساليب التأثير في النفوس وإبكائهما

يشير الدكتور الشيخ باقر المقدسي حفظه الله في رسالته للدكتوراه أنهم وجدوا أن أقوى وسيلة للتاثير في النفوس، وحمل السامعين على التعاطف مع الحسين ؓ هي التذكير بمساته، والتحدث عن ظلامته لأن وعي المأساة يستوجب وعي مفاهيم الثورة التي بسببها حدثت تلك المأساة. ويقول أن الأئمة حثوا شيعتهم على التذكير بمساة سيد الشهداء ؓ ونشر ظلامته بكل الوسائل الممكنة، وي يكن أن يتحقق ذلك بعدة وسائل أهمها:

١ - الشعر<sup>(٣)</sup>

٢ - القصة<sup>(٤)</sup>

إذا نظرنا إلى الوسيلة الأولى ألا وهي الشعر لوجدنا أن أئمة أهل البيت عليهم السلام حثّوا شيعتهم على نظم الشعر في مأساة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ثم إنشاده. في ذلك قال الإمام الصادق عليه السلام لجعفر بن عفان الطائي الشاعر المنشد : (ما من أحدٍ قال في الحسين شرعاً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة وغفر له) <sup>(٥)</sup>. ودخل عليه ذات يوم السيد الحميري فقال له الإمام: أنسندي في الحسين شعراً، وقام الإمام وضرب ستراً لنسائه وأطفاله وأجلسهم خلف الستر وجلس حزيناً باكيًا على مصيبة جده الحسين عليه السلام ومن حوله أصحابه. يقول السيد الحميري فأناشتarte:

وأما بالنسبة إلى القصة فهي من أروع ما يعين على الإقناع، ويقرب الغرض إلى الأذهان. وهنا قد يستعين الخطيب بالأسلوب القصصي من أجل توضيح المعنى وتقريره إلى أذهان المستمعين وإقناعهم بحيث يمكنه أن يورد الكثير من الأخبار والتاريخية والدينية الصحيحة بصورة قصصية وحكايات واقعية لإعانته على

التوضيح والإقناع. في ذلك قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾.<sup>(٧)</sup>

## الخلاصة

اتضح مما سبق أنه حين سرد تفاصيل القضية العاشورائية نجد أهمية كبيرة جداً في التركيز على البعد العاطفي وخصوصاً الأساليب التأثيرية كالبكاء واستخدام الأبيات الشعرية والأسلوب القصصي في إحداث التفاعل مع المأساة وما تتناوحاها من مفاهيم حقة، بحيث لا يكون سرد تلك الأحداث التاريخية مجرد استعراض تاريخي فارغ من محتوى التأثير الإيجابي، بل ويتند إلى ما هو أعمق بكثير من عيش الحالة المعنوية التي عاشها الحسين عليه السلام، كاستشعار الضيق الذي عاشته زينب بنت علي والإحساس بالخوف والهلع الذي عانى منه أطفال الحسين. وبذلك الأسلوب يستطيع المستمع أيضاً تخيل تفاصيل الأحداث وكأنه فعلاً كان موجوداً في أرض كربلاء وبالتالي يمكن مستخدمي هذه الوسائل من إيداع جملة من المفاهيم الصحيحة والسليمة التي من أجلها كانت القضية وعن جوانب المأساة التي حدثت، وزرعها في باطن المتلقى وبالتالي خلق روابط عاطفية عقائدية متدرجة بالمنطق والتي تتوجه نحو تفعيل العلاقة بين القيادة وعامة الناس وعن طريقها تتولد حالة الانقياد التام لكل ما جاء به أهل البيت عليهما السلام والتأثير الكلي لكل ما عانوه في سبيل إعلاء كلمة الله الواحد القهار.

## المواضيع

(١) سلسلة مجمع مصائب أهل البيت(ع): ج ١ صفحة ١١٢

(٢) زاد الخطباء في أيام عاشوراء صفحة ١٨٨

(٣) قال رسول الله ﷺ (إن من الشعر لحكماً) قال ابن الأثير في معناه (أي إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه، وينهى عنهما. قيل أراد بها الموات و الأمثال التي ينفع بها الناس. والحكم: العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حَكَمَ يَحْكُمُ. ويُروى: إن من الشعر لحكمة) وهي بمعنى الحُكْمُ - النهاية ١٤٩، (حَكْمَ).

(٤) انظر عن أثر الحديث والقصة والصفحة: من رسالة الشيخ المقدسي الصفحة ٣٨٨.

(٥) اختيار معرفة الرجال المعروف ب الرجال الكشي: ٢٨٩، وعنده في وسائل الشيعة ١٤: ٥٩٤، الباب ١٠٤ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ١.

(٦) سلسلة مجمع مصائب أهل البيت(ع) ج ١ صفحة ٤٧

(٧) سورة يوسف: ١١١

الله علیه السلام  
وعلیه السلام  
وعلیه السلام  
وعلیه السلام

## أجمل زينة للمرأة الحفيفة

حسين فؤاد المرزوق

غريبُ هو الإنسان، يأبى ويتمرد ويستكبر، فقد حدد له الطريق السليم والمنهج القويم من قبل عالم حكيم ومع ذلك تراه يحيد عن هذا المنهج ويتخذ من دونه بدلاً، قال تعالى: (إنَّ إِنْسَانَ لِيَطْغِي)<sup>(١)</sup> فقد وضع الباري عز وجل دستوراً للحياة الإنسانية ممثلاً في أنظمة وقيم وأداب يضمن للحياة الإنسانية تكاملها ويكتفى بها أمانها واسقرارها ووصولها إلى مبتغاها، فالله عز وجل إنما خلق الخلق هدفاً راجع للمخلوقين لا حاجة في نفسه ولا لنقص فيه يسده تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولكن ومع ذلك تجد الإنسان غافلاً وساهياً وغير مدرك لهذا المعنى، فكم من الأسس والأنظمة التي جاءت بها الشريعة الغراء لم يلتزم بها الإنسان بل استنكرها وعدها من التخلف والرجعية وعدم مواكبة العصر. ومن هذه الأمور القضايا المتعلقة بالمرأة في المجتمع، فالإسلام قد قام بتحرير المرأة وحفظ لها كرامتها وعزتها بعد أن كانت مضطهدة مقهورة تعاني من صنوف القسوة والظلم والحرمان من حقوقها الطبيعية، فقد كان المجتمع آنذاك ينظر للمرأة نظرة سلبية، والشيء العجيب الذي يدل على تردي ذلك المجتمع، أنه كان ينظر لإناث الحيوانات نظرة إيجابية، بخلاف نظرته لإناث الإنسان، فالبقرة مثلاً عندما تلد أنثى، فإن صاحب الحيوان يفرح، لأن هذه الأنثى سوف تلد أيضاً، وهكذا، أما عندما تلد ذكراً تراه يحزن ويرى أن هذا الذكر ينقطع وينتهي، أما عندما تولد له بنت من زوجته ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، قال تعالى (وإِذَا بَشَرَ أَحَدُهُمْ بِالأنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مَسُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ)<sup>(٢)</sup>، وقد شاع أيضاً عندهم أنه إذا ولدت

نساؤهم البنت سارعوا إلى دفنها حية وهم يرددون (دفن البنات من المكرمات) قال تعالى (وإذا المؤودة سئلت، بأي ذنب قتلت)<sup>(٣)</sup>، أما الإسلام العظيم فقد أحدث تطوراً كبيراً في موقف المجتمع من المرأة، فها هو رسول الله ﷺ قد قلب موازين الجاهلية الجهلاء فعنه ﷺ أنه قال : (نعم الولد البنات المخدّرات من كانت عنده واحدة جعلها الله له ستراً من النار ومن كانت عنده ابتنان أدخله الله بهما الجنة ومن كن ثلاثة أو مثلهن من الأخوات وضع عنه jihad والصدقة)<sup>(٤)</sup>، فجاء الإسلام صائناً للمرأة حافظاً لها، فلذلك وضع لها آداباً في سلوكها متى ماقسكت بها حفظت طهرها وقدسيتها وأمانها وقيمتها العالية، ومع هذا كله نجد في هذا العصر أنه بدلاً من أن تتمسك المرأة بهذه النظم والأداب التي حددتها الشريعة نراها تتغافل ذلك وتخلع تاج العفة والطهارة وتتمرد على فطرتها وطبيعتها وخصوصيتها التي تخرّبت مع طينتها، لتحول تلك النّظرـة القدسية للمرأة إلى نّظرـة استغلالية بـهـيمـية، في عـصـرٍ ضـاعتـ فيهـ الفـضـيلـةـ وتـغـلـغـلتـ فيـهـ الرـذـيلـةـ اـحـتـاجـتـ المـرأـةـ إـلـىـ ماـ يـصـونـ عـزـتـهـاـ وـيـزـينـ خـلـقـهـاـ، اـحـتـاجـتـ إـلـىـ خـلـقـ تـزـكـيـ بـهـ نـفـسـهـاـ فـتـخـرـجـ مـنـ مـسـتـنقـعـ الـقـذـارـةـ إـلـىـ فـرـدـوـسـ الطـهـارـةـ، مـنـ درـنـ التـحلـلـ إـلـىـ زـيـنـةـ الـعـفـةـ، مـنـ الـوـقـاهـةـ إـلـىـ الـحـيـاءـ روـيـ عنـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ :

(الحياء زينة الإسلام)<sup>(٥)</sup>.

## تعريف الحياة

الحياة لغة (في قواميس اللغة العربية) : انقباض النفس عن القبائح وتركه.<sup>(٦)</sup> ورد عن الأمير الكتاب (الحياة يصد عن فعل القبيح)<sup>(٧)</sup> وأيضاً يطلق الحياة على الانقباض والانزواء، الحشمة، الرجوع والتوبة، الانكسار والتغير وانتكاس

<sup>(٨)</sup> القوة.

(الاشتقاق اللغوي) : والحياء مشتق من الحياة، وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح. فكلما كان القلب أكثر حياة كان الحياء أتم.

الحياء اصطلاحاً (في اصطلاح علماء النفس) : الخضوع لجهاز القيم، بمعنى أن الشخصية تبتعد عن القيام بأية ممارسة تتنافى مع المعايير الأخلاقية أو الاجتماعية التي تعرف عليها. وتقابلها الوقاحة، وتعد الوقاحة سمة للشخصية المنحرفة اجتماعياً، بصفة : أنها تعبير عن عدم خضوع الشخصية للمعايير والضوابط الاجتماعية.<sup>(٩)</sup> وتظهر آثار الحياء على الشكل أحياناً مثل احمرار اللون واضطراب النظارات والسلوك الأخلاقي.<sup>(١٠)</sup>

## ممن الاستحياء ؟

الاستحياء من الخالق : وهو أرقى وأشرف أنواع الحياء قال أمير المؤمنين عليه السلام (أفضل الحياء استحياءك من الله).<sup>(١١)</sup>

وللástحياء من الله أشكال وصور<sup>(١٢)</sup>، منها حباء ارتكاب المعصية وهو ماسي في الروايات بحياة الذنب، ومن أمثلة ذلك مثال سيدنا آدم عليه السلام حينما أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، عندها ظل يجري ويهرول داخل الجنة فسأله جل جلاله: إلى أين يا آدم أفرارا مني؟ فرد عليه قائلا: لا يا ربى بل حباء منك !<sup>(١٣)</sup>.

فنجد العبد المذنب يعود من وكر الذنب والهوى والمعصية إلى الله في خجل وانكسار، فهو لا يجد عذرًا يقدمه إلى الله تعالى غير الاعتراف بسوءاته وسيئاته، وهذا يتلخص في قوله (رب إني أستغفرك استغفار حباء).<sup>(١٤)</sup>

وتفصيل ذلك أن العبد المؤمن قد يغفل وتزل قدمه ويعصي جبار السماوات من دون التفات، قد أعمت عينه اللذة المؤقتة الزائفه، ولكن سرعان ما يستيقظ ولا يجد بدأً من العودة، ولا يجد باباً يطرقه غير باب الرحيم سبحانه، ولا يجد ملجاً يلجأ إليه وملادزاً يلوذ به إلا الله سبحانه وتعالى فيعود مطرقاً منكسرًا مستحيياً خجولاً، كيف وقد عصى ملك الملوك العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، فيقف العبد الجاني عند باب الله<sup>(١٥)</sup> ويبدأ بصف كلمات التوبة والاستغفار والندم (إلهي لأن طردتني من بابك فبمن ألوذ)<sup>(١٦)</sup> وينصره الحياة والألم فيذوب دموعاً تحت آماقه وتتكسر نبرات صوته وهو يردد في خشوع (فوا أسفاه من خجلتي وافتراضي، وواهفاه من سوء عملي واجتراري)<sup>(١٧)</sup> ولا يجد بدا من الاعتراف بجياته فيقول (ها أنا ذا يا إلهي واقف بباب عزك وقوف المستسلم الذليل، وسائلك على الحياة مني سؤال المعيل)، (ولم أرفع طرفى إلى آفاق السماء استحياء منك)<sup>(١٨)</sup> ويظل واقفاً على باب القدس متضرراً الإذن بالدخول إلى ساحة التوابين متفتناً بأنواع الدعاء، ولعمري إنه لا يؤدي حق اعتذار جنائيه ولو نطق بجميع جوارحه بالاعتذار لأن الجنائية الحقيقة تعظم مع عظم الجني عليه ومع لحظ إحسانه إلى الجاني (لاتنظر إلى صغر المعصية وانظر إلى من عصيت) فإذا جاوزت العظمة الحد وكثير الإحسان فوق حد الإحصاء<sup>(١٩)</sup> قصرت الألسن عن أداء حقه والأعمار عن بلوغ غايتها، فإذا كان التائب مستشراً لهذه الأمور عارفاً بها يزيد ذلك في حياته فيجتهد بكل جهده ومقدوره في الاعتذار والبكاء وإذا كان عارفاً بقدر رحمة ربه وأنها وسعت كل شيء وكان على يقين من ذلك فلا بد أن تبعث هذه المعرفة في قلبه شوقاً إلى التوبة والمستنقع لا يحتاج إلى تعليم مراسم الوداد ولا يكت足 عن الجهد والاجتهاد في الوصول إلى مشوقة ورضاه، وعرض الشوق

والملق بما لا يخطر على ضمير غيره<sup>(٢٠)</sup> فهو يعلم أنه قصد ملكا عظيما لا يطأ بساطه إلا المطهرون، فإذا علم الله من قلبه صحة الاضطرار، وصدق الالتجاء إليه، نظر إليه بعين الرحمة والرأفة، وأذن له بالدخول إلى دار التوبة بلطفه وكرمه وعطفه قبل توبته واستمع لكلامه، فطوبى له ثم طوبى فقد ضمه الله إلى كنف رأفته وحنانه وكان عليه كالأب العطوف، والأم الرؤوف، بل وأشفق منها، ويكون مصداقاً لقوله (إن الله يحب التوابين ويحب المتظاهرين)<sup>(٢١)</sup>.

ويوجد مرتبة أرقى من هذه المرتبة في الاستحياء من الله سبحانه تستفاد من بعض الأدعية والروايات<sup>(٢٢)</sup>، وهو الحباء قبل ارتكاب أي فعل يؤدي إلى مخالفه أوامر الله وهو ناتج من المراقبة الدائمة ويدل على يقين ومعرفة ويقظة، قال رسول الله ﷺ (استحيي من الله استحياءك من صالح جيرانك فإن فيها زيادة اليقين)<sup>(٢٣)</sup> وقال الإمام زين العابدين ع (خف الله لقدرته عليك، واستحيي منه لقربه منك)<sup>(٢٤)</sup> وعن أمير المؤمنين ع (اتقوا معاشي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم)<sup>(٢٥)</sup> وقال الإمام الخميني (العالم محضر الله فلا تعصوا الله في محضره)، فالعبد المراقب لنفسه المستشعر لمراقبة الله عز وجل<sup>(٢٦)</sup> يستحي أن يخطو خطوة تهوي به إلى درك معصية الله فهذا الحباء يبعث على الطاعة وينبع عن المعصية بل يعني أي عمل ليس فيه قصد القرابة لله ولسان حاله دائماً (عميت عين لا ترك عليها رقيبا)<sup>(٢٧)</sup>.

وقد استوقفتني رواية جسدت أروع معاني الاستحياء من الله سبحانه وتمثلت في ريحانة الجنة وأم الأنئمة السيدة الزهراء بآبي وأمي قالت فاطمة ع : (قلت : يا أبة أهل الدنيا يوم القيمة عراة ؟ فقال : نعم يا بنية، فقلت : وأنا عريانة ؟ قال :

نعم وأنت عريانة وأنه لا يلتفت فيه أحد إلى أحد، قالت فاطمة عليهما السلام : فقلت له :  
واسؤاته يومئذ من الله عز وجل مما خرجت حتى قال لي : هبط علي جبرئيل  
الروح الأمين عليهما السلام فقال لي : يا محمد أقرأ فاطمة السلام وأعلمها أنها استحيت  
من الله تبارك وتعالى فاستحيي الله <sup>(٢٨)</sup> منها فقد وعدها أن يكسوها يوم القيمة  
حلتين من نور) <sup>(٢٩)</sup> وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ذوبانها صلوات الله  
عليها في الذات الإلهية وإلا من في ذلك اليوم المهيّب الذي تذهب فيه كل مرضعة  
عما أرضعت يلتفت إلى مثل هذه المعاني ؟

الاستحياء من المخلوق : يستحي الإنسان من البشر أكثر مما يستحي من الله في  
غالب الناس وذلك لقلة معرفته وسوء اختياره، فهو عاشق لل المادة أكثر من  
الغيب ويتأثر بالمحسوس أكثر مما يتأثر بال مجرد، مع أن الحياه من المخلوق يكون  
نتيجة طبيعية للحياة من الخالق. ولكن لحمقه وسفهه يفرط في جنب الله ليكبر  
في عين الناس فيتغافل قول أبي عبد الله عليهما السلام : (يا إسحاق حف الله كأنك تراه،  
إإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم  
أنه يراك ثم استترت عن المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها فقد جعلته في حد  
أهون الناظرين إليك) <sup>(٣٠)</sup> فتعساً لمن جعل الله أهون الناظرين إليه بعدم استحيائه  
منه واستحيائه من الناس، فالإنسان إنما يستحيي من يكبر في نفسه أن يطلع على  
عييه ولذلك نجد أنه لا يستحيي من الحيوان ولا من الأطفال الذين لا يميزون، بينما  
نجده يستحيي من العالم أكثر مما يستحيي من الجاهل ومن الجماعة أكثر مما يستحيي  
من الواحد، ومن هنا نكتشف دناءة من جعل الخالق دون المخلوق.

بغض النظر عن ذلك نجد أن الحياه من الناس له آثار اجتماعية مهمة كمنع  
الجرائم وحفظ الإنسان من التلوث بالذنوب والأعمال المنافية للأداب، وله دور

كبير في الحفاظ على أخلاق المجتمع ومنع التفسخ والجهل والغري، فلو لا الحياة من الناس لما ارتدع الإنسان بما ترغب إليه نفسه من القبيح ولكن الإنسان والبهيمة على حد سواء في عدم مراعاة الغير. فنلاحظ أن هناك أفراد مستهتررين، قد أسرهم الهوى وقيدتهم الشهوة غير مبالين بقوانين الشريعة ورعاية الآداب، فلا يتورعون عن ارتكاب الجرائم وإشباع غرائزهم، لكن الحاجز الذي يقف أمام تنفيذ رغباتهم قد لا يكون التدين وخوف الله بل هو الحياة من الناس، فيخالفون استياء الرأي العام واستنكاره فيمتنعون عن القيام بذلك. فهو من صفات النفس المحمودة التي تستلزم الانصراف من القبائح وتركها، قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (من الناس من لو لا الحياة لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم ولم يؤد أمانة ولم يعف عن فاحشة)<sup>(٣)</sup>، وقد قال الشاعر :

ورب قبيحة ما حال بي بين ركبها إلا الحياة  
لذلك فعندما نرى إنساناً لا يكتثر ولا يبالي فيما يبدر منه من مظهره أو قوله أو حركاته يكون سبب ذلك قلة حياته وضعف إيمانه كما جاء في الحديث : (إذا لم تستحي فافعل ما شئت)<sup>(٤)</sup>

وقد قال الشاعر :

تقلب في الأمور كما يشاء	إذا رزق الفتى وجهًاً وقارًاً
يعالجه به فيه عناء	ولم يك للدواء ولا لشيء
حياة لوجهه إلا العناء	فمالك في معاتبة الذي لا

وقال آخر :

ويبقى العود مابقي اللحاء	يعيش المرء ما استحيى بغير
--------------------------	---------------------------

فلا والله مافي العيش خير      ولا الدنيا إذا ذهب الحياة  
إذا لم تخش عاقبة الليالي      ولم تستحي فافعل ما تشاء

وقد كانت العرب في جاهليتها الأولى تستحي، فهذا عنترة يقول:  
وأغض طرف إن بدت لي جاري      حتى يواري جاري مأواها

وقال طرفة بن العبد وهو من شعراء الجاهلية :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه      ولا خير في وجه إذا قل ماء  
حياؤك فاحفظه عليك فإنما      يدل على وجه الكريم حياؤه

و قبل بزوج فجر الإسلام، نسبت ذات يوم معركة طاحنة بين قبيلتي بني عامر وبني  
كنانة في سوق عكاظ، سميت في التاريخ (بحرب الفجار)، وسبب تلك المعركة هو  
حياة امرأة، فيحكي أن امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فطاف بها  
شاب من قريش من بني كنانة فسألها أن تكشف وجهها فأبكت، فجلس خلفها  
وهي لا تشعر وعقد ذيلها بشوكه، فلما قامت انكشف جسمها من الخلف  
فضحك الناس منها، فنادت المرأة يا آل عامر، فثاروا بالسلاح، ونادى الشاب يا  
بني كنانة، فاقتتلوا<sup>(٣٣)</sup>.

وذكروا أيضاً أن للحياة أنواع أخرى كالحياة من النفس والحياة من الملائكة<sup>(٣٤)</sup>  
ولكن يمكن إدراجهما في الصنف الثاني.

حمل الكلام : سيكون الكلام بإذن الله في السطور الآتية عن النوع الثاني وهو  
الحياة من المخلوق بالرغم من أن الحياة من الله أفضل، لأن الحياة من المخلوق في  
بعض صوره يكون كاشفاً عن الحياة من الحال، فهو نتيجة طبيعية للحياة من الله  
كما أسلفت، فالحياة من الناس لا ينفصل عن الحياة من الله، بل هو في الحقيقة

حياة من الله لا من الناس، ولكن لما كان الموضوع الذي أنوي التحدث عنه بالأساس يرتبط بالجنبة الاجتماعية أكثر، وله آثار اجتماعية حساسة، ستتكلم بإذن الله في الحياة من المخلوق، لعلنا نرتقي من الاستحياء من الناس إلى الاستحياء من الله فمن لم يستحي من الناس لم يستحي من الله، و (من لم يتقدّر وجوه الناس لم يتقدّر الله) و (من لم يستحيي من الله في العلانية لم يستحيي منه في السر) <sup>(٣٥)</sup>.

### حياة المرأة

قبل التطرق إلى حياة المرأة لابد من الإشارة إلى أن الحياة من الحالات النفسية التي تختص بالإنسان فقط، إذ لا توجد في بقية الحيوانات، وقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام ذلك لتلميذه المفضل الجعفي في الحديث القيم الذي أملأه عليه حول التوحيد، فقال : (أنظر الآن يا مفضل إلى ما خص به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره، العظيم غناوه، أعني الحياة) <sup>(٣٦)</sup>. وكذلك العلماء المعاصرون فإنهم يعتبرون الحياة من الصفات الخاصة بالإنسان : (يعتقد مارك توين أن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يستحي أو يشعر بأنه في حاجة إلى الحياة. ويقول الدكتور فلاسن أستاذ جامعة رو杰ستر في تأييد هذه النظرية : إن الحياة عالمة السلامة، وهو متداول ومؤلف عند جميع أفراد البشر حتى أولئك الحفاة العراة. ولذلك فإنه يعتقد بأن ما يبعث على تصاعد الدم في وجه الإنسان هو الشعور الناشئ من إخفاء حقيقة ما) <sup>(٣٧)</sup>.

والحياة ليس صفة مختصة بالنساء فقط بل الحياة يعتبر حسنة للرجال أيضاً قال الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين عليه السلام :

إذا رأته قريش قال قائلها: إلى مكارم هذا ينتهي الكرم  
 يغضي حياءً، ويغضي من مهابته ما يكلم إلا حين يبتسّم  
 وقد كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها<sup>(٣٨)</sup>، قال الإمام  
 الحسن عليه السلام في خطبة له (أنا ابن النبي المصطفى، وأنا ابن من علا الجبال  
 الرواسي، وأنا ابن من كسا محسن وجهه الحياة، أنا ابن فاطمة سيدة النساء، أنا  
 ابن قليلات العيوب نقيات الجيوب)<sup>(٣٩)</sup> فالحياة إذن صفة مشتركة وهي صفة  
 المؤمنين رجالاً كانوا أم نساءً فعن أبي عبد الله عليه السلام : (لا إيمان لمن لا حياء له)<sup>(٤٠)</sup>،  
 وعن رسول الله ﷺ أنه قال : (الحياة والإيمان في قرن واحد، فإذا سلب أحدهما  
 تبعه الآخر)<sup>(٤١)</sup>، وروي أن الرسول ﷺ من على رجل وهو يعظ أخاه في الحياة  
 فقال رسول الله: (دعا فإن الحياة من الإيمان)<sup>(٤٢)</sup>. وهو أبرز ما يتميز به الإسلام من  
 فضائل، فقال عليه السلام: (إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياة)<sup>(٤٣)</sup>. وقال الطريحي  
 : (لما قتل أصحاب الحسين كلهم وتلفوا وأبيدوا ولم يبق أحد، بقي عليه السلام يستغيث  
 فلا يغاث وأيقن بالموت أتى إلى نحو الخيمة وقال لأخته : إئتي بي ثوب عتيق لا  
 يرغب فيه أحد من القوم، أجعله تحت ثيابي لثلاً أجرد منه بعد قتلي. قال :  
 فأرتفعت أصوات النساء بالبكاء والتحبيب، ثم أُوتى بشوب فخرقه ومزقه من  
 أطرافه وجعله تحت ثيابه، وكانت له سراويل جديدة فخرقها أيضاً لثلاً تسرب  
 منه)<sup>(٤٤)</sup> وروي أيضاً (أن رجلاً بلا أيد ولا أرجل وهو أعمى، يقول : رب نجني من  
 النار فقيل له : لم تبقى لك عقوبة، ومع ذلك تسأل النجاة من النار؟ قال : كنت  
 فيمن قتل الحسين عليه السلام بكرباء فلما قتل رأيت عليه سراويله وتكة حسنة<sup>(٤٥)</sup> بعد  
 ماسليه الناس فأردت أن أنزع منه التكية، فرفع يده اليمنى ووضعها على التكية،  
 فلم أقدر على دفعها فقطعت يينه ثم همت أن آخذ التكية فرفع شماليه فوضعها

على تكته فقطعت يساره، ثم هممت بنزع التكة من السراويل، فسمعت زلزلة فخفت وتركته فألقى الله علي النوم، فنمت بين القتلى فرأيت كأن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقبل و معه علي وفاطمة فأخذوا رأس الحسين فقبلته فاطمة، ثم قالت : يا ولدي قتلوك قتلهم الله من فعل هذا بك ؟ فكان يقول : قتلني شر وقطع يداي هذا النائم - وأشار إلي فقالت فاطمة لي : قطع الله يديك ورجليك، وأعمى بصرك، وأدخلوك النار، فانتبهت وأنا لا أبصر شيئاً وسقطت مني يداي ورجلاي، ولم يبق من دعائهما إلا النار<sup>(٤٤)</sup> وعن صادق أهل البيت الصَّلَوةُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مامشى الحسين بين يدي الحسن الصَّلَوةُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قط، ولا بدره مبنطقٍ إذا اجتمعا تعظيمًا له)<sup>(٤٥)</sup>، ولا أجد تعبيرًا أعلق به على ذلك أفضل من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لو كان الحياة صورةً لكان الحسين الصَّلَوةُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٤٦)</sup>.

ولكن تأخذ صفة الحياة أهمية أكبر بالنسبة للمرأة، فهي تصونها عن الابتذال، وتجعلها أكثر رزانة وانضباطاً وأبعد عن موقع الفتنة والإثارة، فأولى الناس بخلق الحياة هم النساء، وملحوظ أن المرأة بطبيعتها أكثر نزوعاً إلى الحياة من الرجل. بحيث أنه يعتبر من أبرز ميزاتها، وحياة المرأة أسمى بكثير من حياة الرجل وما يخدش حياءها أقل وأدق مما يخدش حياة الرجل حتى ورد في حديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (الحياة عشرة أجزاء فتسعة في النساء وواحد في الرجال)<sup>(٤٧)</sup> وإن بهاء المرأة وجمالها في حيائها بل تفقد المرأة أنوثتها وإنسانيتها عندما تفقد حياءها وقيل أيضاً إذا فقد حياء المرأة جاز القول بأن المخلوق الذي أمامنا مخلوق آخر لا يسمى بالمرأة<sup>(٤٨)</sup>، ويُضرب المثل بين الرجال عادة بحياة المرأة، فإذا أريد المبالغة في نعت رجل بالحياة، يقال أنه أكثر حياء من فتاة، وقد احترم الشّرع هذه الميزة في

المرأة بل وعدها قيمة إيجابية فاعتبر سكوتها حين تسأل عن رأيها في الزواج من تقدم لخطبتها حياءً وخجلاً، دليلاً على رضاها<sup>(٥١)</sup>، ولم يعتبر ذلك في الرجل، ويقال أيضاً أن المرأة تزداد جمالاً في عيني الرجل المتقدم لها عندما يزداد رأسها انخفاضاً، وتزداد وجنتيها أحمراراً، ويتناثر عرق الحياة على محياتها كاللؤلؤ على صفيحة نور، قال أعرابي : الوجه المصنون بالحياة، كالجوهر المكنون في الوعاء، فكلما زادت المرأة حياءً زاد إعجاباً بها، فهو دليل العفة والفضيلة، قال الشاعر يصف حياء المرأة واحتاجبها :

من الأوانس مثل الشمس لم يرها      في ساحة الدار لا بعل ولا جار  
وقد قيل : الحياة جمال في المرأة وفضيلة في الرجل.

إننا في هذه الأيام في أشد الحاجة لحياة المرأة المسلمة لينضبط حياء المجتمع، فإذا اتسمت المرأة بالحياة استحق المجتمع من التعرض لها بأذى، وإذا احتل حياء المرأة، تزلزلت أقدامها وعصفت بها الفتنة وأصبحت سلعة رخيصة تباع بأبخس الأثمان، ويعيث بها أرباب الفساد وأئمة الهوى، فتكون المرأة هنا غاوية للمجتمع وسبباً للقبائح والجرائم. فحياة المرأة إذن يمكن أن يمثل في وجوده حركة المجتمع، سواء كانت حركة تكاملية إذا كانت المرأة متكاملة، أو كانت حركة تسافلية إذا كانت المرأة متسافلة.

ونحتاج إلى المبالغة في حياء المرأة خصوصاً في هذا العصر، متربعين عَمَّن يصف ذلك بالغلو والتشدد، ولا بد أن تترقى عن حد الوجوب والحرمة إلى ما هو أعلى وأسمى، فكم من الأشخاص تمسكوا ببعض الأفعال بدعوى الخلية وعدم الحرمة وكان ذلك مقدمة للسقوط في المهاوية.

## آثار حياء المرأة

الحياء كما تقدم في التعريف هو الخضوع لجهاز القيم، وهذه القيم إما فطرية إنسانية أو مكتسبة، والمكتسبة قد تكون مكتسبة من أنسس إيمانية أو من البيئة.والذي نتحدث عنه هنا هو القيم الفطرية والمكتسبة الإيمانية، أما القيم التي ما أنزل الله بها من سلطان فلا حاجة لنا بها ونضرب بها عرض الجدار لأنه قد تكون هناك فئات تدعي أنها تقدم قيمًا فاضلة ولكن في الحقيقة قيمها تقتل القيم الإنسانية الفطرية. فكلامنا فعلاً يقع في بعض آثار الحياء الإيمانية الواضحة في السلوك البشري التي تصعد بالمرأة في مدرج الكمال والطهر، ومن آثار حياء المرأة :

١-الستر والعفاف : قال الأمير عليه السلام (على قدر الحياء تكون العفة) <sup>(٥٣)</sup> وعن عليه السلام

(ثمرة الحياء العفة) <sup>(٥٤)</sup>. (إن الله يحب الحبيبي المتعطف) <sup>(٥٥)</sup>

من القضايا المهمة التي شدد عليها الإسلام قضية الحجاب، واستعمال مصطلح الحجاب للمرأة استعمال جديد نسبياً، أما في مصطلح الفقهاء القدامى فقد كانت كلمة (الستر) هي المستعملة بمعنى الحجاباليوم <sup>(٥٦)</sup>.

لكي لا تتحول المرأة إلى أداة إغراء للمجتمع، وضع لها الشارع المقدس حصنًا منيعاً، فجعلها تضع لباساً على جسمها بطريقة تسهم في ستر مفاتنها وتعمل على حجب الجانب البدني والمادي في جسد المرأة لصالح إظهار الجانب الإنساني والمعنوي في شخصيتها، ومنعها من التبرج <sup>(٥٧)</sup> والعرى، فإن العري صفة بهيمية لا يميل الإنسان إليه إلا إذا تسرف وعذ في صفات البهائم، وإن رؤية العري جمالاً هو فساد في الذوق الإنساني وقتل للفطرة السليمة.فالحجاب في واقعه منع لغبنة

البعد الحيواني على البعد الإنساني والعقلي في شخصية الإنسان، والحجاب في جوهره إعلان شأن العقل على غيره وإظهار له، إذن الحجاب ناصر للعقل والبعد المعنوي والجانب المتعالي على الشهوة والبعد الحيواني والجانب المتسلط في شخصية الإنسان، ورحم الله من قال (الحجاب حجاب للشهوة وسفور للعقل)، و الحجاب في روحه دعوة إلى التقوى، قال تعالى (بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون)<sup>(٥٧)</sup>. والحقيقة هي أن (الحجاب) أو لبس القماش ما هو إلا جزء من (الحجاب الإسلامي)، والحجاب الإسلامي هو : عنوان تلك الجموعة من الأحكام الاجتماعية المتعلقة بوضع المرأة في النظام الإسلامي، والتي شرعها الله سبحانه وتعالى لتكون الحصن الحصين الذي يحمي المرأة، والسياج الواقي الذي يعصم المجتمع من الافتتان بها. فالحجاب ليس مجرد لباس، بل سترا للغرائز الحيوانية وسترا للرذيلة وسترا لكل الأخلاق السيئة، وهو ما ينسجم مع طبيعة الفطرة الإنسانية القائمة على حفظ أغلى وأثمن ما لدى الإنسان، فهو الحافظ لكرامة المرأة ومعنوياتها.

وقد حدّث الرسول الكريم على قضية الحجاب أمّا حدث، وأنذر تاركته بالوعيد والحميم، فعن أمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup> : قال : (دخلتُ أنا وفاطمة على رسول الله<sup>صلوات الله عليه وسلم</sup> ، فوجدته يبكي بشدةً ، فقالت : فداك أبي وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك ؟ فقال : يا علي، ليلة أُسرِيَ بي إلى السماء رأيتُ نساءً من أمتي في عذاب شديد، فأنكرتُ شأنهنَّ فبكيت لما رأيت من شدة عذابهنَّ..... ومن ضمن تلك النساء..... قال : رأيت امرأة (معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها)..... فلما سألته الزهراء<sup>عليها السلام</sup> عن سبب ذلك.... قال : أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا

تغطي شعرها من الرجال.....)<sup>(٥٨)</sup>.

### من حكم الحجاب

قال تعالى (يا أيها النبي قل لآزواجهك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفَنَ فَلَا يُؤْذِنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا<sup>(٥٩)</sup>)

التفسير : أي ستر جميع البدن أقرب إلى أن يُعرفن أنهن (أهل الستر والصلاح) فلا يؤذين، أي لا يؤذيهن (أهل الفسق) بالتعرض لهن<sup>(٦٠)</sup>.

وهنا يحافظ الإسلام على المرأة من الأذية بتشريعه للحجاب، فإن الخصائص الموجودة لديها من الممكن أن تسبب عادةً في الأذية بالنسبة إليها، فإننا نلاحظ دائمًا أن الشباب الفاسد إنما يتحرش بالخفيفات المستهترات العاريات، فإذا قيل له : لماذا تتحرش بالنساء؟ يقول : لو لم يكن هن راغبات في ذلك لما خرجن إلى الشارع على هذه الصورة الفاضحة. فإذا رأى هؤلاء أن نساءنا متمسكات بحجابهن، فسيدركون أنهن من النسوة العفيفات النجبيات، فينتاب اليأس الذين في قلوبهم مرض. فهنا يتضح أن الحجاب عفاف، يفقأ عين الشر ويقطع يد الإثم.

قال الشاعر :

ولم تخشى حياءً من رقيب	فلن تخشى حياءً من رقيب
جلست ترى العجب العجaba	إذا سارت بدا ساق وردف ولو
أهذا طبع من رام الصوابا	بربك هل سألت العقل يوماً
إلى الإسلام تنتسب انتساباً	أهذا طبع طالبة لعلم
وما كان السفور إليه بباباً	ما كان التقدم صبغ وجه
وطبع الحمل أن يخشى الذئابا	شباب اليوم يا أخي ذئاب

ففي هذا العصر أصبحت المرأة جسدا يعرى ليلي احتياجات الاستهلاك وتغير موضعه الأزياء وإنتاج المصانع الرأسمالية من مساحيق زينة وتحميل، فلتتعلم المرأة المسلمة قيمة الحجاب ومدى عظمة الإسلام الذي وضع الحجاب ونهى عن السفور، فهاهو (جورج رائيلي اسكات) الكاتب الإنكليزي في كتابه (تاريخ الفحشاء) يقول : إن من الأسباب التي قوشت الخلق والأدب في إنكلترا والأقطار الأوربية وتدور المرأة واحتلالها بالفسق والفحش والتعهر، هي : (الولوع الفاحش بالتبرج الذي قد بعث في نفس كل فتاة أشد الحرص على الأزياء الفاتنة غالياً من أحدث الطرز وأدوات الزينة والزخرف من شتى الأنواع وهذا أكبر أسباب هذه الفحشاء.....).<sup>(٦١)</sup>

قال تعالى (وإذا سأتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب ذلك أظهر لقلوبكم وقلوبهن).<sup>(٦٢)</sup>

التفسير : إذا مست الحاجة إلى تكليمكم أزواج النبي ﷺ فكلموهن من وراء حجاب قوله (ذلك أظهر لقلوبكم وقلوبهن) بيان لمصلحة الحكم<sup>(٦٣)</sup>. ويمكن الاستفادة من الآية الآنفة الذكر التي تتكلم عن عدم الأذية لنساء المؤمنين، أن الحكم بوجوب الحجاب لا يختص بنساء النبي ﷺ بل هو مشترك بين جميع النساء، كما يمكن تعريف عبارة (ذلك أظهر لقلوبكم وقلوبهن) التي تبين مصلحة الحكم على جميع النساء، وبالتالي فإن الآية المذكورة ألمت الرجال المسلمين أيضاً باحترام حجاب النساء الأجنبية كافة.<sup>(٦٤)</sup>

ومن هنا نعرف ضرورة التزام المرأة بالحذر والدقة الشديدة والبالغة من أي شيء قد يتحول في شخصيتها لعامل إثارة و إغراء، وتكون قضية الستر هي قضيتها التي لا تقبل المساومة عليها أبداً، لكون حجاب المرأة ضرورة اجتماعية ملحة،

ولتحافظ على طهر قلبها ونقاءه.

روي أنه خرجت امرأة من صالحات نساء قريش إلى بابها لتغلقه، ورؤسها مكشوف، فرأها رجل أجنبي فرجعت وحلقت رأسها، وكانت من أحسن النساء شعراً، فقيل لها في ذلك، قالت : ما كنت لأدع على رأسي شعراً رآه من ليس بمحرم.<sup>(٦٥)</sup> ورحم الله امرأة كانت فقدت طفلها فوقفت على قوم تسأهم عن طفلها فقال أحدهم: تسأل عن ولدتها وهي تغطي وجهها. فسمعته فقالت: (لأن أرزاً في ولدي خير من أن أرزاً في حيائي أيها الرجل).

بيد العفاف أصون عز حبابي      وبعصمتى أسمو علىأترابى  
٢- تجنب الاختلاط : أيضاً من الآثار البارزة لحياة المرأة تجنب الاختلاط بالجنس المخالف حفاظاً على الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، ولا مأخذة شرعية طبعاً إذا أرادت المرأة المتزمة بحدود الحجاب الشرعي الذهاب إلى السوق مثلاً ما لم تتجه إلى الفساد، فلا (وجوب شرعي) في المقام، ولكن يجب على المرأة المسلمة أخلاقياً (وجوب أخلاقي) الابتعاد عن الرجل الأجنبي مهما أمكن والسعى في الخصار عملها في البيت.

وقد تطرأ ظروف خاصة وتنقضي المصلحة الاجتماعية والسياسية مشاركة النساء في التجمعات العامة، فيلزم هنا أيضاً فصل تجمع النساء عن الرجال قدر الإمكان فإن اختلاط المرأة مع الرجل الأجنبي، ذو قيمة أخلاقية سلبية من وجهة نظر الإسلام<sup>(٦٦)</sup>.

جاء في وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الإمام الحسن<sup>عليه السلام</sup> (واكفف عليهن من أبصارهن بمحبابك إياهن، فإن شدة الحجاب أبقى عليهن، وليس خروجهن بأشد

من إدخالك عليهم من لا يوثق به عليهم. وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك  
فافعل<sup>(٧٧)</sup>

وهناك حديث ثمين جداً بأن يكون نصيحة ووصية أخلاقية لابد أن يضعها المجتمع  
نصب عينيه وهو حديث مروي عن سيدة النساء وسيدة العفة والأخلاق عليها السلام  
والحديث ملخصاً كما يلى :

(سأله الناس يوماً : ما أفضل شيء للمرأة؟ فلم يستطع أحد أن يجيب. وكان الحسن بن علي صغيراً حاضراً في المجلس، فحكى القصة لأمه الزهراء فقالت : أفضل شيء للمرأة هو ألا يراها أجنبي، وألا ترى أجنبياً<sup>(٧)</sup>. فإن هذا الحديث صريح وواضح في أرجحية بعد المرأة عن الرجل.

إشكال : إن هذين الحديثين وما يشبههما من أحاديث لم يستند إليها الفقهاء في استنباط حكم إلزامي لوجود أدلة قطعية أخرى من الآيات والروايات تخالف الظاهر من معنى هذه الأحاديث، فالفقهاء أجازوا الاختلاط إذا التزمت المرأة بحدود الحجاب الشرعي.

الجواب : إن جميع الاستثناءات الإسلامية هي من باب رفع المحرج والضيق ، أما الأرجحية الأخلاقية في التحجب ، وبعد المرأة عن الرجل وإيجاد الحرير بينهما ، فأمور باقية على حالها<sup>(٦٩)</sup> ، وهذا الوجوب كما تقدم هو على نحو الأمر والوجوب الأخلاقي الإرشادي لا على نحو الوجوب الشرعي الإلزامي ، والأول أرقى وأفضل من الثاني حتماً ، وإن الكيس الفطن لا يطمع في الداني مع وجود العالى .

إذن تلخص ما سبق أن ما يوصي به الإسلام كأمر أخلاقي هو تجنب الاجتماعات المدنية المختلطة قدر الإمكان. فإن العلاقة بين رجل وامرأة أجنبيين علاقة خطيرة جداً فهذه العلاقة كما يعبر عنها (الوحل الذي تنزلق فيه الفيلة)، و مجتمعنا

اليوم يرى بنفسه أضرار المجتمعات المختلطة، فها هو الغرب بنفسه يذعن ويعرف بأضرار الاختلاط، ونذكر هنا أقوال البعض في نتائج الاختلاط في الغرب لعل نساعنا يتبعطن بذلك قبل أن يسبق السيف العذل، وينخدعن بالشعارات الكاذبة، فإن الشقي من وعظ نفسه، والسعيد من وعظ بغيره : من نتائج الاختلاط في العمل تقول السيدة (اللادي كوك) : إن الاختلاط يألفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها وعلى قدر الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، ولايخفى ما في هذا من البلاء العظيم على المرأة، فيما أنها الآباء لا يغرنكم بعض دريهمات تكسبها بانتقامكم باشتغالهن في المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرناه، فعلمونهن الابتعاد عن الرجال، إذ دلنا الإحصاء على البلاء الناتج من الزنا يعظم ويتفاقم بين الرجال والنساء، ألم تروا أن أمهات أولاد الزنا هن من المستغلات في المعامل ومن الخادمات في البيوت ومن أكثر السيدات المعرضات للأنظار ولو لا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن<sup>(٧٠)</sup>.

### ومن حصاد بعض مدارس الغرب المختلطة :

يقول الباحث السوسيولوجي الفرنسي "ميشار فيز" مؤلف كتاب "مطبات الاختلاط المدرسي": "لم يحقق الاختلاط النتائج التي كانت مرجوة منه على الإطلاق، فعلى صعيد العلاقات بين الذكور والإإناث، لم تؤد تجارب الاختلاط إلى بروز علاقات أكثر توازنا وفقا لمبادئ المساواة والاحترام المتبادل، بل بالعكس تولّد قدر متزايد من العنف في الإطار المدرسي، فحسب تقرير لوزارة التربية الفرنسية، نُشر في مارس ٢٠٠٣، تم تسجيل ١٤٠٠ حادثة اعتداء أو عنف ذات

طابع جنسي في المدارس التكميلية الفرنسية البالغ عددها ٧٨٥٩ مدرسة، خلال موسم دراسي واحد! الشيء الذي لم يكن ليخطر في أذهان الذين تمحسوا للاختلاط في الستينيات، لأنهم كانوا يتصورون أنه يتحقق للفتيات المساواة، حين أن النتائج جاءت عكسية تماماً، فالبنات في المدارس المختلطة أصبحن عرضة بشكل متزايد للاعتداءات الجنسية وللعنف الذكري بمختلف أشكاله".

ويقول الباحث "أندريه روش"، مؤلف كتاب "تحولات الهوية الذكورية"، إن الاختلاط في حد ذاته أدى إلى إفراز وخلق فوارق جديدة تمثل في تراجع قدرات التلاميذ الذكور على التحصيل العلمي، بدءاً من السلك التكميلي حتى نهاية الثانوي، حيث لا يتجاوز عدد الناجحين الذكور في امتحان الباكالوريا ٦٣ بالمائة من مجموع المسجلين في المدارس المختلطة، في حين أن نسب النجاح في المدارس الخاصة (الدينية) التي لا تعتمد الاختلاط يصل إلى ٧٦ بالمائة.

ويرجع الباحث روش أسباب هذه الظاهرة إلى التأثيرات السلبية لوجود البنات والذكور في أقسام مشتركة، خصوصاً في سن المراهقة، حيث يؤدي ذلك إلى تراجع قدرات الذكور على التركيز والتحصيل العلمي.

والمفعول ذاته موجود أيضاً لدى البنات، لكنهن في العادة أكثر انضباطاً والتزاماً بالقواعد الدراسية من الذكور، ولذا فإن هذه الانعكاسات بالنسبة لهن محدودة جداً.<sup>(٧)</sup>

ويقول (جوان هول) مدير مدرسة "ليدرشيب شارتير" للبنات في ولاية شيكاغو (الأمريكية) أن المدرسة بدأت تطبق برنامج فصل البنات عن الأولاد منذ العامين الماضيين حيث ضمت ٣٢٥ فتاة واليوم يوجد لدينا قائمة انتظار لأكثر من ٤٠٠ فتاة، ويرى هول أن البنات يتعلمن بصورة هادئة خالية من التصرفات

المزعجة التي كانت تصدر منها نظر الأولاد المراهقين حيث يتبعها إلى دروسهن بدرجة عالية بالإضافة إلى حريتهن في الحديث بدون خجل أو تردد.<sup>(٧٢)</sup> ولقد قام بعض الباحثين بدراسة عاجلة لمعدلات تزايد الطلاق في العالم الغربي، فوجد أن ظاهرة الخيانة الزوجية، وتهيئة المناخ الملائم لها، وهو الاختلاط بين الجنسين، كان وراء تزايد معدل الطلاق في الغرب.<sup>(٧٣)</sup>

٣- السكينة والوقار : عن رسول الله ﷺ : (إِنَّ مِنَ الْحَيَاةِ وَقَارًاً وَإِنَّ مِنَ الْحَيَاةِ سَكِينَةً).<sup>(٧٤)</sup>

لابد للمرأة من الالتزام بالوقار والخشمة حين التحدث مع الرجال، إذا اقتضت الضرورة ذلك، وأن لا يكون حن كلامها مثيراً لأهواء الرجال، قال تعالى (فلا تخضعن بالقول فيطعم الذي في قلبه مرض وقلن قولًا معروفاً)<sup>(٧٥)</sup>. فإذا أرادت المرأة أن توصل صوتها إلى أجنبي بقصد التهسيج والتحريك، فقد ارتكبت محظياً شرعاً. والوقار هو تماسك الشخصية في سائر تصرفاتها، قال الشريف الرضي :

وقور: فلا الألحان تأسر عزتي      ولا تذكر الصهباء بي حين أشرب  
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها      ولا أنطق العوراء والقلب مغضب

ومن آثار حياة المرأة الأدب وعدم التلفظ بكلمات بذيئة، قال الإمام الصادق ع: لاتذهب الخشمة بينك وبين أخيك، فإن ذهاب الخشمة ذهاب الحياة، وبقاء الخشمة بقاء المودة)<sup>(٧٦)</sup>، وأن يكون المدوء تاجها وأن لا يرتفع صوتها، لا سيما إذا كانت في محضر الأجانب، لحفظ جمالها وجلالها، فمن كثروقاره كثرة جلالته.<sup>(٧٧)</sup>

## نساء خالدات

لقد بزغت في سماء التاريخ شموس لا يمكن أن تغيب، ويحل محلها الظلام، وهي

أولى بالتأسي والاقتداء، من السافرات المترجلات اللائي ذاع صيتها المزعج هذه الأيام، فعلى المرأة المؤمنة أن تقتندي بمن كان الطهر والحياء مليء كيانهن لا من يخجل القلم عن تسطير أفعالهن، فقد قال النبي الكريم ﷺ : (من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قومٍ أشرك في عملهم) <sup>(٧٨)</sup>.

لقد خلَّد القرآن الكريم ذكر امرأة من أهل هذا الخلق (الحياء)، وقد ورد ذلك في قصة ابنتي شعيب رض حيث أرسلت إحداهما من قبل أبيهما لدعوة موسى صلوات الله عليه، قال الله عنها : { فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِيهِ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصْصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } <sup>(٧٩)</sup>.

فالله سبحانه يمدح هذه الصفة في المرأة وهي أن تعامل مع الرجل الأجنبي عنها وهي تشعر بالحياء، فتنكير الاستحياء في الآية للتخفيم، والمراد بكون مشيها على استحياء ظهور التعفف من مشيتها <sup>(٨٠)</sup>، والنصول المفسرة تذكر لنا أن الفتاة كانت من الخفِرات اللواتي لا يحسن المشي بين يدي الرجال، ولا الكلام معهم، وخير دليل على ذلك أنها جاءت إليه تمشي على استحياء بلا تبذل، ولا تبجح، ولا إغواء، وكلماتها التي خاطبت بها موسى صلوات الله عليه، إذ أبانت مرادها بعبارة قصيرة واضحة في مدلولها، من غير أن تسترسل في الحديث والمحوار معه (قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)، كل هذا من آثار الفطرة النظيفة والتربية الراقية.

فهذه المرأة نالت وسام تخليد ذكرها في القرآن لما اتصفـت من خلق رفيع فهي (خَفْرَةٌ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، وَلَا تَتَحَدَّثُ مَعَ الرَّجُلِ إِلَّا لِضَرْوَرَةٍ).

ولا يدرى من وقف على أحداث هذه القصة التي جرت لنبي الله وكليمه

موسى عليه السلام أىعجب من حياء المرأة أم من حيائه عليه السلام، فإن موسى عليه السلام لما اضطر إلى الذهاب مع الفتاة، أمرها بالمشي خلفه، حتى يتتجنب النظر إلى ماتكرره السماء.<sup>(٨١)</sup>

ويذكر القرآن الكريم خلق امرأة أخرى، مصطفاة من الله، وسيدة نساء أهل زمانها، مريم ابنة عمران، فإنها لما اتخذت من دون القوم حجاباً، وخلت لوحدها، أرسل الله إليها ملكاً عظيماً تجسد لمريم على شكل إنسان جميل لا عيب فيه ولا نقص قال تعالى (فأخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً).<sup>(٨٢)</sup>

ولا توصف حالة مريم وهي التي كان يضرب بها المثل بين الناس في العفة والتقوى، عندما شاهدت هذا المنظر، وهو دخول رجل أجنبي في محل خلوتها، فكم داخلها من الرعب والاضطراب، ولذلك فإنها - وبشكل مباشر - (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيناً).<sup>(٨٣)</sup>

وهاهي السيدة خديجة عليها السلام تشمغ في أدبها واستحيانها في طلبها من زوجها لاسيما مع مقام النبوة المهيّب، فقد روی أنه لما اشتد مرضها أوصت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بوصايتها ولما وصلت للوصية الثالثة قالت : (أما الوصية الثالثة : فإني أقولها لابنتي فاطمة وهي تقول لك فإني مستحبة منك يا رسول الله، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من الحجرة فدعت بفاطمة وقالت (يا حبيبتي وقرة عيني قولي لأبيك : إن أمي تقول : أنا خائفة من القبر أريد منك رداءك الذي تلبسه حين نزول الوحي تكتفي فيه) فخرجت فاطمة وقالت لأبيها ما قالت أمها خديجة، فقام النبي صلى الله عليه وسلم الرداء إلى فاطمة، وجاءت به إلى أمها، فسررت به سروراً عظيماً.<sup>(٨٤)</sup>

أما أكمل نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، فقد كانت تخجل النساء، من شدة حياءها وكمال عفتها، كيف لا وهي أدنى وأقرب النساء من ربها سبحانه وتعالى، وهي القائلة (إن أدنى ما تكون المرأة من ربها أن لا ترى الرجال ولا يراها) <sup>(٨٥)</sup>. فإن العفة والمحجب من ذاتيات سيدة النساء، وقد أعطت للمرأة المسلمة الدرس في ذلك لتكون في قمة الكمال، فإن كمال الحقيقة الإنسانية في المرأة هو الحقيقة الفاطمية.

روي أنه دخل أعمى - بعد الاستئذان - بيت الإمام علي عليه السلام، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاضراً هنا.

فرأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزهراء عليها السلام قاتمة، وابتعدت عن ذلك الرجل واحتجبت منه.

قال النبي: (لم حجبتيه وهو لا يراك؟)  
قالت: يا رسول الله إن لم يكن يراني فإني أراه، وهو يشم الريح.  
وانبرى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد فيها هذه الروح قائلاً : (أشهد أنك بضعة مني) <sup>(٨٦)</sup>.  
ولم تحافظ الزهراء على حجابها وحياتها في حياتها وحسب، بل حافظت عليهما حتى بعد موتها بأبي وأمي، فقد جسدت لنا بنت الطهر ذرورة العفة والمحجب  
عندما ذكرت الزهراء لأسماء بنت عميس في أواخر حياتها كيفية حمل الناس  
للموتى من النساء، وأبدت قلقها من ذلك قائلة: (إنني قد استقبحت ما يصنع  
بالنساء، أن يطرح على المرأة الثوب، فيصفها لمن رأى، فلا تحمليني على سرير  
ظاهر، أستريني، سترك الله من النار) <sup>(٨٧)</sup>.

وفي يوم المحرث أيضاً لا يرى خيال فاطمة، فعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: إن الله تعالى إذا بعث الخلائق من الأولين والآخرين، نادى منادي ربنا من تحت عرشه :

يا عشر الخلائق غضوا أبصاركم لتجاوز فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين على الصراط، فتغض الخلائق كلهم أبصارهم، فتجاوز فاطمة على الصراط<sup>(٨٨)</sup>. ولعمري لو اقتدت نساء الكون بفاطمة، لزهد الرجال في الحور العين، ولأضحت نساؤنا في أعلى عليين، ولبنت مجتمعاً إسلامياً متظمراً قائماً على الشرف والفضيلة. وعلى أي حال فإن حجاب سيدة النساء كان نوراً لكل فتاة تريد أن تعيش عزيزة في المجتمع. يقول الشيخ الأصفهاني :

وخدراها السامي رواق العظمة      وهو مطاف الكعبة المعظم  
حجابها مثل حجاب الباري      بارقة تذهب بالأبصار  
مثل الواجب في حجابها      فكيف بالإشراق من قبابها  
ولا أدرى ما أقول في زينب<sup>عليها السلام</sup>، فهي وارثة خلق أمها، وهي امرأة رببت في حجر الزهراء، وتوجيهات علي، فمن ذا يستطيع أن يتكلم عن شخصيتها، وعن جلاله قدرها، ويحدثنا التاريخ عنها بما يدهش العقول، ويثير الألباب، وقد كانت زينب العفاف عينه، والخشمة ذاتها، فقد حدث يحيى المازني قال : كنت في جوار أمير المؤمنين في المدينة مدة مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فلا والله مرأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً ، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله<sup>صلوات الله عليه وسلم</sup> تخرج ليلاً والحسن عن يمينها، والحسين عن شملها، وأمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup> أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup> فأحمد ضوء القناديل فسألها الحسن<sup>عليه السلام</sup> مرة عن ذلك فقال<sup>عليه السلام</sup> : أخشي أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب<sup>(٨٩)</sup>.

فإن عليها<sup>عليها السلام</sup> لا يريد أن تلحظ شخص ابنته عين، إنها بحق درة مصونة وجوهرة

مكتونة، وسأذكر بعضًا من مواقفها البطولية الدالة على شدة حرصها على الحجاب، في أحلك الأوقات وأصعب الظروف، في ختام البحث إذا وفقني الله تعالى لذلك.

### ومات الحياة

لا يخفى أن الحياة من الناس، يكون عندما يعتبر المجتمع تلك الأعمال مذمومة ومستهجنة. أما المجتمع المصاب بالانحراف والضلال، المبتعد عن تعاليم السماء، الذي تفقد فيه بعض المفاسد والمعاصي قبحها، ويعتبرها الجميع أموراً اعتيادية، فإنه لا يقف الانحراف في ذلك المجتمع عند فقدان الحياة، بل قد يتفاخرون بأعمالهم المنافية للحياة والأدب، ويعدون منكرها متخلفاً، أو رجعياً، أو مناهضاً لحقوق المرأة والمجتمع، وقد وصل الحد في بعض المجتمعات، إلى كسر طوق الحياة تماماً، فهناك مجتمعات في هذا العصر، ترى في العفة والامتناع عن العلاقات الجنسية غير المشروعة جحوداً وتخلقاً، وتعتبر الحرية في العلاقات غير المشروعة مثلاً للتقدم والوعي والنضوج !!! في مثل هذه المجتمعات لا يوجد معنى للحياة ومراقبة للأفكار العامة، ونذكر هنا بعض الأمثلة عن واقع المرأة في المجتمع الغربي ونعرج بعدها على المجتمع العربي والإسلامي وحالته المزرية في هذه الأيام وليعذرني القارئ على ما سأذكره من أمثلة سلفاً.

في الغرب : لقد كشف الغرب عن عورته جهاراً بلا خجل ولا استحياء متفاحراً متبجحاً بذلك، وأقتصر هنا على مثالين لواقع المرأة الغربية، فإن مظاهر التحلل في الغرب واضحة كالشمس إذا انقشع السحاب :

(يونايتيد برس لقد أعلن (الدكتور رونالد جبسون) قبل أيام في مؤتمر جمعية

الأطباء البريطانية، عند قراءة تقرير يتعلق بالقضايا الجنسية، بأنه في إحدى المدارس الإنكليزية للبنات كانت الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن بين الـ ١٤ والـ ١٥ سنة يضعن شارات خاصة على صدورهن، تشير إلى أنهن قد فقدن بكارتهن ! لقد أدى هذا التقرير إلى اضطراب شديد في الأوساط الدينية ومن قبل أولياء أمور الفتيات، وأكد الدكتور جبسون في مؤتمر جمعية الأطباء البريطانية أن انعدام الضبط الخلقي يسيطر على جميع نقاط البلاد، واعتبر الطب الروحي الجديد مقصراً كل التقصير، وقد أعلن (الدكتور امبروس لينك) وهو من المعينين الاختصاصيين في الأمراض الجنسية بعد أيام من ذلك بأنه منذ عام ١٩٥٧ وحتى الآن فقد ظهر مرض جنسي جديد بين الشبان الأحداث. وقد شاع بين الفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين الـ ١٥ والـ ١٩ عاماً بنسبة ٣٦٧٪، أما بين الفتيات اللاتي في نفس السن فقد ازداد المرض بنسبة ٤٦٥٪.<sup>(٩٠)</sup>

قال الأستاذ أبو الأعلى المودودي في كتابه (الحجاب) : (وبلغ من شيوع الفحشاء في فرنسا، قبل الحرب العالمية الأولى، أن النساء اللواتي كن يحترفن البغاء ما يقارب نصف مليون، كما جاء في تقرير(ميسيو بيلو) وخمن القاضي الأمريكي (لندسي) أن ٤٥٪ من فتيات المدارس يدنسن أعراضهن قبل تخرجهن وترتفع هذه النسبة كثيراً في مراحل التعليم العالية.

وقد بلغت نسبة الحبالي من تلميذات المدارس الثانوية في (دنفر) عاصمة ولاية (كولورادو) عن طريق البغاء نسبة ٤٨٪.<sup>(٩١)</sup> وقد ذكر أن مليون امرأة تقريباً عملن في البغاء بأمريكا خلال الفترة من ١٩٨٠م إلى ١٩٩٠م، ويولد سنوياً أربعة ملايين طفل غير شرعي في الولايات المتحدة.

في المجتمعات العربية والإسلامية : شاعت الوقاحة، حتى أصبحت أمراً عادياً في بعض هذه المجتمعات، ونرى ذلك واضحاً من ترد الجيل الصاعد شباباً وشابات على التقاليد والأعراف، والفقهيات والأخلاقيات الأسرية والاجتماعية، مما يساعد على موت الحياة وتنبيه عامل المرأة على ممارسة الرذائل الأخلاقية، التي كانت في يوم من الأيام تستحي المرأة في مجتمعنا من مجرد الحديث عنها، فضلاً عن ارتكابها أمام الآخرين، اليوم أصبحت هذه الممارسات التي كانت في دائرة محرمة عند كثير من النساء من المباحثات التي لا تحجل من ممارستها، كل ذلك بسبب البعد عن إرشادات الإسلام، وتقليد الغرب، وسوء التربية.

وقد بدأت هذه الظواهر في المجتمعات الإسلامية تنتشر، ومن مظاهر تحلل المرأة المسلمة أنها استبدلت عباءة الرأس الزينية بعباءة الكتف أو غيرها من العباءات التي قد تفصل الجسم وتظهر مفاتن الجسد، وهي تعلم أن العباءة الزينية الأصيلة أعنف وأستر، وأخرى أخذت تشارك في التجمعات المختلطة بدعوى المشاركة السياسية أو المشاركة في الجمعيات التي تنادي بحقوق المرأة، فأخذ يعلو صوتها ويرتفع، وتجادل مع الرجال وما أشبه، وثالثة تعمل في دوائر مختلطة وأخذ يتصرف وجهها الأجانب بمحنة التمدن والتطور.

وقد ازداد الأمر سوءاً يوماً بعد يوم، فعندما فسحت فتيات الإسلام من أمة محمد ﷺ الحياة أصبحن في حالة يرثى لها، وفي وضع يشكي منه، ودب الانحراف في صفوفهن، فقامت بعضهن بنزع الحجاب، والخروج إلى الأسواق متطلبات متجملات لابسات لأنواع الخلي والزيينة، لا يبالين بنظر الرجال إليهن، بل ربما يفتخرن بذلك، فتجسدت شيطاناً مغرياً للشباب، وبالنتيجة صرن يتعرضن للمعاكسات من الشباب المنحرف، ففي الدراسة التي أجريت عن العوامل

الاجتماعية المؤدية إلى الجرائم الجنسية في المجتمع السعودي عام ١٤١٤ للهجرة، تبين أن (٢٤١٪) من الحكم عليهم بأفعال جنسية محمرة، كانت بداية اخراجهم وجذوبيتهم الجنسي هو ارتياح الأسواق التي تتردد عليها النساء بكثرة، وأبرز ذلك البحث الميداني أن ظاهرة مضايقة النساء في الأسواق بقصد المعاكسة، ترتبط كثيراً بسلوك المرأة ولبسها وحركاتها، فقد ثبت من الدراسات الاجتماعية على المجتمع السعودي، أن العوامل المرتبطة بالإجرام الجنسي، كان بينها علاقة أكيدة وقوية بين سلوك المرأة في طريقة لبسها وتعطرها وحركتها، وبين ارتكاب الجرائم الأخلاقية.<sup>(٩٣)</sup>

فهنا يذوب عفاف المرأة المسلمة، وتستغلها أننياب الذئاب البشرية لإشباع جوعها، فتزل قدمها وينفرط العقد وتظل هي في حسرتها وألامها :  
**عِقدُ الْعَفَافِ ثَمَنٌ حِينَ تَحْفَظُهُ      بَنْتُ الْمَكَارِمِ أَوْ فِي الْوَحْلِ يَنْفَرِطُ**  
فالعفاف تاج، بل كنز حقيقي لا تراه أو تعرف قيمته الحقيقية إلا عيون النادمات، وهذا ليس بعيد عن مجتمعات اليوم فقد دبت في عروقها الفحشاء والرذيلة، وربما فرضت هذه الرذيلة بقوة القانون في بعض الأحيان.

إنما يجدر بعض الشباب والشابات إلى هذه الممارسات غير الأخلاقية، غير مبالين، قد أشاحوا بوجوههم عن الحياة والعفة، وأذكر على سبيل المثال ما تناقلته وسائل الإعلام عن مشرفة اجتماعية في إحدى المدارس أنها شاهدت فتيات مراهقات يغفن أسماء من يحبن على أيديهن، من المغنين والراقصات وما شابه من أضرابهن.<sup>(٩٤)</sup> وغير ذلك كثير مما يندى له الجبين.

وقد صدمت عندما قرأت ما طالعتنا به الصحف بأن إحدى النساء المسلمات العرب والتي تعد في صف المشاهير قد قامت بما لا يجرؤ عليه الغرب نفسه، فقد قامت بخلع ملابسها تماماً في ساحة واشنطن سكوير بارك ووقفت عارية كما ولدتها أمها... وأمام وسائل الإعلام والسياسيين كتبت على ظهرها باللون الأحمر عبارات تطالب بإيقاف الحرب في العراق وفلسطين.. !!

ومن المضحكة البكي ما قالته بعد ذلك في حوار صحفي حيث قالت : آمل ألا يساء فهمي وبشكل خاص من قبل الناس المتندين، فالله ضد الحرب وأي شيء نقوم به للتعبير عن رأينا سيكون ضد الظلم.. !!<sup>(٩٤)</sup>

ومن هنا أرادت هذه العارية خلق تشريع جديد يقتضي إطاعة الله من حيث يعصى، إذ الغاية عندها تبرر الوسيلة، تحرير المقدسات على حساب الحياة والعفة، فجسدها العاري سيحل لنا مشكلة العراق و فلسطين !! ولو كانت مقاومة الظلم بالتعري لتحول كل الرجال إلى ظالمين ليستمتعوا بعفافهن النساء في الشوارع.. (إن لم تستحي فاعمل ما شئت)

وأحمد الله تعالى على أن هذا الحدث قد لاقى معارضة واستنكار نوعاً ما من قبل المجتمع المسلم، أما بعض الانحرافات فقد عدتها المجتمع من الفضائل، وقد اعتبر رسول الله ﷺ هذه الظاهرة من أخطر المشاكل الاجتماعية، قال رسول الله ﷺ: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ !

فقيل له : ويكون ذلك يا رسول الله ؟ !

قال : نعم، وشر من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف ؟ !

قيل: يا رسول الله ويكون ذلك ؟ !

قال : نعم، وشر من ذلك. كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر  
معروفاً؟<sup>(٩٥)</sup>

وكل هذه الأمثلة غيض من فيض عما يحدث في واقعنا المر من ذهاب الخلق والفسخ، قال الشاعر :

وإنما الأمم الأخلاق مابقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

بيت العنكبوت

لقد ظهر في هذه الأيام من يحاول أن يتحذلّق، ويبرر تصرفاته غير المسؤولة وأفعاله الوقحة، ببعض الشعارات واللافتات الخادعة التي هي كالقبور، (ظاهرها مزين وباطنها جيفة)، فهذه الشعارات لا تعدو كونها مطيةً لوصولهم إلى رغباتهم وإشباع شهواتهم، ومن المأسف حقاً في هذه الأيام، إخداع المرأة المسلمة بهذه الشعارات، مما سبب موت الحياة لديهن وظهور تلك المظاهر المخزية الأنف ذكر بعضها.

ومن تلك الشعارات :

الحرية : ارتفعت في الآونة الأخيرة أصوات الداعين لتحرير المرأة، وطالبوها بتحرير المرأة مما يسمونه عادات وأعراف بالية قدیمة، فلا بد للمرأة من التحرر والاختلاط والمشاركة في كل شيء يروم لها لتأخذ بذلك المرأة حقوقها المغصوبة. ونقول في ذلك، لا يأس بالطالبة بالحرية التي تقف عند حدود الشرع المقدسة، باعتبار أن كمال الإنسان هو في عبوديته لا في حريته، عبوديته وإطاعته لله سبحانه وتعالى، واحترامه للقيم، وإن تسافل الإنسان هو في عصيانه لله وتمرده

على القيم، فكلما كان الإنسان أعبد وأطوع، كلما كان أكمل وأقرب إلى الله سبحانه وتعالى، قال الإمام الصادق عليه السلام : (العبودية جوهرة كنهها الربوبية)<sup>(٩٦)</sup> ، ومن هنا كان من جملة ما نستدل به على أفضلية الإمام علي عليه السلام على باقي الصحابة، كونه أعبد الصحابة لله سبحانه، فلما كان أعبدهم كان أفضلهم، فالمنهج السليم والطريق الآمن للوصول إلى الكمال الفطري المنشود للطبيعة الإنسانية، يكمن في العبودية لله سبحانه وتعالى. قال أمير المؤمنين عليه السلام : (من قام بشرائط العبودية أهل للعتق)<sup>(٩٧)</sup>. ومن هنا كان العبد المطيع لله هو الحر الحقيقي. وهذه الشرذمة تصور العبودية لله سبحانه وتعالى بسجن لابد من تحرير المرأة منه، فتخرج المرأة إلى أحضانهم ليستغلوها ب مختلف الصور، فهم في الحقيقة أخرجو المرأة من عبودية الله إلى سجن مظلم حكم، فهم عباد الشهوة والغريرة، قد أسرتهم وأحکمت قيودها عليهم، فالذى ينقاد لرغباته وأهوائه ليس حرًا<sup>ً</sup> ، بل هو عبد ذليل لشهوته قال الأمير عليه السلام : (عبد الشهوة أذل من عبد الرق)<sup>(٩٨)</sup> ، والأحرار الحقيقيون هم الذين يستطيعون السيطرة على حب الشهوة بقوة الإيمان والعقل، وفي ظل الأخلاق وفضائل قال الأمير عليه السلام : (من ترك الشهوات كان حرًا<sup>ً</sup>).<sup>(٩٩)</sup>

ومن الظريف حقاً ما ذكرته مندوبة الأمم المتحدة بعد أن رأت خاطر إطلاق الغرائز على حريتها في السويد، فتقول في تقرير لها (إن من حق المرأة السويدية أن تطالب بحريتها فإن المرأة في الشرق العربي قد وصلت إلى قمة حريتها في ظلال الإسلام)<sup>(١٠٠)</sup>.

وقصة بشر الحافي مع الإمام الكاظم عليه السلام تعطي جواباً وافياً لمن تأمل ودقق البصر. المساواة بين الرجل والمرأة : من الشعارات التي أصمت آذاناً بنعيقها في هذه

الأيام، المطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة.

ونقول في ذلك، هناك فرق كبير بين المساواة والعدل بين الرجل والمرأة، فالعدل

هو إعطاء كل ذي حق حقه، أما المساواة فهي التساوي بينهم في كل شيء.

ونحن إنما نطالب بالعدل لا بالمساواة لأن الرجل جنس، والمرأة جنس مختلف،

ولايكون المساواة بين جنسين مختلفين في كل شيء، فخصوصيات الرجل تختلف

عن خصوصيات المرأة، فلا يمكن إنكار التفاوت الفسيولوجي والسيكولوجي

(النفسي) الموجود بين الرجل والمرأة، وإذا كان كذلك، إذن فمن المستحيل أن

نتوصل إلى ما يسمونه بالمساواة، فكيف نسوبي بين اثنين متفاوتين بالفطرة

مختلفين في النوع؟

إذن المطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة في واقعها ظلم للمرأة، لأنها لم تعط كل

ذي حق حقه، فهي لم تعط المرأة حقها الطبيعي وفقاً لاحتياجاتها الجسمية

والنفسية.

فكان من الأفضل، لو استبدل أولئك شعارهم هذا، بالمطالبة بالعدل بين الرجل

والمرأة، ولتطبيق العدل نحتاج إلى حاكم هو أعدل من في الوجود لتطبيق الحكم

العادل، والله سبحانه هو أحكم الحاكمين ولا عدل أفضل من عدل الله، وما الله

بظلام للعبد.

وقد أعرضت عن الإطالة في سرد الشعارات وردها، لأن البحث في ذلك

لا يستحق الإطباب، ولتعلم المرأة المسلمة أن هذه الشعارات واللافتات التي

يجتمي بها أولئك هي في الضعف كبيت العنكبوت بل أوهن من بيت العنكبوت

قال تعالى (مثل الذين اخندوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اخذت بيته وإن

أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون<sup>(١٠١)</sup>.

## الحياة السلبي

الحياة كما تقدم مفهوم قيمي يحتل مكانته الرفيعة في ثقافتنا وقيمها خصوصاً بالنسبة للمرأة، ولكن يوجد في بعض الروايات والنصوص ما يفهم منها أن الحياة مذموم وغير مستحسن من قبل الشرع، أو أنه قد ترد روايات تذكر لنا أفعال نساء عظيمات من قد عصمنهم الله من الخطأ والزلل قد يفهم منها أن هذه الأفعال منافية لبعض آثار الحياة المتقدمة الذكر، فكيف يمكن التوفيق بين كون الحياة أمر إيجابي وهذه الأخبار؟

### ١- الخجل المفرط :

يمكن الجواب عن النوع الأول من الأخبار والتي تذم الحياة، بأن الحياة في الرواية المقصود منه باصطلاح علم النفس الحديث (الخجل المفرط)، والخجل المفرط من الصفات الذمية التي تصيب الإنسان منذ طفولته، وتلازمه حتى نهاية عمره بصورة مرض مزمن يؤلم صاحبه، يؤدي إلى انقباض النفس وانزوائها وانطوائها على نفسها، هذه الحالة النفسية تُتبع من الشعور بالخسنة وعقدة الحقارنة في الغالب، وهذه الحالة التي تتنسب في أحد أشكاله إلى الشذوذ وتعتبر انعداماً للشخصية، وتمتد بجذورها إلى أساليب التنشئة الطفالية التي يتعرض لها الطفل من خلالها إلى خبرات مؤلمة : تحسسه بالدونية وتفاهة ذاته وانحطاطها، فينسحب ذلك على استجابته حيال الظواهر التي يواجهها: حيث يترجح من مقابلة الغرباء، أو يتهيب من الدخول في المجالس أو الدوائر الرسمية، أو يتخوف من إلقاء خطبة أو محاضرة... وهلم جراً.

ومن الواضح هنا أن أمثلة الحياة المذكور (الخجل المفرط) : تسلل الشخصية عن ممارسة وظيفتها، ومن هنا ذكرت الروايات الشريفة أنمطاً من هذا الحياة المذموم :

**الخجل والجهل** : إن من بعض منتكسات الخجل المرضي هو الحرمان من اكتساب المعرفة والتعلم، فإن الإفراط في ممارسة الحياة، واستخدامه في غير موضعه، ليس حالة صحّية، ولا تدخل ضمن الحياة الحبّذ والمطلوب. بل تعبّر عنها النصوص بأنها مؤشر حماقة وجهل. جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ : (الحياة حياءان : حياء عقل، وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل)<sup>(١٠٢)</sup>

ويعلّق الشيخ المجلسي على هذا الحديث بقوله: يدل على انقسام الحياة إلى قسمين: ممدوح ومذموم، فأما الممدوح فهو حياء ناشئ عن العقل، لأن يكون حياؤه وانقباض نفسه عن أمر يحكم العقل الصحيح، أو الشرع بقيمه، كالحياء عن المعاصي أو المكرورات. وأما المذموم فهو الحياء الناشئ عن الحمق، لأن يستحى عن أمر يستقبحه أهل العرف من العوام، وليس له قباحة واقعية، يحكم بها العقل الصحيح، والشرع الصريح، كالاستحياء عن سؤال المسائل العلمية، أو الإتيان بالعبادات الشرعية، التي يستقبحها الجهل(فحياء العقل هو العلم) أي موجب لوفور العلم، أو سببه العلم المميز بين الحسن والقبح، وحياء الحمق سببه الجهل وعدم التمييز المذكور، أو موجب للجهل<sup>(١٠٣)</sup>.

قال الإمام الصادق عليه السلام : (من رق وجهه رق علمه)<sup>(١٠٤)</sup> بينما الحياء الإيجابي لا ينبع من التعلم. قال أمير المؤمنين عليه السلام : (ولا يستحبّ أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلّم)<sup>(١٠٥)</sup>.

**الخجل والحرمان** : قال أمير المؤمنين عليه السلام : (قرن الحياة بالحرمان)، وعنده عليه السلام :

(الحياة محرمة) وعن عليه السلام : (الحياة يمنع الرزق)<sup>(١٠٦)</sup> ، لذلك نجد حرص النبي الأكرم على عدم استغلال هذه الظاهرة، قال عليه السلام : (ما أخذ بسوط الحياة فهو حرام)<sup>(١٠٧)</sup> إشارة منه إلى أنه يكون الأخذ هنا كالأخذ الغصبي.

**الخجل والضعف :** من الواضح أن هذه الصورة المرضية تكسب صاحبها ضعفاً في الشخصية، عن الإمام الصادق عليه السلام : (الحياة على وجهين، فمنه ضعف ومنه قوة، وإسلام وإيمان)<sup>(١٠٨)</sup> عن الأمير عليه السلام : (لكل شيء آفة وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الرياء، وآفة اللب العجب، وآفة الحياة الضعف.....)<sup>(١٠٩)</sup> . وهنا قد تعطل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الخجل قد يمنع صاحبه عن قول كلمة الحق، قال أمير المؤمنين عليه السلام : (من استحبى من قول الحق فهو أحمق)<sup>(١١٠)</sup> . قال تعالى (يَجَاهُدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَا إِمَامَ<sup>(١١١)</sup> .

## ٢- الحياة والتکلیف الشرعي :

ويكفي الجواب عن النوع الثاني من الأخبار والتي تذكر قيام بعض النساء الشاختات في سماء العقيدة، بإلقاء الخطب على الملا مثلاً ، والدفاع عن حقوقها وحقوق المضطهدن من الناس، بأن الحياة لا يتنافي مع المطالبة بالحقوق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما تقدم، فحياة المرأة لا يعني سكوتها على الباطل، فعندما يكون المجتمع الإسلامي معرضاً للخطر، يجب أن تقوم المرأة بدورها الأساسي في مواجهة هذا الخطر والدفاع عن الإسلام طبقاً للأحكام الشرعية، وضمن المواصفات الشرعية التي حددتها الشريعة الإسلامية المقدسة، ولذلك قد تقتضي الضرورة خروج المرأة في مسيرات احتجاجية والمطالبة بإقامة حدود الله، وأذكر على سبيل المثال حين دعى ساحة العلامة الشيخ عيسى قاسم إلى مسيرة

جاهيرية من منبر صلاة الجمعة للوقوف دون تطبيق قانون الأسرة المخالف للشريعة، الذي حاولت الحكومة تطبيقه، يقول أيده الله ورعاه : (أجزم أنَّ من واجبي شخصياً أن أدعو إلى هذه المسيرة المباركة وأن أخرج فيها وحتى لا تكون شيطاناً آخرس، وهي مسيرة لكل الأعمار، لكل المستويات، للرجل والمرأة، وأخص المرأة لتفحيم بوقفها الرسالي الصريح المعلن الذي تخندق مع الإسلام كل الأصوات المفترية على المرأة المسلمة والتي تريد أن تستغفلها وتستخفها وتظن أنها قابلة للاستخفاف) <sup>(١١٢)</sup> ثم أن الحياة قرين التكليف، والكمال ينبع من مدى انقياد المرأة لتكليفه، فحياة المرأة هو في تأديتها لتكليفها الشرعي الملقي على عاتقها، وعدم تأديتها لتكليفها بسبب انقباض النفس وانطواها يكون حياءً سلبياً غير محذر من قبل الباري عز وجل. وتدل على ذلك رواية عن الإمام علي عليه السلام قال : (هبط جبرئيل على آدم عليهما السلام فقال : يا آدم إني أمرت أن أخبارك بين ثلات، فاختر واحدة ودع اثنتين، فقال له آدم : يا جبرئيل وما الثالثة ؟ فقال : العقل والحياة والدين، فقال آدم عليهما السلام : فإني قد اخترت العقل، فقال جبرئيل عليهما السلام للحياة والدين : انصرفا ودعاه، فقالا : يا جبرئيل إننا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال : فشأنكم وعرج) <sup>(١١٣)</sup>.

فنجد في التاريخ نساء حاولن طي صفحات الظلم والاستكبار بخطبهن الخالدة. الشهيدة آمنة الصدر (بنت المهدى) مثلاً قد شخصت تكليفها وخطبت في الناس تأسياً واقتداء بسيدها الزهراء عليها السلام، فسيدة نساء العالمين، وقفـت في وجه الظالمين وخطبت في القوم خطبة، يعجز البلـغاء عن نظم مثلها، ومع ذلك حافظـت على حيائـها ولم تتنازل عنهـ، فإنـها إذا تـنازلـت عن حـيائـها تـنازلـت عن دـينـها، فيـحدـثـنا

التاريخ أن سيدة العفة والطهارة، بالغت في حجابها ولاشت خمارها على رأسها، وذهبت إلى المسجد يحوطها ملة من نسائها، تطاً ذيولها، تمشي في سكينة ووقار، ماتخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ، ولما دخلت المسجد نيطت بينها وبين الرجال ملاعة، ثم خطبت فيهم<sup>(١٤)</sup>.

### مع النهج الزيينبي العضيف

وأختم حديثي بمثال آخر، وهو لرائدة البطولة والفداء، سيدة المصائب والبلايا، السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام، فهي التي لم تتوان لحظة عن نصرة الدين الحنيف، فقدمت إخواتها وأبنائهما قرابين، وتحملت مشقة السفر الطويل، وكانت لها في كل محطة من محطات الحدث موقف تنصر به الحق وتزهق به الباطل، ونجدها دائمًا وأبدًا تحافظ على مكانة نساء أهل البيت، فلشدة حرصها على أن لا ينظر أحد في وجوه حرم المصطفى ﷺ أرادت أن تكون الرؤوس أمام الموكب لينظر الناس إليها باعتبارها شيئاً ملفتًا وبالتالي سيقل النظر تلقائياً إلى وجوه السبايا وخصوصاً النساء، وأنباء دخول السبايا إلى الشام نلمع ملمح آخر لدى نساء الحسين في الحرث على أن لا تتصفح وجوه النساء، فقد ورد ما نصه : (ودنا سهل بن سعد الساعدي من سكينة بنت الحسين وقال : ألك حاجة ؟ فأمرته أن يدفع لحامل الرأس شيئاً فيبعده عن النساء ليشتغل الناس بالنظر إليه)<sup>(١٥)</sup>.

ولما دخلت السبايا مجلس يزيد (لعنه الله)، بدأت سيدة البلاغة خطبتها المشهورة وكان كلامها من القوة بحيث هدد ملك يزيد (لعنه الله) بالفناء، وكان في كلامها من حلاوة الألفاظ وطراوتها، وبلاحة المعاني وعمقها، ما يخرب الفصحى، ويعجز البليغ، وقد ركزت سيدتنا زينب في خطبتها على قضية الستر، وكانت

كلماتها تبكي الحجارة، وتفتت الصخر الأصم، تقول بأبي هي وأمي ليزيد (...  
أمن العدل يابن الطلقاء تحذيرك حرائرك وإماءك، وسوقك بيات رسول الله سبايا  
قد هتك ستورهن وأبديت وجههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد  
ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، يتصفح وجههن القريب والبعيد، والدلي  
والشريف، ليس معهن من رجالهن ولهم، ولا من حماتهن حمي، وكيف يرتحي  
مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف  
يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان.....)<sup>(١١٦)</sup>

من هذا كله نستنتج أن المرأة المسلمة لا بد أن تحافظ على حيائها مهما  
أمكن، فتكون حريصة على أن لا ينظر إليها الرجال، وأن تكون المرأة ميالة إلى عدم  
الاختلاط<sup>(١١٧)</sup>، وإن كان هناك خروج أو شيء يدعو إلى الاختلاط فيقتصر على ما  
لابد منه، أما أن يصبح الاختلاط مألوفاً ويصبح الرجل يتحدث مع المرأة دون  
غض النظر... أو أن تتحدث المرأة مع الرجل من دون أدنى غض للبصر.... فإن  
ذلك غريب كل الغرابة ويعيد كل البعد عن النهج الزياني العفيف.

اللهم ارزقنا توفيق الطاعة، وبعد المعصية، وصدق النية، وعرفان الحرمة، وأكرمنا  
بالمدى والاستقامة..... وتفضل على مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى  
موتاهم بالرقة والرحمة، وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الشباب بالإنابة  
والتنورة، وعلى النساء بالحياء والعفة.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

#### المواهش

(١) العلق: ٦٩

- (٢) النحل: ٥٨
- (٣) التكوير: ٩٨ و ٩
- (٤) مستدرك الوسائل / التوري الطبرسي: ج ١٥ ص ١١٦ ب ٣ ح ١٧٧٠٧
- (٥) في ضمن ما ورد عنه (صلى الله عليه وآلها)، أنه نظر إلى رجل يغتسل بحيث يراه الناس، فقال : (أيها الناس إن الله يحب من عباده الحياة والستر، فأيكم اغتسل فليتوار من الناس، فإن الحياة زينة الإسلام) مستدرك الوسائل للنوري ج ١ ص ٤٨٨ . وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (أفضل ملابس الدين الحياة).
- (٦) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٧٠
- (٧) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٥٣
- (٨) إحياء الحياة ص ٢٤
- (٩) دراسات في علم النفس الإنساني للدكتور محمود البستانى، ج ٢، ص ٤٢
- (١٠) علم النفس التحليلي / د. محمد حسين ضيائى، ص ١٦٥
- (١١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٥٧
- (١٢) روي عن الرسول صلى الله عليه وآلها : الحياة خمسة أنواع : حياء ذنب، وحياء تقصير، وحياء كرامة، وحياء حب، وحياء هيبة، ولكل واحد من ذلك أهل، ولأهلها مرتبة على حدة. مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٤٦٤
- (١٣) مضمون روایة في كنز العمال للمتقى الهندي ج ١٥ ص ٦٠٧
- (١٤) من دعاء يستحب قراءته بعد زيارة الإمام الرضا (ع)، مفاتيح الجنان ص ٥٧٥
- (١٥) جاء في الصحيفة السجادية عن الإمام زين العابدين (ع) : (إلهي أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سميت التوبة، فقلت : توبوا إلى الله توبه نصوها. فما عذر من أغلف دخول الباب بعد فتحه ؟
- (١٦) الصحيفة السجادية (مناجاة التائبين)
- (١٧) المصدر السابق
- (١٨) الصحيفة السجادية، من دعائه إذا نزل به كرب أو بلية.
- (١٩) قال تعالى (وإن تدعوا نعمة الله لاتحصوها) إبراهيم، ٣٤
- (٢٠) المراقبات : الملكي التبريزى، ص ٢٥٩
- (٢١) البقرة، ٢٢٢
- (٢٢) كما جاء في بعض مقاطع دعاء أبي حمزة الشمالي عن الإمام زين العابدين (ع) : (أنا يارب الذي لم أستحيك في الخلاء)..(أنا الذي أمهلتني بما أرعويت وسترت علي بما استحيت)

- (٢٣) ميزان الحكمة، ص ٩٥٧
- (٢٤) المصدر السابق
- (٢٥) الفتاوى الميسرة، السيد السيستاني ص ٣٧٣
- (٢٦) قال جل شأنه (أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت إن الله كان عليكم رقيباً)
- (٢٧) من دعاء الإمام الحسين (ع) يوم عرفة.
- (٢٨) وليس المراد من حياء الله انقباض النفس، إذ هو تعالى متزه عن الوصف وإنما المراد بحياء الرب من عبده حياء كرم وبر وجود وجلال، وأنه تارك للقبائح فاعل للمحاسن، فإنه تبارك وتعالى حبي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرأً ويستحي أن يعذب ذا شيبة ثابت في الإسلام.
- (٢٩) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٥٥
- (٣٠) الكافي، ج ٢، ص ٦٨
- (٣١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة / الشيخ محمد تقى التسترى، ج ١٣، ص ٢٨٨
- (٣٢) ميزان الحكمة، ص ٩٥٦
- (٣٣) الشاب بين العقل والعاطفة ج ١، ص ٢٧٨.
- (٣٤) عن الأمير(ع) (من تمام المروءة أن تستحي من نفسك)، وعن رسول الله ﷺ (ليستحي أحدكم من ملكيه اللذين معه) / ميزان الحكمة ص ٩٥٧، ٩٥٨
- (٣٥) ميزان الحكمة، ص ٩٥٦
- (٣٦) الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقى فلسفى، ج ٢، ص ٢٣٦
- (٣٧) المصدر السابق، ص ٢٣٧
- (٣٨) مستدرک الوسائل / النوري الطبرسى، ج ٤٦٥ ص ٤٦٥
- (٣٩) إحياء الحباء، ص ٨٠
- (٤٠) ميزان الحكمة، ص ٩٥٥
- (٤١) وسائل الشيعة / الحر العاملى، ج ١٢، ص ١٦٨
- (٤٢) الكامل، عبد الله ابن عدي، ج ٣، ص ٥٣
- (٤٣) ميزان الحكمة ص ٩٤
- (٤٤) مع الركب الحسيني / ج ٤، ص ٤١٤
- (٤٥) التكوة : هي رباط السروال أو الحزام.
- (٤٦) بحار الأنوار / المجلسى، ج ٤٥، ص ٣١٢

- (٤٧) إحياء الحباء ص ١٧٧
- (٤٨) مائة منقبة / محمد بن أحمد القمي، ١٣٦
- (٤٩) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٥٩
- (٥٠) مجلة رسالة القلم، العدد الثالث، ص ١٦٥
- (٥١) راجع، منهاج الصالحين / السيد علي السيستاني، ج ٣، ص ٣٠، يقول في مسألة ٧٩: لا يكفي الرضا القلبي في صحة العقد وخروجه عن الفضولية وعدم الاحتياج إلى إجازة، فلو كان حاضراً حال العقد راضياً به إلا أنه لم يصدر منه قول أو فعل يدل على رضاه فالظاهر أنه من الفضولي، فله أن لا يجيز ويرد، نعم في خصوص البكر إذا ظهر من حالها الرضا وإنما سكتت ولم تتطق بالإذن لحياتها كفى بذلك وكان سكتتها إذنها.
- (٥٢) ميزان الحكمة ج ٢، ص ٩٥٣
- (٥٣) إحياء الحباء ص ٧٤
- (٥٤) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٦٥٧
- (٥٥) مسألة الحجاب / الشهيد مطهري، ص ٦٦
- (٥٦) قال تعالى (وَقُرْنَ فِي بَيْوْتَكُنْ وَلَا تَبْرُجْ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) الأحزاب ٣٣
- (٥٧) الأعراف: ٢٦
- (٥٨) البحار، ج ٨، ص ٩
- (٥٩) الأحزاب: ٥٩
- (٦٠) تفسير الميزان / العلامة الطباطبائي، ج ١٦، ص ٤٥
- (٦١) المرأة المعاصرة / عبد الرسول الغفار، ص ٩٠
- (٦٢) الأحزاب: ٥٣
- (٦٣) تفسير الميزان / العلامة الطباطبائي، ج ١٦، ص ٢٤٣
- (٦٤) الأخلاق في القرآن / الشيخ المصباح البزدي، ج ٣، ص ٨٦ مع تغيير طفيف في العبارة.
- (٦٥) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٢٠، ص ٤١٠
- (٦٦) راجع الأخلاق في القرآن للبزدي ج ٣، ص ٨٦
- (٦٧) مسألة الحجاب / الشهيد مطهري، ص ١٩٢
- (٦٨) المصدر السابق، ص ١٩٣
- (٦٩) راجع المصدر السابق.
- (٧٠) المرأة المعاصرة / عبد الرسول الغفار، ص ٢٥٣

- (٧١) لها أون لاين ٢٦-جماد ثاني-١٤٢٦ :: ٠١-أغسطس-٢٠٠٥
- (٧٢) مجلة عربيات / ٢٠ سبتمبر، ٢٠٠٢
- (٧٣) الإنحرافات الاجتماعية / عبد العظيم المشيخص، ص ١٠١
- (٧٤) إحياء الحياة ص ٧٦.
- (٧٥) الأحزاب ٣٢
- (٧٦) إحياء الحياة ص ١٧٠
- (٧٧) المصدر السابق ص ١٣٦
- (٧٨) مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ١٠٨
- (٧٩) القصص، الآية : ٢٥
- (٨٠) راجع تفسير الميزان / العالمة الطباطبائي، ج ١٦، ص ٢٦
- (٨١) راجع قصص القرآن / للدكتور محمود البستاني ج ٢، ص ١٥٢
- (٨٢) مريم، ١٧
- (٨٣) مريم، ١٨
- (٨٤) حياة الصديقة فاطمة / محمد جواد الطبسي، ص ٧٠
- (٨٥) المصدر السابق، ص ١٤٩
- (٨٦) نهج الحياة / محمد الدشتى الطبرانى، ص ٤٤
- (٨٧) المصدر السابق، ص ٤٦
- (٨٨) البحار / العالمة المجلسى ج ١٧، ص ٢٤٣
- (٨٩) وفيات الأنئمة / الشيخ فرج القطيفي، ص ٤٣٥\_٤٣٦
- (٩٠) راجع، الطفل بين الوراثة والتربية، ج ٢، ص ٢٤٧
- (٩١) راجع، المرأة المعاصرة، ص ١٣٤، ص ١٣٥
- (٩٢) راجع، الإنحرافات الاجتماعية، ص ٢٦٤
- (٩٣) نقلًا عن أحد المنتديات الاجتماعية.
- (٩٤) جريدة حديث المدينة بتاريخ ٢٠٠٥/٨/١٧
- (٩٥) الطفل بين الوراثة والتربية ج ٢، ص ٢٤٦
- (٩٦) ميزان الحكمة ج ٣ ص ١٧٩٨
- (٩٧) المصدر السابق.

- (٩٨) الطفل بين الوراثة وال التربية، ج ٢، ص ٢٦٩  
 (٩٩) المصدر السابق.
- (١٠٠) المجموعة القصصية / الشهيدة آمنة الصدر، ص ٤٩١
- (١٠١) العنكبوت : ٤١
- (١٠٢) ميزان الحكمة، ص ٩٥٥
- (١٠٣) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣٣١
- (١٠٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٥٥
- (١٠٥) نهج البلاغة – قصار الحكم ٨٢  
 (١٠٦) المصدر السابق
- (١٠٧) إحياء الحباء، ص ٨١
- (١٠٨) ميزان الحكمة، ص ٩٥٥
- (١٠٩) إحياء الحباء، ص ٨١
- (١١٠) ميزان الحكمة، ص ٩٥٦
- (١١١) المائدة: ٥٤
- (١١٢) خطبة الجمعة / شوال ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥/١١/٤ موال ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥/١١/٤ م
- (١١٣) من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق، ج ٤، ص ٤١٧
- (١١٤) راجع / حياة سيدة النساء / باقر شريف القرشي، ص ٣٤٦
- (١١٥) في محارب كربلاء / الشيخ حسين كوراني، ص ١٦٢  
 (١١٦) المصدر السابق
- (١١٧) قال رسول الله (ص) : (لو تركوا صاحب الحياة ما جالس أحداً) / مستدرك الوسائل، ج ٨  
 ص ٤٦٥

## ثقافة البكاء

عزيز حسن الخضران

كثيرة هي تلك الثقافات الإسلامية التي حثّ عليها الشرع المقدس، وسعى الأئمة عليهم السلام لنشرها بين الناس باعتبار أنها تمثل حصنًا تحقق المدف المقدس الذي خلق من أجله الإنسان من خلال ربته بعبوده الواحد وتبنيته على عقيدته الحقة، ومن هذه الثقافات هي ثقافة البكاء.

وعندما نعبر عن البكاء بأنه ثقافة نريد بذلك أن البكاء يجب أن يتحول إلى حالة عامة بين الناس، لا أن يكون بين فئة أو مجموعة خاصة.

ومن أهم أنواع البكاء في الشريعة المقدسة هو البكاء على مصائب أهل البيت عليهم السلام وفيه عدة نقاط:

### النقطة الأولى: ما ورد في الحثّ على البكاء:

١ - قول الإمام الرضا عليه السلام:

«يا بن شبيب إن كنت باكيًا لشيء فابكي للحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) فإنه ذبح كما يذبح الكبش»<sup>(١)</sup>

٢ - قوله عليه السلام أيضًا:

«فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون»<sup>(٢)</sup>

٣ - عن الإمام الصادق عليه السلام:

«من ذَكَرْنا أو ذُكِرْنا عنده فخرج من عينه مثل جناح بعوضة غفر الله له ذنبه ولو كانت مثل زبد الحجر»<sup>(٣)</sup>

## النقطة الثانية: سيرة أهل البيت في البكاء:

إن أهل البيت عليهم السلام لم يكتفوا بإصدار الروايات في الحث على البكاء فقط، وإنما كانت سيرتهم كذلك أيضاً، فإن ذلك قد عرف عنهم بدءاً بالرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه وبكاءه على سبطه قبل ذبحه ومقتله، بل في يوم مولده الميمون، مروراً بأمير المؤمنين عليه السلام عندما مر بأرض كربلاء، وبالزهراء البتول عليها السلام التي بكّته حينما أخبرها الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه بمقتله، وانتهاءً بآخر الحجج والأولياء الإمام الحجة عليه السلام.

فمن باب المثال لا الحصر، ما جاء عن الإمام الرضا عليه السلام - بعد حديث ذكره في مصيبة الحسين عليه السلام أنه قال:

«كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم مصيبة وحزنه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين صلى الله عليه»<sup>(٤)</sup>.

بل هناك روايات تذكر بكاء كثير من الأنبياء عليهم السلام على الإمام الحسين عليه السلام أي قبل مجئه إلى الدنيا، بل بمجرد سماع ما سيجري عليه، فكيف الحال بعد وقوع تلك الفاجعة العظيمة.

بل حتى الملائكة المقربون يبكون على الإمام الشهيد عليه السلام، فقد ورد في حديث أن الإمام الصادق عليه السلام قال لأحد الشعراء اسمه جعفر بن عفان: «بلغني أنك تقول الشعر في الحسين وتحيده، فقال له: نعم جعلني الله فداك، قال عليه السلام: قل! فأنسدده صلى الله عليه فبكى ومن حوله، حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته. ثم قال: يا جعفر والله لقد شهدت ملائكة الله المقربون ها هنا يسمعون قولك في

الحسين<sup>عليه السلام</sup> ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعته الجنة بأسرها، وغفر الله عنك»<sup>(٥)</sup>

### النقطة الثالثة: هل للبكاء ثواب؟

تحببنا الروايات على هذا السؤال، وتقرر عدة فوائد أخرى واسعة.

أولاً: أن ثواب الباكى الجنة:

فعن الإمام الصادق<sup>عليه السلام</sup> في حديث: «ومن أنسد في الحسين شعرًا فتباكى فله الجنة». <sup>(٦)</sup>

ثانياً: مراقبة أهل البيت<sup>عليهم السلام</sup> في الجنان والأمن يوم القيمة عن الإمام الرضا<sup>عليه السلام</sup>. «من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا، كان معنا في درجتنا يوم القيمة، ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ يوم تبكي العيون»<sup>(٧)</sup>

ثالثاً: تحريم وجهه على النار:

فعن الإمام الصادق<sup>عليه السلام</sup>: «من ذُكرنا عنده ففاضت عيناه حرم الله وجهه على النار». <sup>(٨)</sup>

رابعاً: استغفار الإمام الحسين<sup>عليه السلام</sup> للباقى عليه:

ففي ضمن حديث عن الإمام الصادق<sup>عليه السلام</sup>: «... وأنه (الإمام الحسين<sup>عليه السلام</sup>) ليり من يبكيه فيستغفر له ويسأل آباءه<sup>عليهم السلام</sup> أن يستغفروها»<sup>(٩)</sup>

### النقطة الرابعة:

بعد أن عرفنا شيئاً من أهمية البكاء على مصائب أهل البيت<sup>عليهم السلام</sup>، والثواب الجزيل على ذلك، نأتي إلى واقعنا المعاش ونسائل هل أن ثقافة البكاء منتشرة بين

الناس بالشكل الذي سعى له أهل البيت عليهما السلام وأرادوه، أم أنها ليست بالمستوى المطلوب؟

فنحن لو تحولنا في مآتم البلد، مآتم النساء والرجال، لرأينا أن هذه الثقافة وإن كانت موجودة ولكنها في فئة خاصة عادة، وهي فئة كبار السن، بينما لو ذهبنا إلى الجمهورية الإسلامية مثلاً لوجدنا أن ثقافة البكاء منتشرة بشكل واضح جداً، بين الصغار والكبار والنساء والرجال، بل وحتى بين غير الملتزمين أيضاً، وأستطيع أن أدعى بأنه إحدى أهم مقومات انتصار الثورة الإسلامية في إيران هي أن الشعب الإيراني شعبٌ يبكي.

فإن البكاء لو لم يكن له تأثير في حياة الفرد والمجتمع ولم تكن فيه مصلحة للمؤمنين لما حثَّ عليه الأئمة المعصومون عليهم السلام، ولما جعل الله له هذا الثواب الجزييل، فإن كل الأحكام الشرعية المقدسة إنما تجعل بلحاظ ما فيها من مصالح ومفاسد.

إذن لا بد من التفكير الجدي في كيفية نشر هذه الثقافة المقدسة في هذا البلد الطيب.

وقد يُسأل ما هي الأسباب التي تمنع من انتشار هذه الثقافة مجتمعنا مع كونه من المجتمعات المؤمنة والمعروفة بالولاء واتقاد العاطفة تجاه أئمة أهل البيت عليهم السلام، بل هو من المجتمعات المتميزة في هذا الجانب كما يشهد له كثير من العلماء. ومع ملاحظة أيضاً أن الأحداث التي جرت على أئمة أهل البيت عليهم السلام، لا يحتاج فيها الإنسان أن يكون ذا عاطفة جياشة حتى يتفاعل معها، بل إن التعاطف معها شبيه بالأمر الفطري، ففي الحديث عن الإمام الحسن عليه السلام: «أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بك»<sup>(١٠)</sup>.

نستطيع أن نقول بأن أهم تلك الأسباب لعدم انتشار هذه الثقافة مع ملاحظة ما ذكر هي سببان:

السبب الأول: الخجل: فإن الأمر الذي لا يكون منتشرًا بين الناس، يخجل الإنسان عادة من الإتيان به، ولا فرق في ذلك بين الأمور الحسنة أو السيئة، فمثلاً بالنسبة للأمور السيئة بعض الألبسة التي لم تكن مألوفة في أوساط الفتيات وكانت الفتاة تخجل من لبسها حتى ولو لم تكن ملتزمة، ولكن عندما انتشرت هذه الألبسة في أوساط الفتيات، أصبحت الفتيات حتى الملتزمة منهن لا تخجل من لبسها حتى وإن رآها جميع الناس.

وكذلك الحال فيما نحن فيه، فإن هناك كثيراً من الشباب المؤمن ربما يريد أن يبكي أو يتباكي حزناً على أئمته المظلومين عليهما لما في البكاء من اللذة الروحية والمعنوية، إلا أنه يتنع عن ذلك خجلاً من الآخرين.

وليس للخجل علاج أفضل من المداومة على الشيء حتى يصبح عند الشخص أمراً اعتيادياً، ومن ثم يذهب الخجل تدريجياً، ثم إنه لا داعي للخجل ما دام العمل عمل طاعة، فيه رضا الله عز وجل ومواساة للمعصومين عليهما، وله ذلك الثواب العظيم، وهو عمل يختصر لك الطريق للفوز بالجنان كما تقدم من أحاديث.

ثم إن كان عندي خجل، فيجب أن يكون من نفسي وقسوة قلبي، وكيف أدعى الولاء والمودة لأهل بيته الرسالة عليهما ثم لا أواسيهم بأبسط الأشياء وهو البكاء وذر夫 الدموع الذي لا يكلفي شيء؟؟

فقد روى «أنه لما أخبر النبي ﷺ ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه

من الحن، بكت فاطمة بكاءً شديداً، وقالت: يا أبت متى يكون ذلك؟ قال: في زمان خالٍ مني ومنك ومن علي، فاشتد بكاؤها وقالت: يا أبت فمن يبكي عليه؟ ومن يتزلم بإقامة العزاء له؟ فقال النبي: يا فاطمة إن نساء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجدون العزاء جيلاً بعد جيل، في كل سنة فإذا كان القيمة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال وكل من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلنا الجنة.

يا فاطمة! كل عين باكية يوم القيمة، إلا عين بكت على مصاب الحسين فإنها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة<sup>(١)</sup>.

إذن ففي البكاء إدخال للسرور على قلب الزهراء<sup>عليها السلام</sup>، وكفى بذلك مانعاً من حصول المخجل.

السبب الثاني: قد يقال بأن البكاء أمر غير اختياري، فليس بيدي أن أبكي أو لا أبكي، فمن توفرت فيه دواعي البكاء قد لا يستطيع أن يمسك نفسه عن البكاء، ومن لم تتوفر فيه دواعي البكاء قد لا يستطيع أن يبكي.

فلربما كان هناك من المؤمنين من يقول بأنه لا أخجل من البكاء، ولكن الدمعة لا تطأعني فماذا أصنع؟

والجواب على هذا الأمر: أن البكاء وأن كان في بعض الأحيان غير اختياري ولكنه في كثير من الأحيان يكون اختيارياً، وإلا لو لم يكن اختيارياً فما معنى حتى الروايات للمؤمنين على البكاء، فإن الإنسان بالمارسة يستطيع أن يملأ زمام أمره في البكاء.

وهناك طريق آخر أيضاً لتعويذ النفس على البكاء ألا وهو التباكي، ولا شك أنه أمر اختياري، وهذا قد أشار له حديث الإمام الصادق<sup>عليه السلام</sup> في قوله: «إن لم يحبك

البكاء فتباك، فإن خرج منك مثل رأس الذباب في بخٍ بخٍ<sup>(١٢)</sup> إذن من لم يستطع البكاء فليتباكى وله أيضاً ثواب الباكين فقد ورد عنهم عليه السلام: «ومن تباكى فله الجنة»<sup>(١٣)</sup>

ثم إن المداومة على التباكي يولد في الإنسان البكاء كما هو مجرى. فلو أن كل واحد منا بكى أو تباكي لانتشر البكاء في وسطنا وأصبح ثقافة إسلامية عامة، كما أراد أهل البيت عليهما السلام.

### دور الخطباء:

ثم إن للخطباء والرواديد وقراء الزيارات الدور الفاعل والبناء في نشر هذه الثقافة بين الناس، ويتحملون مسؤولية كبيرة ومهمة، باعتبار أنهم يتذلون القنوات الرئيسية لنشر هذه الظاهرة والثقافة، وأن من يسعى لنشر هذه الثقافة يصدق عليه قوله تعالى: «ومن يعظم شعائر الله فإنه من تقوى القلوب»<sup>(١٤)</sup> فإنه كما ورد الحث من الروايات الشريفة على البكاء والتباكي، فإنه ورد أيضاً ما يحث على الإبكاء.

فقد روى أبو عمارة المنشد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال له: «يا أبا عمارة أنسدني في الحسين بن علي قال: فأنسدته فبكى ثم أنسدته فبكى قال: فو الله ما زلت أنسده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار.

فقال عليه السلام: يا أبا عمارة من أنسد في الحسين شعراً. فأبكى حمسين فله الجنة، ومن أنسد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنسد في الحسين شعراً، فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنسد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة ومن أنسد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنسد في الحسين شعراً فبكى

فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحَسِينِ شِعْرًا فَتَبَاكَى فَلَهُ الْجَنَّةُ.<sup>(١٥)</sup>  
فَيَنْبَغِي لَنَا تَرْسِيهُ ثَقَافَةَ الْبَكَاءِ، فَلَا نَقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى أَيَّامِ مُحْرَمٍ فَقَطْ، وَإِنْ كَانَ  
طَلْبَهَا فِي أَيَّامِ مُحْرَمٍ آكِدٌ وَأَرْسَخٌ.

### الأنواع الأخرى للبكاء:

نذكر هنا اختصاراً بعض الموضع الآخرى التي يستحب ويتأكد فيها البكاء أيضاً:  
الأول: البكاء من خشية الله تعالى:

- ١ - عن النبي ﷺ: «طوبى لصورة نظر الله إليها تبكي على ذنب من خشية الله عز وجل، لم يطلع على ذلك الذنب غيره»<sup>(١٦)</sup>
- ٢ - عن الإمام الصادق ع: «إن الرجل ليكون بينه وبين الجنة أكثر مما بين الشري إلى العرش، لكتلة ذنبه، فما هو إلا أن يبكي من خشية الله عز وجل، ندماً عليها حتى يصير بينه وبينها أقرب من جفنته إلى مقلته»<sup>(١٧)</sup>.

### الثاني: البكاء في حال الصلاة:

البكاء في الصلاة إذا كان لأمر من أمور الدنيا يبطل الصلاة كما في كلمات الفقهاء، ولكن كيف إذا كان لأمر من أمور الآخرة؟ تجيبنا الروايات على ذلك:

- ١ - قال سعيد بياع السابري: قلت لأبي عبد الله ع: أين البكاء في الصلاة، قال: بخٌ بخٌ ولو مثل رأس الذباب»<sup>(١٨)</sup>.
- ٢ - وسئل الإمام الصادق ع أيضاً عن الرجل يبكي في الصلاة المفروضة حتى يبكي قال: «قرة عين والله» وقال: «إذا كان ذلك فاذكرني عنده»<sup>(١٩)</sup>.

### **الثالث: البكاء عند قراءة القرآن:**

- ١ - عن النبي ﷺ: اقرؤوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكونا فتباكوا<sup>(٢٠)</sup>.
- ٢ - عنه أياضًا ﷺ: ما من عين فاضت من قراءة القرآن إلا قررت يوم القيمة<sup>(٢١)</sup>

### **الرابع: البكاء على النفس:**

- ١ - فيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام: «ابك على نفسك ما دمت في الدنيا، وتخوف العطب والمهالك، ولا تغرنك زينة الحياة الدنيا وزهوتها».<sup>(٢٢)</sup>
- ٢ - وجاء في ضمن دعاء أبي حمزة الثمالي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: وأعني بالبكاء على نفسي فقد أفيت بالتسويف والأمال عمري» وفي الختام نقل هذه الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب». <sup>(٢٣)</sup> وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

### **المواهش**

- (١) البحار، ج ٤٤، ص ٦١٠.
- (٢) نفس المصدر، ص ٦٠٩.
- (٣) نفس المصدر، ص ٦٠٥.
- (٤) نفس المصدر، ص ٦٠٩.
- (٥) نفس المصدر.
- (٦) نفس المصدر، ص ٦٠٨.
- (٧) نفس المصدر، ص ٦٠٥.

- (٨) نفس المصدر، ص ٦١٠.
- (٩) نفس المصدر، ص ٦٠٧.
- (١٠) نفس المصدر، ص ٦٠٦.
- (١١) نفس المصدر، ص ٦١٥.
- (١٢) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٨٥، وكلمة (بِخٍ بِخٍ) تقال عند تعظيم الإنسان، وعند التعجب من الشيء،  
وعند المدح والرضا بالشيء.  
راجع لسان العرب، مادة (بِخَنْ).
- (١٣) نفس المصدر، ص ٦١٢.
- (١٤) سورة الحج، الآية ٣٢.
- (١٥) نفس المصدر، ص ٦٠٨.
- (١٦) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٨٤.
- (١٧) البحار، ج ٩٠، ص ١٢٤.
- (١٨) الوسائل، ج ٧، ص ٢٤٧ – ٢٤٨.
- (١٩) الوسائل، ج ٧، ص ٢٤٧ – ٢٤٨.
- (٢٠) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٢٨.
- (٢١) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٢٨.
- (٢٢) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٨٥.
- (٢٣) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٨٥.

## لسايات النصر

### بين الإمام الأسيء والواص

السيد حسن السيد أحمد الغريفي

مُثُل خروج الإمام الحسين<sup>عليه السلام</sup> إلى أرض العراق نقطة فاصلة في حياة الأمان سواءً بين الأعداء أو الأصدقاء، ومعنى بالأصدقاء هو دائرة الشيعة والموالين للإمام (عليه السلام) وبالخصوص خواص الأمة والتي تمثلت مواقفهم في ثلاثة مواقف لا غير:

- موقف الطاعة والنصرة : أمثال : حبيب بن مظاهر، زهير بن القين، سعيد بن عبد الله الحنفي، مسلم بن عوسجة...

- موقف التخلف والتخاذل : أمثال: الضحاك بن عبد الله المشرفي، عبد الله بن الحر الجعفي...

- موقف التحفظ والنصيحة : أمثال : عبد الله بن عباس، محمد بن الحنفية، عبد الله بن جعفر.....

بالنسبة لموقف النصرة والتخلف عن ثورة الإمام الحسين<sup>عليه السلام</sup> تم تسلیط الضوء عليها كثيراً، ولكن يبقى موقف واحد لم تكن معالله واضحة، خصوصاً وأن الشخصيات التي وقفت هذا الموقف لم تكن من عامة الناس بل هم من الخواص المقربين، أمثال عبد الله بن عباس الذي هو ابن عم الرسول<sup>صلوات الله عليه وسلم</sup> وأمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup> ومن كبار المفسرين ولما كانته العلمية سمي (بجبر الأمة)، وأيضاً محمد بن الحنفية الذي هو أخو الإمام ومن الشجعان، وصاحب راية جيش علي<sup>عليه السلام</sup> يوم الجمل وشهد معه النهر وان.....، و عبد الله بن جعفر الطيار..

مشكلة الأمة أنها بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ لم تستوعب مدى «الانحراف الكبير» الذي طرأ على الرسالة الكاملة وعلى عنصر هام منها وهي (الولاية) العاصمة إلى مسيرة الأمة إلى يوم القيمة، والتي بها إقامة النعمة الإلهية، هذا الانحراف الكبير الذي يحتاج إلى عملية تربوية كبرى تعيد الأمة إلى الانسجام التام مع الرسالة المحمدية، وهذا ما وجدناه في سيرة الإمام علي عليه السلام وسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام والإمام الحسين عليهما السلام ، هذا المدف الكبير الذي تحرك في السلسلة الطاهرة للأمة أهل البيت (ع) لم يكن واضحاً للكثيرين خصوصاً من يرى صلح الحسن معضولاً عن ثورة الحسين وعلم الباقر والصادق معضولاً أدوار الأئمة الطاهرين، لذا جعل بعض الخواص في عصر الأئمة العلية تكون لهم (حسابات آنية زمنية) يقفون من خلالها بعيداً الحسابات البعيدة والكبيرة.

حسايات النصر عند الامام الحسين

يمكن أن نلحظ أن معظم كلمات الإمام الحسين عليه السلام تركزت على ثلاثة أبعاد رئيسية في حركته الخالدة:

## **أ- الهدف : - صلاح الأمة بالولاية :**

(إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي<sup>(١)</sup>.

(رضاء الله رضاناً أهلاً للبيت) <sup>(٢)</sup> - (نحن أهل بيت محمد ﷺ أولى بولاية هذا

(٣) الأُمُّ

(ليستنقدهم من الجهلة وحيرة الضلاله..) (٤)

## **ب - الوسيلة :- أداء التكليف بالثورة والشهادة :**

(أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر :

(من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفًا لسنة رسول الله  
يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل و لا قول كان الله أن  
يدخله مدخله..) <sup>(٥)</sup>

(إنني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما) <sup>(٦)</sup>

(لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد) <sup>(٧)</sup>

## **ج- الضمانة :- الوقوف مع القيادة الشرعية :**

(وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب..)

(ما الإمام إلا العامل بالكتاب والأخذ بالقسط و الدائن بالحق و الحابس نفس  
على ذات الله) <sup>(٨)</sup>

(لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعدت يزيداً) <sup>(٩)</sup>

(فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد على هذا أصبر حتى يقضي الله  
بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين) <sup>(١٠)</sup>

## **حسابات النصر عند الخواص:**

أما حساب الخواص و التي نجدها من خلال الموارد التي دارت مع الإمام عليه السلام  
قبل خروجه كانت متشابهة في الموقف (التحفظ والنصيحة) كانت (تأيد قيام  
الإمام عليه السلام)، لكن من جهة أخرى نلحظ في حوارها مع الإمام عليه السلام أنها كانت  
تبدي نوعاً من التحفظ بل أحياناً تشير على الإمام عليه السلام الطريقة السليمة في

التحرك أي (طريقة التحرك)، ولا شك بأن الإمام الحسين عليه السلام كان يسمع ل أصحابه ويعلم ما يكنوه حبًّا له – وهذا ما سنلاحظه أثناء التأمل في حورات التي دارت بين الإمام الحسين عليه السلام وبين عبد الله ابن عباس و محمد بن الحنفية والذين نشابها في الموقف من حيث النصيحة للإمام عليه السلام بعدم الذهاب إلى الكوفة بل الذهاب إلى اليمن حيث توجد هناك قاعدة واسعة للشيعة الموالين الذين من خلتهم توجج الثورة وتنتصر. والإمام كان يتحسس آلامهم ومعاناتهم، وهذا ما سنجد في حواراتهم مع

الإمام، حيث كان اعترافاتهم على الخروج للكوفة، وترجحهم اليمن كقاعدة لانطلاق الثورة.

(١) موقف عبد الله بن عباس: يقول التاريخ : (فلما كان من العشي أو من الغد أتى الحسين عليه السلام عبد الله بن عباس فقال : يا بن عم إني أتصبر و لا أصبر إني أخواف عليك في هذا الوجه الملاك و الإستئصال إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً و شعاباً وهي أرض عريضة طويلة و لأبيك بها شيعة و أنت عن الناس في عزلة فتكتب إلى و ترسل وتبث دعاتك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية!

قال له الحسين عليه السلام : يا ابن عم إني والله لأعلم أنك ناصح مشدق و لكنني قد أزمت و أجمعت على المسير ! <sup>(١)</sup>

(٢) موقف محمد بن الحنفية: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي

أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بآبائك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه.

فقال الإمام عليه السلام : يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت.

فقال له ابن الحنفية : فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد !

ولما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام بلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاوه فأخذ زمام ناقته التي ركبها، فقال له : أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك ؟!

فقال عليه السلام : بلى

فما حداك على الخروج عاجلاً !؟

فقال عليه السلام : أتاني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما فارقتك فقال : يا حسين، أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً !

فقال له ابن الحنفية : إننا لله وإننا إليه راجعون، مما حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال ؟!

فقال عليه السلام : قد قال لي : إن الله قد شاء أن يراهن سبايا !...)

### قليل الموقف:

- لم يخفى على الإمام الحسين عليه السلام عاقبة خروجه على طاغية بني أمية يزيد بل الإمام على علم بكل التبعات واللوازم، وإن الإمام عليه السلام لما خرج كان يعلم بأنه يقتل لا محالة وكان عليه السلام يطلب النصر بالقتل والدم وبالعناصر الثلاثة السابقة

والتي بحسبه تحقق النصر الإلهي وهذا ما تحقق على ثلاثة من أصحابه الذين استشهدوا معه.

- هذا المعنى - ربيا - لم يفطنه ابن عباس وعبد الله بن جعفر الطيار ومحمد بن الحنفية، والذين كانوا على دراية بقتل الإمام عليه السلام وشهادته، ولعل كان في حسابهم أن واقعة الطرف والنصرة للإمام عليه السلام يراد لها أن تخلون في إطار حدودها الزمني، وأن تتحقق مكسباً في نصرة الإمام الحسين وإسقاط يزيد، وهذا المعنى يمثل جزء من حركته عليه السلام وليس هدفاً بحد ذاته، صحيح أن الإمام الحسين عليه السلام كان يريد أن يسقط يزيد، لكنه في نفس الوقت يريد أن يؤسس لواقع جديد يسقط الواقع المنحرف في الأمة منذ رحيل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه.

إذا (كرباء) معركة في التاريخ انتهت بتفاصيلها الزمانية والمكانية... الإمام الحسين (ع) يرى الحسين وهو ذاهب إلى كربلاء، وضع الأمة أمام أخيرين حددهما بشكل واضح، إما ترجع الأمة إلى صلاحها الحمدي وإما تبذل دمها الحسيني وكلاهما طريقان للنصر والصلاح ومعهما لا يوجد تفكير أو حساب للهزيمة إلا بخلاف الأمة أن وقوفها إلى جانب ابن بنت رسول الله (ص) وعدم السير وفق حسابات النصر التي وضعها الإمام (ع)، وهذا ما لم يفطنه ابن عباس ومحمد بن الحنفية من طريقة تحرك الإمام (ع) وأنه يرى النصر في بذل دمه من أجل إيقاظ الأمة وإصلاحها.

### الخلاصة:

ما نريد أن نستفيده من خلال هذين الموقفين لعبد الله ابن عباس ومحمد بن الحنفية هو أن هناك (لحظة مصيرية، يُبتلى بها الخواص وهم يشخصون ساحة

المعركة، صحيح أنهم ينطلقون من حسابات موضوعية على الواقع، لكن هذا الحسابات لابد أن ترتبط بالهدف الكبير المرتبط بالسماء، وهذا لا يدركه إلا المعصوم أو من هو قريب منه وهم (الفقهاء العدول)، لأن الأهداف تتفاوت تارة تكون مقدمة وتارة متوسطة حتى تصل إلى الهدف الأساسي، والذي رأيناه أن الإمام الحسين(ع) كان يستمع بكل شفقة ومحبة إلى ابن عباس وابن الحنفية لكن الإمام نظرته أبعد وأفقه أوسع فهو يسمع لمشاورة أصحابه، لكن ليس بالضرورة أن يأخذ به، ذلك لأن الساحة والظروف ليس تحكمه (حسابات موضوعية فقط) بل هناك (حسابات غيبية قائمة على سنن إلهية حتمية)، والتي قد يحسبها صاحب النظرة الأولى نكسيّة وتراجع ولا يعلم بأن باطنها رحمة وأجر في الوصول (إلى النصر الإلهي) الذي يحتاج إلى قيادة الفقهاء وصبر الخواص وليس (النصر الظاهري).

## المواهش

- |  |                             |
|--|-----------------------------|
| (٨) المتتبّع: ص ٣٠٤  | (١) تاريخ الطبرى ج ٣: ص ١٩٨ |
| (٩) مقتل العوالى: ص ٥٤                                     | (٢) المصدر نفسه ج ٦: ص ٢٢٩  |
| (١٠) تاريخ الطبرى: ج ٦ ص ١٩٨                               | (٣) المصدر نفسه ج ٦: ص ٢٤٣  |
| (١١) الركب الحسيني: ج ٢ ، الشیخ نجم الدین<br>الطبسي، ص ٢٣٠ | (٤) المصدر نفسه ج : ص ٢٢٩   |
| (١٢) الركب الحسيني: ج ٢ ، الشیخ نجم الدین<br>الطبسي، ص ٢٥٥ | (٥) المتتبّع : ص ٣٠٤        |
|  | (٦) نفس الهموم ص ٩١         |
|  | (٧) اللهوف : ص ١٢٧          |

## إطالة عله فريضة الأمر بالمعروف والنهي

### عن المنكر<sup>(١)</sup>

جاسم بدر المطوع

"إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عَلَيْهِمَا السَّلَامُ"  
شعار يتكرر ذكره كل عام، وحفظته الأجيال بعد الأجيال، شعاع نور من شخص الإمامة والولاية يهدي من ضل أو اشتبه سوء السبيل.

شعار أطلقه الإمام الحسين بن علي - صلوات الله عليهما - ليبين المنهج والمهدف. المدف هو الإصلاح والخير والهدى، والمنهج هو سيرة الرسول ﷺ، وسيرة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وما ذلك كله إلا الإسلام القيم الذي اختاره الله للناس، قال تعالى : " إن الدين عند الله الإسلام..."<sup>(٢)</sup>، فالرسول ﷺ الذي " ما ينطق عن الهوى" إن هو إلا وحي يوحى<sup>(٣)</sup> هو النموذج الأتم للإسلام العظيم، والسير بسيرته التي لا تفترق سيرة الأنمة المعصومين عنها هو تطبيق لا ينحرف عن الإسلام مقدار ذرة، وإصلاح الأمة الإسلامية هو العودة بها إلى إسلامها الذي تغربت عنه وحرمت منه، والطريق لذلك كله هو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ف بهذه الفريضة تقام الفرائض وتعمر الأرض<sup>(٤)</sup>.

وقد يدور بخند البعض تساؤل مفاده: أين كان الحسين صلوات الله عليه وآله من هذه الفريضة في هذه الفترة التي أطبقت فيها قوى الظلم على الأمة الإسلامية فحرفت المسار ومسخت هوية الأمة؟!!

ما يرد هذا السؤال وضوح كون الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه معصوما، ولكن الغفلة عن بعض الحيثيات المهمة تؤدي بالبعض للوصول لنتائج خاطئة، من هنا كان من المناسب أن يكون الحديث عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس ذلك لمعرفة صحة ما قام به الإمام أو خطئه، ففعل الإمام المعصوم قوله مما اللذان يبيبان لنا الطريق ومنهما يستبط الفقهاء أحكام الشرع المقدسة، وإنما ذلك لكي نتعرف على أحكام هذه الفريضة فنتوجهها مقتدين في ذلك بسيد الشهداء صلوات الله عليه.

ويقع الكلام في نقاط:

#### ١- المراد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهنا الكلام عن أربعة مفاهيم: الأمر، المعروف، والنهي، والمنكر.

أما الأمر فقد قيل بأن له معان كثيرة والمراد منه في هذا الباب هو الطلب سواء بالقول أو الفعل.

وأما المعروف فالمراد منه ما عرفه العقل بالحسن والشرع بالطلوبية، وعليه فهو يشمل الواجبات العقلية كوجوب معرفة الباري وشكر المنعم و...، والواجبات الشرعية في العبادات والمعاملات.

وأما النهي فالمراد منه الرزجر والمنع بالقول والفعل كما في الأمر.

وأما المنكر فما يراد منه هو مطلق ما ينكره العقل ويعده قبيحا وما ينهى عنه الشارع فيشمل الحرام والمكروه.<sup>(٥)</sup>

## ٢- أقسام الأمر والنهي ومراتبها:

لما كان المدف من هذه الفرضية العظيمة هو التوصل إلى إشاعة المعروف في المجتمع الإسلامي واجتثاث المنكر منه، انقسم الأمر إلى واجب ومستحب فالأمر بالواجب من المعروف واجب، والأمر بالمستحب منه كذلك، والنهي عن الحرام من المنكر حرام والنهي عن المكروه منه كذلك.

وأما مراتب الأمر والنهي فقد ذكر الفقهاء أعلى الله كلمتهم ثلاث مراتب لهم، ولا يجوز الانتقال إلى المرتبة العليا مع إمكان الاكتفاء بالمرتبة الأدنى منها، ولكل مرتبة من هذه المراتب مراتب من الشدة والضعف لا يجوز الانتقال للمرتبة الشديدة مع كفاية المرتبة الضعيفة، وكل ذلك صيانة لحرمة المؤمن من المحتك، وهذه المراتب هي:

أولاً: الأمر والإنكار القلبي والمراد منه الإتيان بفعل يظهر منه إنكاره القلبي وعدم رضاه، ومنه غمض العين لترك المعروف أو فعل المنكر، والعبوس وانقباض الوجه، والإعراض بالوجه فقط أو به مع البدن، ومنه كذلك الهجر والترك للصحبة وغيرها.

ثانياً: الأمر والنهي اللساني والمراد منه الأمر والنهي بالقول، وينتقل لهذه المرتبة مع عدم تأثير المرتبة السابقة ومنها القول اللين والوعظ والإرشاد وإن لم يكفل لزم الانتقال للغلوطة في القول والخزم في الأمر والنهي.

ثالثاً: الأمر والنهي باليد والمراد منه إعمال القدرة وفعل ما يمنع المنكر ويقيمه المعروف، وقد تكون بالحيلولة بين المنكر ومن يريد فعله، أو بالتصرف في آلاته أو ممتلكاته، أو بحبسه والتضييق عليه، كل ذلك مع مراعاة الأيسر فالأيسر في الأمر والنهي.

ويجب الإشارة هنا إلى أن بعض مراتب المرتبة الثالثة لا يجوز الانتقال لها إلا بإذن الحاكم الشرعي وهو الفقيه الجامع للشراطط.

وما ينبغي التنبيه عليه أن تأثير الأمر والنهي مختلف باختلاف الأمر والمأمور، وبالتالي تختلف المراتب، فربما يكون الإعراض من شخص أشد تأثيراً من الكلام من آخر، ويجب هنا على كل شخص أن يلاحظ خصوصياته وخصوصيات من يريد أمره ونهيه، ويحدد تكليفه الشخصي.

### ٣- وجوب الأمر والنهي كفائي:

ما قرره الفقهاء أعلى الله كلمتهم أن وجوب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفائي، وقد يتصور البعض أن معنى الكفائية هو أنه إذا قام شخص باداء هذه الفريضة سقط التكليف عن الآخرين كما هو الحال في الصلاة على الميت، إلا أن هذا المعنى المذكور ليس تاماً، فللمراد من الكفائية هو أن يقوم من به الكفاية باداء الفريضة فيسقط التكليف عن الآخرين، وحيث أن الصلاة على الميت تتم بشخص واحد سقط التكليف عن الآخرين، أما فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد تتم في بعض الموارد بشخص ولكنها في موارد أخرى قد تحتاج لقيام الأمة كلها من أجل رد منكر معين وحينها يجب القيام على كل الأمة لكي يتحقق التأثير المطلوب بقلع المنكر من المجتمع الإسلامي، ولو تقاعس البعض عن القيام وقام البعض الذي لا تتحقق به الكفاية فإن كل من تقاعس مع توافر الشروط مأثره بتقاعسه<sup>(٦)</sup>.

#### ٤- شرائط وجوب الأمر والنهي:

المقصود بشرائط الوجوب هي تلك الشروط التي بانتفائها أو انتفاء أحدها يسقط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه الشروط هي:

الأول: أن يعرف الأمر والناهي المعروف والمنكر، فبدون معرفتهما لا يمكن من الأمر والنهي فكيف يأمر بالمعروف من لا يعرفه فربما أمر بمنكر وهو يظنه معروفاً، وكذلك الأمر بالنسبة للمنكر فربما ينهى شخص عن معروف وهو يظنه منكراً، لذلك لزم أن يعرف الأمر والناهي المعروف والمنكر وإلا وقعوا في المنكر لأن الأمر بالمنكر والناهي عن المعروف مرتكبان للمنكر حتى ولو وقع ذلك منهمما جهلاً بالحكم، وهنا يجب على الغير نهيهما عَمَّا فعلاه.

وهنا ينبغي الإشارة إلى المسائل الخلافية في الفقه، فعند احتمال اختلاف الرأي الفقهي وكون ما يفعله الآخر جائزًا عنده - بحسب اجتهاده إن كان من أهل الاجتهد أو تقليده إن لم يكن منهم - لا يجوز الإنكار عليه، لعدم العلم بكون ما فعله منكراً.

الثاني: أن يحتمل تأثير الأمر والنهي، فلو علم بعدم تأثيرهما لا يجب الأمر والنهي على المشهور، ويكتفى لتحقيق الوجوب الاحتمال بالتأثير حتى لو كان الاحتمال ضئيلاً بحيث يظن بعدم تأثيره.

وينبغي الإشارة إلى أن انتفاء الاحتمال بالتأثير وإن كان يسقط الوجوب من الذمة إلا أنه في كثير من الموارد لا يمنع من جواز الأمر والنهي، وكم هي الموارد التي سمعناها ورأيناها وكان احتمال التأثير فيها منعدماً ولكن لما توكل المؤمنون على الله واستعنوا به كان التأثير كبيراً وغير متوقعاً وذلك بفضل من الله ونعمته (ومن ينصر الله ينصره).

كما أنه لو احتمل التأثير لكن بتكرار الأمر أو النهي وجب التكرار إلى أن يزول احتمال التأثير.

الثالث: أن يكون العاصي مصرا على الاستمرار، فلو علم أنه تاب وأناب فلا يجب الأمر بل لا يجوز ذلك، لما قد يسببه من إهانة المؤمن، كما أن ترك العاصي لعصيته ينفي موضوع الأمر والنهي، المراد من الاستمرار القصد إلى الذنب ولو مرة واحدة أخرى.

الرابع: أن يؤمن الضرر النفسي أو العرضي أو المالي على نفسه وعلى غيره من المرتبطين به كأهله وأصحابه بل وعموم المؤمنين كما هو رأي بعض الفقهاء، وليس المقصود هنا مطلق الضرر بل المقصود هو الضرر المعتمد به لدى العقلاء، وهذا الشرط وإن كان يرفع التكليف بالأمر والنهي عند تتحققه لكنه يخضع لاستثناءات منها ما لو كان مورداً للأمر والنهي من الموارد التي لا يرضى الشارع بوقوعها مهما كانت فهنا لا عبرة بالضرر ولو كان المراد محو شعيرة من شعائر الدين أو إزهاق نفس مسلمة أو هتك عرض فلا يسقط التكليف هنا مع وجود الضرر، والموارد مختلفة فينبغي التأمل فيها.

وقد تحتاج بعض موارد الأمر والنهي لبذل مبالغ يعتد بها من المال، وفي هذه الحالة وإن كان لا وجوب للبذل إلا إنه حسن ومدح بحيث لا يقع البازل في المخرج والمشقة الشديدة.

تنويه: ي ينبغي الإشارة إلى أن تعقيد الحياة الاجتماعية والسياسية في الزمن الحاضر يجعل تشخيص الموضع صعباً ويحتاج إلى دقة وحكمة في اتخاذ القرارات الاجتماعية أو السياسية، فالمواقف الجزئية والفردية من السهل التحرك

فيها والتفاعل معها، لكن هناك من المنكرات ما يأخذ صورة واسعة ومجتمعية وهنا يبرز دور القيادات العلمائية المطلعة على أحكام الشرع الأقدس والواعية للملابسات والظروف الاجتماعية والتي تمتلك نظرة أشمل من الأفراد العاديين، مما يجعل تشخيصها للمواضيع أكثر دقة وإصابة ل الواقع في الأعم الأغلب.

#### ٥- الأمر والنهي الجماعي:

قد يصدر المنكر من جهة لها نوع من السيطرة والتحكم بجريات الأمور مما يجعل قيام الأفراد بنهيיתה عن منكرها فاقدا لأي احتمال بالتأثير، بل قد يؤدي في بعض الموارد للإضرار بهم، فهل تسقط فرضية النهي عن المنكر في مثل هذه الحالة؟!

لقد أشرنا في النقطة الثالثة إلى جواب هذا السؤال فكون الوجوب كفائيًا يقتضي أن يقوم من به الكفاية به، فلو صدر المنكر من شخص ذي قوة وبأس ولم يكن نهي شخص له بكاف ليثنى عن منكره فيجب أن ينهاه من به الكفاية، إلى أن يتحقق ترك المنكر.

ولو قامت جماعة بالنهي عن منكر معين ولم يؤثر نهيها، ثم احتملت تلك الجماعة أن نهيها مرة أخرى سيؤثر أو احتملت ذلك جماعة أخرى وجب النهي مرة أخرى.

#### ٦- عدالة الأمر والناهي:

ما لا شك فيه أن فعل الأمر بالمعروف لما يأمر به وترك الناهي عن المنكر لما ينبع عنه له كبير الأثر في نفس المأمور والمنهي، وهو أسرع في التأثير عليهما، كما أن تارك المعروف أو فاعل المنكر لو تحرك للأمر والنهي محجوجان بما يصدر

منهما، فهل ذلك مانع من أن يتصديان للأمر والنهي وسبب لسقوط التكليف عنهما؟

لا ريب أنه يجب على مثل هؤلاء الانتهاء عن تركهم المعروف أو فعلهم المنكر، لكن ذلك لا يشكل مانعاً عن تكليفهم بهذه الفريضة فهي فريضة، أخرى فعلى سبيل المثال لو توفرت شروط الأمر المعروف معين في شخص ما وذلك الشخص تارك له، فهذا الشخص مكلف بأمرتين: أولهما فعل ذلك المعروف وثانيهما أمر من تركه به.

#### ٧- تعدد المنكر:

قد يتعدد المنكر بحيث يعلم الناهي – فرداً أو جماعة – أنه لا يستطيع قلع ذلك المنكر، لكنه يعلم بأنه بنهيئ يؤثر في تقليل المعصية وإضعافها وجب عليه حينها النهي، فربما كان إضعافه لوجود المعصية مقدمة لزوالها بنهي آخر مثلاً. كما أنه قد يصدر المنكر من شخصين – أو أكثر – يكون نهي أحدهما مؤثراً في ترك الآخر بدون أن يؤثر في النهي نفسه، فيجب النهي لذلك. كما أنه لو علم الناهي أو احتمل أن نهي لا يؤثر في الحال لكنه يؤثر في المستقبل وجب عليه النهي.

ولو افترض أن تأثير بالنهي عن منكر معين متوقف على ارتكاب منكر آخر، يسقط وجوب النهي إلا إذا كان النهي عنه من الأمور التي لا يرضى المولى بوقوعها بنحو.

## ٨- الانزعاج والرفض القلبي:

ما ينبغي التنبيه عليه أنه يجب على جميع المؤمنين أن يرفضوا وينزعجوا من وجود المنكر وهذا أمر غير النهي عنه، بل هو مرتبة سابقة يعيشها القلب ويستشعر وجودها كلما رأى منكراً أو سمع به، فيتحرق لقلقه وتتطهير الوجود منه.

وهذا الانزعاج والرفض هو خير دافع ليتحرك المؤمن لينهى عن المنكر ويرفعه، فهو يتآذى منه ولا بد له من أن يرفع ما يؤذيه. وقد ان هذا الانزعاج مرض خطير يصيب الإنسان المؤمن فيجعله من الراضين بالمنكر وكما هو معلوم أن الراضي بفعل قوم منهم والمستجار بالله<sup>(٧)</sup>.

## ٩- الوقاية خير من العلاج:

قد تبدأ بعض المنكرات صغيرة ضعيفة<sup>(٨)</sup> فلا يكتثر بها أحد، وما تلبت أن تراها قد عظمت واشتدت، وهنالك يحاول المرء أن يقف في وجهها فلا يستطيع بل تراها تحيط به وهو لا حول له ولا قوة وهي في بداياتها لم تكن تحتاج لمعها إلا لكلمة حق تقال و موقف صدق بسيط فرط فيه فصار منعها يحتاج بذل الغالي والنفيس، وقد لا يأتي بذلها بنتيجة.

وهنا يقال للعقلاء: ماذا تفعلون؟ أتركون المنكرات تحيط بكم وتشتد قوتها بصمتكم، أم أنكم تقرون فتنفذون أنفسكم والأجيال التي تلحق بكم؟

## ١٠- روایة مؤثرة:

عن الإمام الباقر صلوات الله عليه أنه قال: " يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون يتقرؤون ويتنسكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمراً معروفاً ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنواضرر، ويطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير، يتبعون

زلات العلماء وفساد عملهم، يقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلّمهم<sup>(٩)</sup> في نفس ولا مال ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، هنالك يتم غضب الله تعالى عليهم فيعذبهم بعقابه، فيهلك الأبرار في دار الفجار، والصغر في دار الكبار، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحة، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب<sup>(١٠)</sup>، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم، والفظوا بألسنتكم، وصكوا بها جاههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم، فإن ا تعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم {إِنَّا السَّبِيلَ إِلَى الَّذِينَ يُظْلَمُونَ النَّاسُ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} أو لئن لهم عذاب أليم هنالك فجاهدوا بأبدانكم وبغضوبهم بقلوبكم غير طالين سلطانا ولا باعدين مالا ولا مريدين بالظلم ظفرا حتى يفيقوا إلى أمر الله ويحضوا على طاعته. قال: وأوحى الله إلى شعيب النبي ﷺ أني مذنب من قومك مائة ألف، أربعين ألفا من شرارهم وستين ألفا من خيارهم فقال: يا رب هؤلاء الأشرار بما بال الأنوار؟! فأوحى الله تعالى إليه، داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبو بغضبي".<sup>(١١)</sup>

لعمري إن ما قاله صلوات الله عليه عن يومنا ليس بغرير، فكم مستنكف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يطلب لنفسه الأعذار، ويحسب نفسه من الأخيار، نعوذ بالله من غضبه وسخطه وسائله رضاه والتوفيق لطاعته واجتناب معصيته.

## المواهش

- (١) ما طرح في الموضوع مجمل لبعض الأحكام الشرعية والملحوظات التي رأيت أهمية التنبيه عليها، ويجب على كل مكلف الرجوع إلى فتوى مرجع تقليده في مقام العمل.
- (٢) آل عمران: ١٩
- (٣) النجم: ٤-٣
- (٤) عن الإمام الباقر صلوات الله عليه: "إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصالحة، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر" الكافي: ٦/٥٧/٥
- (٥) مصطلحات الفقه - المشكيني ص ٨٨
- (٦) تحرير الوسيلة ص ٤٠٠ / منهاج الصالحين - الخوئي مسألة ١٢٧٢ ص ٣٥٢
- (٧) مما أذكره أنني كنت وجمع من المؤمنين في مجلس مع سماحة الشيخ عبد الأمير الجمرى عافاه الله وقد كان أحد المؤمنين ينقل للشيخ بعض الحوادث المنكرة، والشيخ يستمع له ويستعيد بالله ويستجير به من المنكر كما أن قسمات وجه الشيخ كانت تشير إلى عمق الألم الذي كان يعتصر سماحته فقط لسماعه بالمنكر. نسأل الله أن يمن عليه بالشفاء والعافية.
- (٨) وكثيراً ما تبدأ هذه المنكرات في صورة المعروف ثم تدرج لتخرج عنه إلى المنكر.
- (٩) الكلم: الجرح، والمراد ما يضرهم.
- (١٠) المذاهب: الطرق.
- (١١) الكافي ج ٥ ص ٥٦.

إِنَّمَا تُرْجِعُتُ لِلْأَبْلَقِ إِلَّا صَلَاحٌ فِي أَمْلَأِ جَهَنَّمِ  
أَرِبِّ أَنْ أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهِيَّ عَنِ الْمُنْكَرِ

## ثورة الحسين الثالثة

رد لقوله: (الحسين خرج عن حده فيقتل بسيف جده)

جعفر عبد المهدى الشهابي

إن ثورة يكون قربانها قائدتها، وقودها دماء رجالها، وماهيتها إخلاص ثوارها، ورائتها تقوى أنصارها، لا يستغرب أن تخرج بهذه النضارة والن الصاعة في كل أبعادها، فما أن تلقي ببصرك على جنبة من جنبات هذه الثورة المباركة إلا وترى الذروة في ما وصلت إليه، فإن نظرت إلى جانب الانتصار فإنها صارت مضرب مثل للثورات، وإن حلقت ببصرك إلى جانب التكتيك (كما يصطلاح عليه في هذه الأيام) فإنها حيرت عقول الساسة المحنكين، وإن عطفت ببصرك إلى جانب الصيت الذي وصلت إليه فإنها وصلت إلى مسامع الخصوم فضلاً عن الأصدقاء، وطرقت أسماع الملحدين فضلاً عن الموحدين، فها هو غاندي يطلق كلمات الإعجاب والتقدير والخصوص: تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر. وإن أومأت ببصرك إلى جانب العطاء ومقداره فها هو قائد الثورة الإسلامية السيد الإمام الخميني (ره) يقول: كل ما لدينا من عاشوراء. وإن نظرت... وإن نظرت.. لرأيت عجباً، لأن ما قدمته هذه الثورة يعجز الشخص عن وصفه، فمن الطبيعي أن تخرج النتائج مخيرة لذوي الأفهام، وكيف لا وقد ارتبطت هذه الثورة بالكمال المطلق، ذلك لأنها كانت قياماً لله عز وجل، فحربي بها أن تتتوفر على هذا المستوى من الكمال، وأقولها جازماً قاطعاً، ولا أشك حتى بقدر شعرة: إن أمة يكون فيها الحسين حياً في القلوب متاججاً في المشاعر يستحيل أن

تخذل هذه الأمة أو أن تغيب عن موضع القرار، أو أن يتلاعب بصيرها. وإن حاول البعض وانبرى لأجل تمييع الثورة وتفریغ محتواها و وأدتها في مهدها، وذلك بالتعدي على قائدتها الإمام الحسين<sup>عليه السلام</sup> ومحاولة رسم صورة مغلوطة عن القائد لكي تمرر على نفوس البسطاء الجهلاء من الناس، أعني بهذه المحاولة الشعار الذي أطلقه شريحاً القاضي: الحسين خرج عن حده فيقتل بسيف جده.

محاكمة للشعار :

١. يا ترى لماذا شعار (الحسين خرج عن حده فيقتل بسيف جده)؟
٢. وما ملابسات هذا الشعار وهل حقاً خرج الحسين<sup>عليه السلام</sup> عن حده فيقتل بسيف جده؟ أم أنها السياسة التي صنعوا ذوا النفوذ، من الذين يريدون أن يحرروا قراراتهم على البلهاء من هذه الأمة؟
٣. وهل حقاً أن الإمام الحسين<sup>عليه السلام</sup> -والعياذ بالله- قد فسق ليتجرأ أمثال شريح ليقول هذه الكلمة؟ أم أنه تجرأ على الأمة كلها حتى أصبحت لا قيمة لها في ظل غياب الحقيقة، وفي ظل ضمور الوعي في أوساط الأمة؟
٤. وهل حقاً هناك من هضم هذه الكلمة حتى فرضت وجودها في أرض الواقع؟
٥. وهل أن الأمة أعلنت عن فشلها في مقابل قرارات خطيرة من هذا النوع حتى بات تمرير أمثال هذه القرارات أمراً من السهولة بمكانته؟
٦. وهل حقاً وصل الحد إلى تطبيق هذا القرار واقعاً، و وقفت الأمة منه وقفه المتدرج؟
٧. بل هل وصل الحد إلى أن الأمة لم تكتف بكتف اليد أماماً تطبيق القرار حتى شرت عن ساعدها لمشاركة في تمرير هذا القرار عملياً وذلك بالمشاركة في

## قتل الإمام الحسين عليه السلام؟

كل هذه التساؤلات لا يمكن للأمة أن تتجاهلها بحال من الأحوال، وإذا خذلت الأمة الحسين عليه السلام بالأمس، فهل من ضمانات بأن لا تخذل الأمة تلاميذ الحسين عليه السلام على مدار العصور؟ إذن لا بد من وقفة للتحليل، ولا بد من محاكمة لهذا الشعار لنرى أين يكون محله من الواقع، وهنا محاولة في هذا المجال:

أولاً: يا ترى من هو الذي تفوه بهذا الشعار؟ وإلى ماذا كان يرمي بذلك؟

عندما نلاحظ هذا الشعار نرى أن المتفوه به كان لساناً من ألسنة الظلمة ألا وهو شريح القاضي، هذا الرجل الذي -كما يظهر- باع دينه بدنيا غيره، وهو أسوأ حالاً من باع دينه بدنياه كما تشير إليه روايات أهل البيت عليهم السلام، فشريح هنا باع دينه بدنيا يزيد.

وشرح ينطق كلمته وهو حبيس هواه، وحبيس خوفه، وحبيس جهله، وحبيس طمعه، وحبيس جرمه، جراء دخوله في أعوان يزيد، وهذه ضريبة كل من يضع يده في أيدي الظالمين، أن يأتيه يوم -والعياذ بالله- يكون فيه مسلوب الإرادة، إن لم يكن قد حكم على نفسه بأن يكون مسلوب الإرادة من أول يوم دخل فيه في سلك الظالمين، وليس معنى سلب الإرادة أنه يقدم على الأمر بلا شعور، بل يكون أداة طوع لهم من دون أن يستطيع قول كلمة (لا) في موضع (لا)، و (نعم) في موضع (نعم)، وهذا لا يعني أنه معدور أمام الله سبحانه وتعالى، لأنه أقدم على الدخول مع الظالم باختياره، فإذا اضطر إلى الظلم فإنه لا يكون معدوراً حينئذ، فالاضطرار بسوء الاختيار لا ينافي الاختيار، والاضطرار في مسألة خدمة الظالم، وخصوصاً إذا وصل إلى الدم أو العرض ليس فيه مسامحة من قبل الله

سبحانه وتعالى، لأن الاضطرار الذي لا يعقب الله الإنسان عليه امتنان من الله سبحانه وتعالى، ولا يشمل هذا المورد لأنه معارض بحق المظلوم.

وعلى كل حال فالشخص الذي يقع في شباك الظالم لا يأمن من أن يأته الخطر، ومن أين يطرق بابه الانحدار إلى الماوية، ولعل لحظة يظلم فيها مسلماً من المسلمين يكون فيها الطرد الإلهي، وهل من ظلم أشد من أن يجرأ شخص على كلمة تكون صريحة في الدعوة إلى قتل ابن بنت رسول الله ﷺ. وبأي تبرير يصح ذلك والرسول يقول في حق الحسن والحسين ع كما هو المنقول عن علماء السنة فضلاً عن ما جاء عن علماء الشيعة: (من أحبهما أحبته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم. ومن أبغضهما، أو بغي عليهمما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله نار جهنم، وله عذاب مقيم) <sup>(١)</sup>. وهذه العبارة ليست مختصة بزمن دون آخر والرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى وليس لديه بحثات على حساب الدين، فكيف يا ترى وفي أي زاوية يصح أن يوضع كلام شريح؟ وماذا يا ترى يريد أن يقول؟ هل يريد أن يقول أن الحسين ع - والعياذ بالله - صار كافراً، أو فسقاً يستحق به القتل؟ أو أنه أصبح منافقاً؟ وهذا ما يدل عليه مفهوم عبارته، وإلا فما مصير من يقتل بسيف الرسول الأكرم ع ﷺ إلا النار؟ فهل هذا ما أراد أن يتوصل إليه شريح من كلمته وهو أن الحسين خرج عن الدين فلا بد أن يقتل بسيف الإسلام؟ أم أن المقصود هو أن الحسين ع خرج عن الحد الذي لا يطيقه يزيد فلن يتحمل يزيد ذلك وهذا الحد كما هو ظاهر؟

إن يزيد رأى في الحسين ع عقبة أمام الوصول لماربه الشيطانية ورأى في الحسين ع خندقاً منيعاً يبقى من خلاله الإسلام الحمدي الأصيل، خصوصاً وأن

الحسين<العليه السلام> تحذر يزيد لعنه الله بلا هواة حينما رأى أبو عبد الله<الله عز وجل> الناس ينسخون عن الإسلام يوماً بعد يوم، الأمر الذي جعل يزيد يرى في الحسين<العليه السلام> خروجاً عن الحد، ولأن شريح القاضي كان في موقع يستطيع من خلاله استقطاب الرأي العام فصار أداة لتنفيذ القرار، وهذا الكلام له مثالاته، وليس أمراً خطابياً، فالمتبوع لشخصية يزيد وما كتب حولها يرى ذلك جلياً وعلى السنة الفريقين (سنة وشيعة)، فقد اشتهر يزيد بالفجور وشرب الخمور واللعب بالطنبور وغيرها من المنكرات والفواحش التي تكفي الواحدة منها لفسق الرجل، فأمر فسقه (لع) وعلى أقل تقدير واضح لدى العامة فضلاً عن الخاصة وإن كان أمر كفره ليس بعيداً، فمما ذكره جلال الدين السيوطي عن تاريخ الخلفاء: (وكان سبب خلع أهل المدينة يزيد أسرف في المعاصي) وأنخرج الواقدي من طرق أن عبد الله بن حنظلة الفسيلي قال: والله ما خرجننا على يزيد حتى خفنا أن نرمي بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد، والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة. قال الذهبي: ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل، مع شرب الخمر وإيتائه المنكر، اشتد عليه الناس<sup>(٢)</sup>. بعد هذا كله – وهذا غيض من فيض – من مخازني يزيد (لع)، من الذي خرج عن حده فيقتل بسيف الرسول<ص> يزيد أم الحسين<العليه السلام>؟! ولكنها وللأسف الشديد ضريبة الارتباط بالظلم والانقياد في سلكه، الأمر الذي أوقع شريحاً في هذه الورطة التي أصبحت عاراً عليه على مدى السنين والأعوام، وتبعه يتحملها معه لـ (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم).

فلذلك نرى الأئمة<عليهم السلام> يشيرون إلى خطورة الارتباط بالظلم وما يترب عليه

من ضياع الدين وحقوق أهل البيت عليه السلام. فكما يروى عن مولانا الصادق عليه السلام:  
(لولا أن بني أمية وجدوا من يكتب لهم ويحيي لهم الفيء، ويقاتل عنهم ويشهد  
جماعتهم لما سلبونا حقنا).<sup>(٣)</sup>

ومسألة الارتباط وأثرها في توهين الدين أمر لم ولن يقف عند حد زمان معين  
بل هو أمر سياق في كل زمان ومكان، وهناك مخطط واضح فاضح لأجل مسخ هوية  
طالب العلم والمتصدي لهداية الناس منذ ذلك الزمان وإلى يومنا هذا، بل إلى قيام  
قائمنا الحجة المتظر عليه السلام، وهذا أمر يتحمل تبعته طلاب العلوم الدينية قبل  
غيرهم من السلطات والحكومات التي تسعى إلى ذلك إذا أمر بالقبول والانقياد،  
وأمر الرفض راجع لطالب العلم أولاً وأخيراً -بعد تسديد الله سبحانه وتعالى-  
وعي الأمة ودرجة رشدها مؤمنٌ قوي في الحد من وقوع مثل هذه التزلّفات التي  
توجع الأمة إن لم تجاهه بوعي وبصيرة وإصرار.

والحمد لله أولاً وأخيراً

السلام على الحسين

وعلى علي بن الحسين

وعلى أولاد الحسين

وعلى أصحاب الحسين

## المواهش

(١) مختصر تاريخ دمشق: ٧١٢١، عن كتاب الحسين سماته وسيرته

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ٢٠٩

(٣) ميزان الحكم: ٦١٢، ح ١١١٦٩

## اللقاء الرابع

علي أحمد عبد الوهاب الجفيري

عندما يقف الإنسان متأملاً نفسه و كيانه و معطيات تجربته الحياتية و مكتسباته الخبروية و نتائج أفكاره و سلوكياته و أفعاله الناشئة من عدة تصورات و رؤى فكرية، الناجمة عن أسلوب معين في التفكير و الاستدلال و الاستنتاج، عندما يتأمل ذلك كلّه، يدرك مدى ضعفه و عجزه و خطأه الكبير و عثراته الجمة العظيمة، و زلاته الفاحشة الجسيمة، لأنّه يلاحظ عندما يقف هذه الوقفة مناشئ هذه الأفكار المستبعة للعمل على وفقها، فيرى أنّ كثيراً منها كان مبنياً على أساس من الغفلة و الذهول عن أمور لها مدخلية عظمى في التأثير على صحة هذه الفكرة أو خطأ تلك، و يرى أن مسلمات لديه قد نمت على أصول ضعيفة غير عميقه، و يلحظ أنّ كثيراً من الاستنتاجات الفكرية التي ثبتت في ذهنه بعيدة عن الصواب بلحاظ تأثير الوهم و العاطفة، فيلجاً بعد ذلك إلى تصحيح ما سقم من آراء و تقويم ما اعوج من فكر و معلومات مختزنة لديه إذا كان من أزاح غشاوة التعصب عن قلبه و استسلم لاحناء أنفه أمام كبرياء الحق، و لكنه يفاجأ في مرات عديدة أنّ ما اطمأن إليه من تصحيح، و ما استأنس به من تقويم، لا يعود كونه خطأً أضيق إلى خطأ، و عشرة زادت على عشرة، و هكذا دوالياً إلا من عصم الله سبحانه أو من أخذ بيده بالتأييد و التوفيق لطريق العصمة، أما من لم يكن كذلك يضطر إلى الإيمان بوجوب و ضرورة لجوئه إلى قوة تقيه خطر هذا الضعف، و أن يستمد القدرة و السلامة الفكرية من قادر عالم مطلق، و أن يلوذ بن يرجعه إلى الخط السليم و يجنبه تبعات اتباع الخط المستوجب للعشرة و الزلة.

و هذا واقع لا ينكره منصف ولا يسلم به إلا من تجرد عن نزعات الكبر و الأنانية و فتح بصيرته و أعدها لاستقبال المهدى، و أشرفت نافذة قلبه على خميلة العلم و المعرفة طلباً للكمال و سعيها وراء سد الخلل و النقص، هذا هو حال ابن آدم ساعة ينجو و أخرى يكتبوا، لأنّه فقر كلّه و حاجة صرفة لا تشوبها القدرة إلا بمقدار ما أفضله صاحب القدرة، و هل عاشوراء الحسين عليه السلام إلا نتيجة جهل الإنسان و عجزه؟ و هل قتل تلك الصفوّة الطاهرة و سفك دمائها و دماء ذويها و محبيها و سبي نسائها إلا أثر ما أسلفناه من أنّ الإنسان لا يمكن له الاعتماد المطلق على نتاج عقله و الاستغناء به عن عصمة الله سبحانه؟ ما كان انحراف أمة محمد صلوات الله عليه و آله و سلم إلا من تأثير الوهم و العاطفة على عقول الأمة التي تكون ضعيفة دائماً أمامهما من دون الإعانة الإلهية و المدد و التسديد الإلهي، و من أهم آثار هذا الانحراف ما صرنا نلامسه و نحس به في عصرنا هذا من فقد نبينا و غيبة ولينا و شدة الفتنة و تظاهر الزمان علينا، حتى صرنا أشد الأمم استضعافاً في الأرض و أقلّها خطرًا و أدونها شأنًا، فكان مما ابتلي به أهل هذا الزمان من مؤمن صالح و فاجر طالع الانحراف و الابتعاد عن خط و قوانين الله سبحانه، و استبدالها بنتائج العقل البشري الذي أثبت فشله و فشل أحکامه و تصديقاته واستنتاجاته في كثير من المواطن، فألزم بهذا الاستبدال المؤمنون كرهاً، و أخذ به المترفون طوعاً إيماناً منهم بأنه البديل الأنسب للأحكام الإلهية التي اتهموها بأنّها تقليدية جامدة، مما يعني أنها لم تعد قادرة على مواكبة السير الحضاري الهائل الكم و الكيف في هذا القرن، و وصفوا مؤيديها ب مختلف مصطلحات التخلف و الرجعية، غافلين بذلك عن كون تقدمهم و تحضرهم المادي صنيع يد الحضارة الإسلامية الشماء، و ما نريد أن نصل إليه من خلال هذه الأسطر التعرف على

عدة حقائق تفنّد هذه الاتهامات المهزوزة، والتي لا تستند إلى أصل فكري قوي، وتبين سخاف هذه الأقوال الناشئة عن بعض الإسلام وأهله، مستلهمين ذلك في النتيجة من عاشوراء الحسين عليه السلام، علينا نستطيع بذلك حماية شبابنا من التأثر بأقوال بعض من تلبس بعده عناوين خاوية بعيدة عن خط الإسلام من خلال التأمل الصادق المعن في ما سنورده من كلام، أو أن نوصل رسالتنا إلى هؤلاء المساكين الجهلة بقولنا لهم \_ إن كانوا من لا يكادون يفهون حديثا \_ ابتعدوا بفككم الضعيف الذي لا يستطيع الصمود أمام صرح الإسلام المنيع إلى بلد تجدون فيه أنفسكم مع من ألقى جلباب الفطرة عن نفسه وألقى عليها بواري الغفلة والانحراف عن خط الفطرة السليمة التي لم تعبث بها أيادي اغترار الإنسان بعقله القاصر، ابتعدوا عن بلد الإسلام لأنه لا ينخدع بالمصطلحات البراقة التي لا تمتلك منبعاً معمولاً أصيلاً كمنبع محمد صلوات الله عليه و أهل بيته الأطهار عليهم السلام، لا صوت يُسمع لكم في بلد قد نذر نفسه للإسلام، ولا كلب يلهمث وراء ما تطلقوه من دعائيات فاسدة تتنافي مع مبادئنا و قيمنا الإسلامية.

### الحقيقة الأولى :

#### ما هي حقيقة الأحكام الإلهية ؟

يجهل الكثير من الناس حقيقة الأحكام الإلهية مما يدفعه إلى محاربتها بشكل عنيف شرس، واتهامها بأنها تفتقد المعاني التي توصل الإنسان إلى قمة الحضارة والرقي الإنساني، وقد صوروها بأنها أشبه ما تكون بالرياح العاصف التي تقابل من يتوجه إلى طريق التمدن الحضاري فتحول دون وصوله إلى مقصد و مبتغاه،

كما عبروا عنها بالقيود والأصفاد الحديدية التي تكبل حرية الإنسان لتجعله إنساناً رجعياً يعيش في إطار فكري محدود غير متحرر، لا يمكنه الخروج منه لمواكبة الطفرة الحضارية القائمة، ووصفوا الإنسان الذي ينادي للقيم الإسلامية بأوصاف هي أبعد ما تكون عن الصحة والواقع بقولهم أنه إنسان لم يدرك معنى الحرية، وأنه قد جمد عقله حتى أصابه العطب فصار غير قادر على استخدامه في الموارد التي كان من الواجب استخدامه فيها، وقد أطلقوا عليه مختلف عبار التخلف وحاربوه بأشد ما يكون، حتى وصل بهم الأمر إلى أن يأتوا ببدائل وأطروحات ورؤى فكرية قد نشأت في مهد الكفر والإلحاد، ومن ثم دعوا الناس بعد مرحلة التنظير إلى تفعيل هذه الأفكار والالتزام بهذه المبادئ المستقاة من نبذ كل ما يتعلق بالدين، والمنطلقة من أصل وشعار (الدين أفيون الشعوب)، وما يندى له الجبين ويبعث على الاستغراب والاستنكار، دعوة بعض من يدعى أنه مسلم إلى هذه المفاهيم والغالطات السخيفة، وهذا ما يدعونا للتنويه على حقيقة لا يصح غض الطرف عنها، وهي أنه ليس كل من قال أنا مسلم فهو كذلك قلباً وقالباً، بل إن هناك من يدعى التزامه بدين الإسلام في حين أنه لا يعي من الإسلام إلى اسمه ورسمه، فالفرق واضح جلي بين مفهومي المسلم والإسلامي، وبينهما نسبة العموم والخصوص المطلق كما يصطلاح المناطقة، فإن مفهوم المسلم أعم من مفهوم الإسلامي وهذا الأخير أخص من سابقه، وعليه فإن كل إسلامي مسلم ولاعكس، فهناك من قال أنه يدين بدين الإسلام بمجرد لحظات عرفية مكتسبة من التقاليد والأعراف الخبيطة، و لكنه في الحقيقة والواقع قد انبهر بالحضارة المادية الغربية أياً انبهار، فدعاه ذلك بتأثير الزمان والمكان إلى وضع قلب غربي في قالب ظاهره الإسلام، فحذار حذار من هؤلاء، ولذلك كان

لزاما علينا أن نبين حقيقة الأحكام الإلهية لمن فكر بانتهاج منهج هؤلاء، أو من يحمل بعض أفكار هؤلاء في خلجانات نفسه فيمنعه محيطه الملز من البوح بها والإفصاح عنها، علينا ننال بذلك حظوة هداية ضال أو مختار، و إلا نطمئن لا أقل بأننا قد قمنا بتتكليفنا الشرعي من أمر معروف و نهي عن منكر.

نعود و نسأل، ما هي حقيقة الأحكام الإلهية؟ عندما نتمعن في منشأ الأحكام الإلهية نستطيع أن نتعرف على حقيقة هذه الأحكام و أن نعرف السر الخفي وراء إصرارنا على التمسك بها و دعوة الآخرين إلى التحلّي بهذا التمسك، فإن واضح هذه الأحكام هو الله سبحانه و تعالى، مما يستتبع الكثير من المعاني الحرية بالتأمل، فحين تؤمن بأن الواقع لهذه الأحكام عالم مطلق، فلا بد لك من أن تطمئن إلى أن الجهل لا سبيل له البتة للمس بهذه الأحكام و التأثير عليها، و عندما تؤمن أن واضح هذه الأحكام حكيم مطلق، لا تخشى سراية حالة العبث و اللهو و اللاهدية لتعكير صفو هذه الأحكام، و مع ملاحظة أن هذا الواقع غني مطلق، ينتفي احتمال تعرض هذه القوانين إلى الأهواء و منطلقات المصالح الشخصية و الحاجة و ما شابه، و عندما تذعن أن واضح هذه الأحكام عادل لا تعرف ساحتها الظلم و الجور، تستطيع أن تنام قرير العين لأمنك من أن تنفعل القوانين التي تعلوكم بأنواع الظلم و العدوان، و حين تصدق بامتناع الخطأ و الرلل على من وضع هذه القوانين و تعرف بعصمته، تقر نفسك لما تعلمك بأن هذا النوع من الأحكام لا يمكن أن تتطرقه التغرات المهلكة و المنزلقات الخطيرة، و ذلك كله يكفل لنا تجنب عناء التفكير الدائم في تبديل هذه المادة أو تلك محاولة لسد التغرات و اجتناب المنزلقات، هذه هي حقيقة الأحكام و القوانين

الإلهية، عصمة في عصمة، و صفاء في صفاء، فعجبت لمن التفت بعد ذلك لهذه الحقائق كيف يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، و لا عجب حين لا يغيب على المتأمل ما قد أصاب هذه القلوب من أمراض فتكت بها حتى أخرجتها عن إطار التفكير السليم المتجرد عن كل الجواذب الدنيوية، و أفقدتها جميع مقومات الإنصاف و الاستسلام للحق، فجعلتها قلوبا تتشاقل إلى الأرض إلى أن أخلدت إليها، لا معنى بعد وضوح هذه الحقائق للتتشدق بالمصطلحات ذات الوهج الملفت و الباطن المفترض لضامين الحق، الديقراطية مثلا من الأطروحات التي دُعي إليها كبديل لأطروحة الإسلام، الديقراطية بمفهومها الغربي زخرف من القول لا يعني عن الحق شيئا، عجبنا ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هي إلا أسماء سميت بها أنتم و آباءكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن يتبعون إلا الضلال و ما تهوى الأنفس و لقد جاءهم من ربهم المهدى، لم تكن الأكثريّة يوما في دين الإسلام هي الحاكمة، بل كانت العبرة في العصمة و العصمة فقط، صار بعضنا يردد هذا المصطلح من دون الالتفات لما يعنيه، إن الديقراطية التي جعلوها بدليلا للإسلام مفهوم قد خرج من بطن حضارة الطين و ارتبط من ثدي الكفر و ترعرع تحت كفالة الإنكار لله عز وجل، نحن لا نعارض هذا المفهوم على إطلاقه و لكننا لا نؤيده في نفس الوقت على إطلاقه، إن المعنى المقبول للديقراطية هو القبول بها كآلة توصلنا إلى حل بعض الأمور التي لا يتنافي التصويت لها أو ضدّها في كلا الحالتين مع تعاليم الإسلام و مبادئه، فأبدا لن نقبل أن نضع حكما إلهيا تحت طاولة البرلمان للتصويت لصالحه أو ضده، أبدا لم تكن و لن تكون أحکام الله تعالى تستمد شرعيتها من هذا المجلس أو ذاك، لا نقبل بالديمقراطية كبديل لأطروحة الإسلام و إلا خرجنَا عن إيماننا و إسلامنا، بل نقبل

بها كآلية توصلنا إلى القول الفصل في إنهاء بعض الأمور التي لم يحدد الإسلام جزئياتها \_ وهي ما يعبر عنها بدائرة المباحثات في اصطلاحهم \_ وإنما ترك المجال للعقل البشري للإبداع فيها بابتکار السبل الفضلى في تحقيق الرفاهية في العيش الدنيوي والأخروي، كل ذلك تحت إطار الإسلام العزيز، كفانا دعوة إلى الديقراطية على أنها الملجأ الوحيد و المفرز الغرير من نوعه القادر على تخليصنا مما نعانيه من ظلم وعدوان لا شيء إلا لأننا قد أحبينا ديننا و نبينا ﷺ و أهل بيته الطاهرين علیهم السلام، تبا لذلك الإعلام المضل الذي كان منذ القدم ولا زال أداة لتضليل شبابنا و تلقينهم المعانى المسمومة و المفاهيم المهلكة، و ليعلم الجميع أننا إسلاميون، و سنظل كذلك بإذن الله تعالى، و سنبقى نؤمن بالإسلام وحده كدستور و منهج له القدرة على ضمانة حقوقنا و ضمانة إيصالنا إلى ما جثنا لأجله في هذه الدنيا من خلافة الله على أرضه مما يكفل سعادتنا الدنيوية والأخروية، و هذا ما لا يستطيع أي دستور نشأ عن العقل البشري المستقل ضمانه لنا أبدا.

### الحقيقة الثانية :

#### ما هي حقيقة الأحكام الوضعية ؟

تتبين لنا الحقيقة الثانية التي نريد أن نشير إليها من خلال اتضاح الحقيقة الأولى، فالرابط وثيق بينهما، فالقوانين الوضعية كما لا يخفى ما هي إلا نتاج العقل البشري، و ما نلامسه وجدانا اشتباه العقل في كثير من الأحيان لتأثير الوهم والعاطفة عليه إذا لم يرجع إلى قوة تعصمه عن الخطأ، و ذلك باعث على سلب

الثقة التامة التي من الممكن أن نوليها إلى العقل في قدرته على إيصالنا إلى ما ننشده حين وضعنا القانون بشكل مستقل، فلا بد للعقل من التحرك تحت ظل مرجع معصوم يجنبه الواقع في هوات التأثيرات الخارجية التي قد تنتاب العقل فتؤثر عليه أثناء عملية الوضع، وقد تبين من خلال توضيح الحقيقة الأولى من هو مقصودنا بالمرجعية، فهذا النوع من المرجعيات هو الوحيد الذي يستطيع أن يدفع العقل عن مزالق قد تؤدي به إلى الهالك الدنيوي والآخروي، و من حرك أن تسأل : ما هو دور العقل و موقعه إذا في ما يرتبط بهذا الجانب ؟ أقول : بالطبع إننا لا ندعوا إلى تعطيل دور العقل بشكل مطلق، فالله سبحانه لم ينفع علينا بنعمة لكي نقوم نحن بتجميدها، و ما نريد أن ثبته هنا هو أن العقل عاجز في كثير من الموارد عن إدراك العديد من الحيثيات المهمة التي لها دخالتها و تأثيرها على إثبات صحة القوانين أو خطئها، و لفهم ذلك بشكل أوضح، نطرح سؤالا آخر ينفع أن يكون جوابه مقدمة لفهم جواب السؤال الأول: ما هو الهدف الذي ينشده الإنسان حين وضعه للدستور و القانون ؟ الإجابة قد تكون لأول وهلة واضحة بديهية، لكننا في الحقيقة نريد الإلتفات إلى نكتة خافية على الكثرين، وهي تكمن في الفرق بين القانوني الإلهي و الوضعي، فهناك نقطة امتياز يمتلكها القانون الإلهي لا يتتوفر عليها القانون الوضعي، يوضع الدستور \_ أعم من أن يكون إسلاميا إهليا أو لا \_ لكي يجعل الناس يعيشون تحت ظل القانون الذي يتعهد بإيصالهم إلى حياة نظامية دستورية بعيدة كل البعد عن حالة الفوضى و الممجية، قريبة من حالة الاستقرار و الأمن و كفالة الحريات الشخصية و العامة من خلال تبيان الحقوق و فرض الواجبات على أفراد و فئات المجتمع و إيضاح معالم و حدود الحريات الشخصية بما لا يتعارض مع العامة منها، و بذلك يسير

المجتمع بشكل منتظم هادئ نحو هدفه الذي ينشده من عيش كريم و حياة عزيزة مطمئنة، هذا هو هدف دساتير العالم كلها بما فيها الإسلامي، و لكن الإسلامي يزيد عليها في ما هو أكثر أهمية من ذلك كله و أشد خطرا منه، و هو مستقبل الإنسان الأخروي، فكل دساتير العالم يفترض فيها ألا تغفل المستقبل الدنيوي للإنسان، لكنها غافلة في الواقع عن المستقبل الأهم للإنسان، بعد أن اتضح ذلك نسأل: هل يمكن للإنسان المسلم المؤمن باليوم الآخر أن يعتمد على عقله بشكل مستقل في صياغة دستور يضمن له التوفيق و النجاح في المستقبليين المذكورين ؟ الجواب سلبي من دون شك و لا ريب، لأن الله سبحانه هو الخالق الوحيد لهذا الكون، فهو بالتالي الأدرى بالأصلح لبني البشر في ما يرتبط بهذين العالمين، و هو سبحانه الوحيد القادر على تشخيص الأనفع لابن آدم بالنسبة لكلا العالمين، أما بالنسبة لعالم المادة فلأن الله تعالى هو خالقه و واضح قوانينه و سنته الكونية الحاكمة فيه، فلا بد من أنه الأقدر على وضع أحكام لا تتنافي مع قوانين هذا العالم لاطلاعه الكامل و إحاطته التامة بسنن هذا الكون و نواميسه، بينما الإنسان جاهل بحقيقة نفسه فكيف بحقيقة الكون ؟ و أما بالنسبة لعالم الآخرة فالكلام فيه أوضح، لأنه عالم مجهول بالنسبة للإنسان الطبيعي، و أنى له كشف أسراره و الإحاطة بمدركاته و سنته ؟ هيئات هيئات، فتبين بذلك عجز الإنسان عن وضع قانون يكفل له سعادة الدارين لجهله الكبير بهذين العالمين اللذين هما المدخلية العظمى في التأثير على نجاح الدستور أو إخفاقه، و أن الوحيد القادر على صياغة الدستور الناجح مع ملاحظة ما تقدم هو الله سبحانه و تعالى لأنه الخالق الوحيد لكلا العالمين، بعد هذه المقدمة نجيب على السؤال

الأول المتعلق بدور و موقع العقل من ذلك كله، و نقول في مقام الجواب أنه من الواضح كما أسلفنا أن نعمة كالعقل قد حبها الله تعالى للإنسان لا بد لها أن تُفعل و تستخدم، لكن بشرط استخدامها في مكانها و موقعها الصحيح، فالله سبحانه يحدد للإنسان الرؤية الكونية الصحيحة و يرشده إلى القواعد العامة و حدودها، و من ثم يترك المجال للعقل أن يبدع بما لا يتتجاوز هذه الحدود، فهو يقول سبحانه لابن آدم أنه عليك أن تؤمن بي كرب، و أن توحدني إلأي، و أن تؤمن بمن أرسلته لإذراك و بمن نصبه لهدايتك، ثم أن تؤمن باليوم الآخر، و بعد ذلك أبدع بما لا يتصادم مع هذه الأصول، فلك أن تفترض نظام دولتك قائما على ثلاثة أركان تتمثل في السلطات الثلاث شريطة ألا تتبع أحکاما لا تمت إلى الإسلام بصلة داخل السلطة التشريعية، و شريطة ألا تتخذ الأساليب المتنافية مع أصول و فروع الإسلام عند تفعيل تشريعات هذه السلطة في داخل نطاق السلطتين التنفيذية و القضائية بعد افتراض التزام التشريعية بالشرط المتقدم، كما أنه لك اختيار طريقة الانتخابات مثلاً كآلية توصلك إلى تحديد و تشخيص مصدق رئيس الدولة أو رئيس وزارتها أو تحديد مصاديق نواب الدوائر البرلمانية أو البلدية الذين يتكلمون باسم أصحاب هذه الدوائر و ما إلى ذلك من طرق تتحرك تحت إطار الشرط المتقدم، هذا هو دور العقل الصحيح الذي نحتاج إلى تفعيله لنضمن توفيقنا في الدارين.

### **الحقيقة الثالثة :**

**من هو صاحب الحق في التشريع، وصاحب الحق في إلزام الناس و  
إرشادهم لاتباع هذا التشريع؟**

بعد أن تبيّنت لنا الحقيقةتان السابقتان، يجدر بنا الإشارة إلى حقيقة ثالثة مهمة ترتبط بالحقيقة الأولى بشكل مباشر، فإننا عندما نتحدث عن قانون و تشريع، لا بد لنا أن نلتفت إلى واضح هذا التشريع، فمن هو صاحب الحق في التشريع و التنظير ليقوم الناس بعد ذلك بتفعيل بنود هذا التشريع وفقاً لإرشاده؟ الإجابة واضحة جداً، فإن صاحب هذا الحق هو الله سبحانه وتعالى باعتباره الخالق و المالك الوحيد لهذا الكون، فحق التصرف له وحده لا يشركه فيه أحد، ولكنه عز اسمه و جل قد أعطى هذا الحق لرسوله و خلفائه، فكان التشريع من حقه هو أولاً و بالذات، ثم من حقوقهم ثانياً و بالعرض، فولاية التشريع تكون لهم وحدتهم في طول ولاية الله تعالى لا في عرضها، ثم بعد ذلك يخلفهم الفقهاء العدول من خلال بذلك جهدهم في فهم النصوص الواردة من قبل الاثنين، في القرآن الكريم بالنسبة للله عز وجل، وفي الروايات الشريفة و النصوص الواردة عن رسول الله ﷺ و أهل بيته علیهم السلام، ومن حدد هذا التسلسل الطولي في الولاية هو الله تعالى نفسه حين قال في الآية الخامسة بعد الخمسين من سورة المائدة: (إنا وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون)، ثم من بعد ذلك حددتها الأئمة علیهم السلام في الفقهاء من بعدهم حين قالوا: (و أما الحوادث...)، فكان لزاماً علينا في هذا العصر أن نرجع للفقيه العادل الذي يتوفّر على بعض الشروط المذكورة في محلها تحقيقاً لأمر أئمتنا علیهم السلام عندما أرجعوا

إليهم في صغارنا و كبارها، فهذه حقيقة لا بد من الالتفات إليها، فحق بيان ما جاءنا من تشريع من قبل الله تعالى بواسطة النبي الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار علیهم السلام هو للفقهاء العدول خاصة، وكل من ادعى قدرته على فهم هذا التشريع مستغلياً بهذا الفهم عن الفقهاء، كاذب مفتر و متعد على حقوق غيره، فلا بد من الخذر منه و الابتعاد عنه، وهذا \_ للأسف الشديد \_ مما وقع فيه الكثير من يتكلم في الشؤون الإسلامية و كأنه ملم بأحكامها و روحها، من دون أن يكون كلامه مستنداً إلى قول أهل العلم و الاختصاص و هم الفقهاء لا غير، غافلاً بذلك عن أنه لا يتسعى لغير الفقهاء فهم روح الإسلام و أحكامه، لأن ذلك يتطلب \_ في الحالة الطبيعية \_ سنوات طويلة من ترك الدنيا و ملذاتها، و التفرغ التام للتحصيل و بذل الجهد الجهيد مع ضم الإخلاص و الصدق في الجد و الاجتهاد، ثم بعد ذلك كله لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم، فمن الإجحاف و القبيح عقلاً الاستهانة بجهود من بذل عمره في هذا السبيل بتكلم غير أهل الاختصاص في تخصص غيرهم، و لو كان ذلك في غير دين الله تعالى لرأيت العالم هب و استنفر كل قواه للاستنكار، و ربما فرست على من تكلم في الطب أو الهندسة و هو ليس بطبيب أو مهندس العقوبات الصارمة لتكلمه في ما لا يعنيه، و حق لهم ذلك، فإن التكلم في هذين المثالين مثلاً من دون علم قد يؤدي بحياة الناس إلى الخطر الجسيم الذي لا تحمد عقباه، و نحن هنا ننبه إلى أن التكلم في الدين من قبل غير أهل الاختصاص أيضاً يؤدي بحياة الناس إلى الخطر الدنيوي و الآخرة معاً، فكان بذلك أحق بالعقاب و أولى بالاستنكار، و لكن ماذا نصنع و نحن في زمن قد غيرت فيه الميزان و بدلـت فيه المعايير حتى صار الدين عند كثير من المسلمين من آخر الأولويات، و ربما صنفوه من غير

الأولويات أيضا، فلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

#### الحقيقة الرابعة :

### ما هو واجبنا تجاه التشريع الإلهي في ما لو تعرض للخطر ؟

بناء على الحقائق الثلاث المتقدمة، تنتج لنا حقيقة رابعة كانت هي ما نصبو إليه ليكون موضعنا و محلا للتبيين من خلال هذه الأسطر، و كانت هي الدافع وراء كتابة هذه الكلمات، وبعد أن عرفنا حقيقة الحكم الإلهي، و حقيقة ما يقابلها من بدائل، و عرفنا واضح هذا الحكم و الملزم به من خلال التعرف على سلسلته الطولية، بعد أن عرفنا ذلك، لا بد لنا أن نذعن لهذه الحقيقة الرابعة، و هي أنه جدير بنا أن نضحي بكل ما نملك في سبيل الالتزام و التسليم بالحقائق السابقة، لأن ذلك من صميم ديننا و قيمنا و مبادئنا، و حق لنا أن نبذل أرواحنا لضمان بقاء هذه الحقائق الثلاث، و ذلك افتداء بنهج الحسين<sup>عليه السلام</sup> أبي الأحرار و أبي الضيم، و صوت الضمير الحي، و رمز العصمة و المبدأ و الدين، الذي قال عندما وصل إلى موقع البيضة مبينا سبب قيامه: (إن هؤلاء قد لزموا الشيطان و تركوا طاعة الرحمن و أظهروا الفساد و عطّلوا الحدود و استأثروا بالفيء و أحلوا حرام الله و حرموا حلاله و أنا أحق من غير...) نعم، إنما قام أبو عبد الله<sup>عليه السلام</sup> ثائراً بسبب هذه الحقائق الأربع، قام دفاعا عن الحكم الإلهي الذي ضاع على يدي الفاجر يزيد \_ عليه لعائن الله \_ لمعرفته \_ عليه السلام \_ معنى و حقيقة الحكم الإلهي و تلك هي الحقيقة الأولى التي قام لأجلها السبط الشهيد<sup>عليه السلام</sup>، و قام صلوات الله عليه نبذا و احتجاجا على ما قام به يزيد اللعين من تبديل لأحكام

الله عندما أحل حرام الله و حرم حلاله، و هذه هي نفس النتيجة التي تعطينا إياها الأحكام الوضعية الناشئة بعيدا عن المرجعية الموصومة، وهذه هي الحقيقة الثانية، و قام \_ عليه السلام \_ لأنه رأى حقه في التشريع قد ضاع، و الولاية التشريعية التي له على المؤمنين قد فقدت دورها باغتصاب هذا الفاجر كرسي الخلافة فصارت معطلة فاقدة عن الوصول إلى مرحلة تفعيلها، فكان لا بد من إرجاع الحق إلى أهله، و تلك هي الحقيقة الثالثة، و قام عليه السلام لأنه آمن باسترخاص دمه الطاهر أمام الدفاع عن دين الله سبحانه و رفض ما يخالفه و طلب حقه و تلك هي الحقيقة الرابعة، هذا ما نفهمه من قيام الحسين عليه السلام، و هذا مما نستطيع أن نستقيه من عطاء وليدة المعصومين عليهم السلام، ثورة عاشوراء المقدسة المباركة، و من هنا نستطيع أن نفهم حقيقة نداء الفقهاء و العلماء الغيارى على الدين ضد تقنين أحكام الأسرة من دون ضمانات دستورية، و من دون حفظ الخصوصية المذهبية، و من دون موافقة المرجعية العليا الشيعية \_ دام عزها \_ على هذا التقنين، من هنا نستطيع أن نفهم حقيقة هذه الوقفة الصارمة المطالبة بعدم خروج هذا التقنين عن إطاره الإسلامي الذي يحدد الفقهاء لا غير، هذا النداء الأشم، ليس نداء منبثقا من حماس ارتجالي لا أساس عقلي ديني وراءه، و ليس هو نداء يريد أن يرى فيه العلماء أنفسهم و مكانتهم في النفوس فينتشون بذلك فرحا و سرورا كما يتهمهم بذلك بعض من أعمته غشاوات الحسد و الحماقة، و ما تحشيد الشارع و تحبيشه من قبل العلماء العاملين إلا إدراكا منهم لهذه الحقائق، و ما إطلاق هذه الشعارات و الصرخات المدوية إلا ترددات لأصداء نداءات أبي عبد الله الحسين عليه السلام يوم عاشوراء لصالح دين الله تعالى و شرعه، و دعوة صارخة تؤكد التزامنا بديننا، و أننا نرى الحياة و لوازمه رخيصة في سبيل نصرة الدين و قيامه

كما رأها أبو عبد الله<sup>عليه السلام</sup> كذلك، و لعمري إن روح الحسين<sup>عليه السلام</sup> و أرواح أهل بيته<sup>عليهم السلام</sup> و صوت استغاثات نسائه ل غالية علينا و إن استرخصها هو أبي و أمي في سبيل إحياء الدين، لأننا نرى أن الحسين<sup>عليه السلام</sup> هو الإسلام، و لكن أني لمن غفل عن هذه الحقائق، و ذهل عن اكتشاف سر أبي عبد الله<sup>عليه السلام</sup> أن يفهم هذه المعاني البibleة و المبادئ الشريفة، فدعهم يقولون و ينعقون، و دعهم يدعون و يتهمون كذبا و زورا، فولاؤنا لعلمائنا و فقهائنا و أئمتنا و نبينا و ديننا و ربنا، و ليتمت الحاقد غيظا و حنقا.

لَا يَوْمَ كَبُوْلَكَ

بِأَبْرَأْ بَعْدَ اللَّهِ

## رِبَّ الْأَبَاطِيلِ مَنْ نَهَضَةُ الْإِمَامِ الْأَسِينِ

محمد حسن الكرانى

واجهت حركة الإمام الحسين<sup>عليه السلام</sup> ونهضته والتي كانت ولا تزال ضد قوى الكفر والنفاق التشكيك منذ اليوم الأول واتهم<sup>عليه السلام</sup> بأنه يريد الملك فرد<sup>عليه السلام</sup> بقوله: (إنني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي<sup>عليه السلام</sup>.....) وانتهت تلك الأباطيل مع انتهاء دولة بنى أمية، ولكن بقيت الروح الأموية تعود بين فينة وأخرى، فكان من جهد في إحيائها ابن تيمية الحراني وتبعه في زماننا الراهن شرذمة أخرى ضاربين بذلك روایات رسول الله<sup>صلوات الله عليه وآله</sup> ومنهج أهل البيت وأهل السنة عرض الماء نصرة للروح الأموية.....

وجاء المدعو عثمان بن خميس الذي كان يظهر في الأيام الأخيرة على شاشة قناة المستقلة وفي الواقع الإلكترونية ويدعى أنه أعرف بمصلحة الإسلام من الإمام الحسين<sup>عليه السلام</sup> وهذا نص كلامه الذي يريد قوله: (لم يكن في خروج الحسين رضي الله عنه مصلحة ولذلك نهاد كثير من الصحابة وحاولوا منعه ولكنه لم يرجع، وبهذا الخروج نال أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلدته..... الخ)  
أولاً : هذا هو عين كلام ابن تيمية<sup>(١)</sup> ولكن بتعديل في تقرير الجمل.

وهو قول فاسد واضح بطلانه حتى لو بقي الإمام الحسين<sup>عليه السلام</sup> في مكة لقتل فيها وهذا ثابت في الرواية التي نقلها ابن خميس عن سفيان وقال عنها بنفسه: (بسند صحيح)، تقول الرواية: يقول الحسين لابن عباس: (لأن أقتل في مكان كذا وكذا

أحب إلَيْ من أُقتل في مكة)

هذا يثبت أنه كان يعلم بأنه سيقتل في مكة لو بقي فيها، وأيده ابن عباس على الخروج وفي نفس رواية سفيان الصحيدة قال ابن عباس: (فكان هذا الذي سلى نفسي به) فلو كان في خروجه مفسدة لما قال ابن عباس مقالته هذه.

وهذا يثبت بأن قول ابن تيمية وابن حميس كذب وسواء خرج الحسين<sup>عليه السلام</sup> أو قعد في بلده فهو مقتول فالخروج كان لا بد منه لكي لا تستحل بدمه حرمة مكة.

فلو كان في خروج الحسين<sup>عليه السلام</sup> مفسدة كما زعم هو وشيخه ابن تيمية لنهاه النبي<sup>صلوات الله عليه</sup> عن الخروج وأوصى إلى أبيه علي<sup>عليه السلام</sup> بذلك فلماذا لم يفعل النبي<sup>صلوات الله عليه</sup> ذلك؟

ثم كيف يики النبي<sup>صلوات الله عليه</sup> على الحسين<sup>عليه السلام</sup> وهو يعلم بأن خروجه<sup>عليه السلام</sup> فيه مفسدة؟ قال الميتمي : (وعن نجاشي الحضرمي أنه سار مع علي رضي الله عنه وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى علي: اصبر أبا عبد الله اصبر أبا عبد الله بشط الفرات. قلت: وما ذاك. قال: دخلت على النبي<sup>صلوات الله عليه</sup> ذات يوم وإذا عيناه تذردان قلت: يا نبي الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل<sup>عليه السلام</sup> قيل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات.....) قال ابن كثير وقال أبو القاسم حدثنا محمد بن هارون أبو بكر..... عن أنس... بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد منكم ذلك فلينصره)

فلو كان خروج الحسين<sup>عليه السلام</sup> فيه مفسدة كما زعم ابن تيمية وأنصاره لما أمر النبي<sup>صلوات الله عليه</sup> بنصرته<sup>(٢)</sup>.

أما نهي الصحابة له<sup>عليه السلام</sup> عن الذهاب إلى العراق إنما كان لخوفهم على الحسين<sup>عليه السلام</sup>

وشفقتهم عليه من القتل لما تردد إلى مسامعهم أخبار النبي ﷺ بقتله في كربلاء وليس في مخالفتهم لأصل الخروج على يزيد الفاسق، فقد قال ابن كثير : وقد ورد في الحديث بقتل الحسين فقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثني عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: (لقد دخل على البيت ملك لم يدخل قبلها، فقال لي : إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها، قال : فأخرج تربة حمراء).

ونزول الملك إنما يدل على خطورة وعظم الحدث وأنه مهم بالنسبة إلى الرسول الأعظم ﷺ لو أن هذا الأمر ليس فيه صلاح للأمة لنهى الرسول الإمام ﷺ عن الخروج والذهاب إلى كربلاء وأيضاً علم الرسول بخروج الإمام الحسين وسكته ﷺ من دون لومه يدل على رضاه ﷺ.

زعم ابن خميس أنه أعرف بمصلحة الإسلام من الحسين ﷺ، قال: (لم يكن في خروج الحسين مصلحة لا في دين ولا دنيا ولذلك نهاد كثير من الصحابة وحاولوا منعه وهو قد هم بالرجوع لولا أولاد مسلم....)، ولنترك ابن العماد الحنفي ليرد على هذا القول الباطل...

يقول الحنفي<sup>(٣)</sup> : والعلماء مجتمعون على تصويب قتال علي لمخالفته لأنه الإمام الحق ونقل الاتفاق أيضاً على تحسين خروج الحسين.

فتتحسين خروجه مورد اتفاق العلماء والقول بعدم وجود مصلحة هو وقاحة وجرأة من ابن تيمية وأعوانه على مقام الإمام الحسين ﷺ ويبليغ من جرأته أنه يخطئ الحسين المطهر بنص القرآن، وسيد شباب أهل الجنة بنص جده المصطفى ﷺ كما رواه جمع من علماء أهل السنة بأسانيد صحيحة.

وقوله - المزور - أن خروج الحسين ﷺ مفسدة هذا نص عبارته وكلامه: (وكان في

خروجه من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده ولكنه أمر الله تبارك وتعالى وما قدر الله كان ولو لم يشأ الناس).

الغريب منه أنه يقول بأنه أمر الله وثم يلوم الإمام الحسين عليه الخروج فإن كان جبر فلا ملامة على الإمام الحسين وإن كان خيرا فهو كذلك فإنه أمر الله وقد أطاعه الحسين فماذا يقصد ابن تيمية وأزلامه؟ أم أنهم يهجرون؟ وقد رد سبط رسول الله عليه السلام على هذه الترهات قبل أن يتفوّه بها مبغضوه فقد نقل ابن كثير<sup>(٤)</sup> في تاريخه: (وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص نائب الحرمين إني أسألك الله أن يلهمك رشك وأن يصرفك عما يريشك بلغني أنك قد عزمت على الشخص إلى العراق وإنني أعيذك الله من الشقاق فإنك إن كنت خائفا فأقبل إلى فلك عندي الأمان والبر والصلة)

فكتب إليه الإمام الحسين عليه السلام: (إن كنت أردت بكتابك بري وصلتي فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة وإنه لم يشاقق من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إني من المسلمين)، إذا الإمام الحسين عليه السلام يقول: (لم يشاقق من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إني من المسلمين)

هذا رد الإمام الحسين عليه السلام إلى كل من يشكك في أصل خروجه فهل يقبل عثمان بن حميس به؟ لا أظن.

انظر إلى نقل الذهبي في تاريخ الإسلام<sup>(٥)</sup> قول الإمام الحسين عليه السلام: (ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله وإنني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برمها) وهذه هي الحقيقة التي تتناسب مع شخصية سبط النبي عليه السلام.

ما هي جريمة ابن رسول الله ﷺ؟

إن جريمة الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، أنه رفض بيعة يزيد لأنه سلطان غاصب جائر، وقد جعل رسول الله أفضل الجهاد أن تعلن كلمة الحق أمامه وأمام أمثاله.

ثم نسأل المنصفين:

هل الفساد هو أن تجهر بصوتك لإحقاق الحق والدين والوقوف في وجه الظلمة أم أن الفساد هو مداهنة الظلمة ومرادي الخنوع والخضوع ليزيد وأمثاله، فصوروا بذلك أن الإسلام هو دين الضعف والذل أمام الجبارية لا دين العزة، فهل كان موقف ابن رسول الله عليه السلام عند ابن تيمية وأعوانه الذين يظهرون بين فينة وأخرى أمام الرأي العام ليعرّبوا أسوأ من موقف أولئك الذين مدوا ليزيد ليفعل ما يشاء؟

ولهذا لم نسمع نقدا صريحاً لأنصار يزيد طوال القرون الماضية إلى الآن لا، ولكنه النصب والعداوة الذي يدفع البعض ليتجرأ على مقام أهل البيت عليهم السلام ويدين الذين رکعوا أمام يزيد وأمثاله في هذا العصر، ماذا تقول أيها القارئ العزيز في من يتفوّه بهذه الكلمات وأمثالها (أن سيدنا يزيد رضي الله عنه قتل سيدنا الحسين رضي الله عنه)؟ وهذا ما كانوا يرددونه، فأي عقل يقبل بأن يساوي بين الظالم والمظلوم، بين الحق والباطل، بين القاتل والمقتول، فتأمل تناقضات عجيبة وغريبة. يقول الحافظ ابن كثير ما هذا نصه: (فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتل الحسين رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله عليه السلام التي هي أفضل بناته، وقد كان عابداً وسخياً) ولكن هنا بدأ ينافق نفسه لا يحسن ما يفعله الناس من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنّع

ورياء،.....

الرد : أولاً : تقول ينبغي لكل مسلم أن يحزنه قتل الحسين..

ثانياً : تقول لا يحسن إظهار الحزن...

أليس هذا عين التناقض ماذا ت يريد أن تقول إلى المسلم ؟ هل يحزن أو لا يحزن ؟ أم أنك فقدت الصواب وأخذت تهذى؟

ثالثاً : هل عندك علم الغيب أو الله أطلعك على أسرار وخفايا ما في قلوب الناس حتى تقول أكثر الناس يظهرون الحزن على الحسين<sup>عليه السلام</sup> تصنعا ورياء.

رابعاً : يذكر ابن منظور في ختصر تاريخ دمشق عن أم سلمة: (كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبي ﷺ في بيتي، فنزل جبرئيل فقال : يا محمد إن أمتك قتلت ابنك هذا من بعده وأوْمأ بيده إلى الحسين فبكى رسول الله ﷺ وضمه إلى صدره...)<sup>(١)</sup>

وهذا دليل واضح وجلي على مشروعية إظهار الحزن على مقتل الإمام الحسين فالرسول الأعظم أظهر الحزن والبكاء قبل موته بما بالك بعد الموت ألا يكون ذلك ؟ ولكن المشتكى إلى الله رب العالمين.

## المواهش

(١) منهاج السنة (٤/٥٣٠).

(٢) البداية والنهاية (٨/٢١٦).

(٣) شذرات الذهب ج ١ ص ٦٨

(٤) ج ٨ ص ١٧٦

(٥) الجزء المتعلق بأحداث سنة (٦١-٨٠) من الهجرة ص ١٢

(٦) مختصر تاريخ دمشق (٧-٣٤).

## فِي مُنْكَرِ الشَّهَادَةِ

علي أحمد الكريبابادي

\* الشهادة من المفاهيم المهمة في الإسلام، والشهيد في الإسلام هو ذلك الشخص العظيم، ذو المقام العالي، هو صاحب مقام الطهارة من الدنيا ومتعلقاتها.

\* أنفاس الشهيد دروس، ودروس صادقة، تدخل القلوب وتغير محتوياتها. ولذلك كانت الجبهة من أفضل الواقع لترزية النفس وتهذيبها، حيث الانقطاع، وقطع الأمل من سوى الله.

\* وصايا الشهداء هي نبع صاف يمكن الركون لها، وكم من بهارج يمكن أن تدعى أنها سلوك إلى الله، وهي انحدار وترام في أحضان إبليس.

\* يقول الإمام الخميني: عندما أقرأ وصية مربية لشهيد فإنيأشعر بالمحارة والضعة.

ويقول: إن هذه الوصايا تهز الإنسان وتوقفه.

\* أما الشهيد چمران فله مناجاة يعتذر فيها لجوارحه.. لعينه عن إتعابها من القراءة، ولوجهته من كثرة السجود، ولرجله من إطالة الوقوف بين يدي الله..

\* قيمة الإنسان عظيمة عند الله، ولهذا كان قتل النفس قتل الناس جميعا، وبناء على هذا كان الشهيد هو من قتل على وعي وبصيرة من أمره واتباع لقيادة إلهية عالمية. فلا يصح أن يسترخص الإنسان قيمة نفسه لمصلحة سياسية مؤقتة ارتأى التحسيد لها متعلمن أو صاحب فكر غربي.

\* أبيات كتبتها حول شهداء البحرين في الجبهة ضد الطاغية صدام. ولنا في

شهدائنا خير عبرة ودرس.

ما زال دم لهم في القلب يضطرم  
فوق البرايا تساموا إنهم قمم  
خفت، وطارت: وداعاً أيها الأمم  
يهتز عرش الدُّنـا.. سبح أيـا قلم  
ونعم درسـالـه صدق، وفيـه دـمـ  
هم في الورى أـنـجـمـ، هـمـ في الـوـغـىـ شـيـمـ  
أـدـمـتـ قـلـوبـاـ وـحـلـتـ عـنـدـهـاـ نـعـمـ  
أـعـيـ الفـرـاقـ لـهـاـ بـنـصـاـ، وجـفـ دـمـ  
ترـنـوـ.. عـسـاـكـمـ تـظـلـوـأـيـهـاـ النـجـمـ  
وـبـنـضـهـاـ فـيـ سـوـاهـمـ لـيـسـ يـحـتـدـمـ  
كـفـواـ أـذـىـ عـنـ قـلـوبـ مـضـهـاـ أـلـمـ  
سـقـاؤـهـ اللـدـ، وـالـأـشـلـاءـ يـقـتـسـمـ  
دـأـبـ، وـقـلـ: سـادـ مـنـ فـدـىـ، فـمـاـ ظـلـمـواـ  
أـلـقـيـتـ بـالـرـوحـ، لـاـ حـزـنـ، وـلـاـ نـدـمـ  
لـلـمـتـقـينـ بـهـاـ، فـيـ التـرـبـ تـرـتـسـمـ  
وـأـكـأسـ مـنـ رـحـيقـ الجـدـ تـغـتنـمـ  
أـسـاءـ قـوـمـ لـهـمـ فـيـ مـاـهـمـ قـدـمـ  
قلـ باـسـهـمـ: أـبـتـدـيـ - غـضـيـ - وـأـخـتـمـ  
فـخـرـ الـبـرـيـةـ أـنـ تـفـنـىـ لـحـبـكـمـ  
وـجـهـ الـبـسيـطـةـ، يـاـ جـوـدـ، وـيـاـ كـرـمـ  
وـلـيـسـ غـيرـكـمـ رـكـنـ وـمـعـتـصـمـ  
أـنـتـمـ نـجـةـ الـوـرـىـ، أـنـتـمـ لـهـمـ حـرـمـ

حلـ الـوـفـاءـ فـمـالـوـاخـوـ مـضـجـعـهـمـ  
بـيـضـ النـفـوسـ لـهـمـ إـشـرـاقـةـ سـطـعـتـ  
إـنـ الشـهـيدـ لـهـ رـوـحـ إـذـاـ كـمـلـتـ  
مـاـذـاـ أـقـولـ وـهـمـ شـوـسـ إـذـاـ نـظـرـتـ  
لـهـمـ دـرـوـسـ إـلـىـ الـأـخـرـىـ مـآـثـرـهـاـ  
مـاـشـابـ نـيـاتـهـمـ حـرـصـ وـلـاطـمـعـ  
لـهـ يـاـ أـنـجـمـ رـاحـتـ مـوـدـعـةـ  
عـوـدـاـ، وـعـوـدـاـ قـلـوبـ الـأـمـهـاـتـ فـقـدـ  
رـاحـتـ تـنـاغـيـ سـاءـ أـحـلـكـتـ حـزـنـاـ  
مـاـحـالـ أـمـ إـذـاـ غـابـتـ أـحـبـهـاـ  
بـالـلـهـ رـفـقـاـ يـاـ أـنـوارـ جـبـهـتـاـ  
كـفـواـ عـنـاقـاـ لـتـرـبـ قـدـ غـداـ أـسـفـاـ  
قـالـوـاـ: تـرـىـتـ، فـمـالـوـمـ الشـهـيدـ لـنـاـ  
لـوـكـنـتـ يـاـ صـاحـ تـدـرـيـ مـاـ تـرـابـهـمـ  
تـلـكـ الـجـنـانـ الـتـيـ وـعـدـ الـكـتـابـ أـتـىـ  
حـوـرـ، وـنـورـ، وـوـلـدـانـ مـخـلـدـةـ  
لـيـنـظـرـوـاـ فـوـقـ بـاـبـ الـخـلـدـ قـدـ نـقـشـتـ  
طـهـ، وـحـيـدـرـ، وـالـطـهـرـ فـاطـمـةـ  
تـلـكـ النـفـوسـ قـرـابـيـنـ إـنـ عـظـمـتـ  
يـاـ سـادـةـ الـكـوـنـ يـاـ لـطـفـ الـكـرـيمـ عـلـىـ  
تـالـلـهـ زـاغـ الـأـلـىـ عـنـ حـبـكـمـ رـغـبـوـاـ  
أـنـتـمـ صـرـاطـ الـمـهـدـىـ، وـالـلـهـ عـاصـمـكـمـ

مسك الختام، و(ما من دونكم) عدم  
قد مضها الحزن، أبكي دهرها سقم  
أنا الإمام الذي الله ينتقم  
سيف الحسين.. أقم فالكفر قد هدموا  
علّوا رؤوساً، أبيحـت منكم الحرمـة  
أو سترها تحرق الأستار والخيمـة  
قيامة تطرب الدنيا.. فتبتسـمـة  
آيات فجرـكـ والـرايـاتـ تـزـدـحـمـة  
يا كـعـبةـ الـخـلـقـ، يا نـبرـاسـ، يا عـلـمـةـ  
كهـفـ الـورـىـ، تنـجـلـيـ بالـصـارـمـ الـظـلـمـ  
بـاقـ، فـقـمـ وـاقـضـهـ بـالـحـقـ يـنـصرـمـ

فيـكمـ بـداـيـةـ قـوـلـ اللهـ: كـنـ، وـبـكـمـ  
هـذـيـ الـبـرـيـةـ مـنـ شـوـقـ لـمـطـلـعـكـمـ  
تـهـفـوـ لـيـوـمـ يـنـادـيـ فـيـهـ قـائـمـكـمـ:  
يـاـ اـبـنـ الـبـتـولـةـ، يـاـ ثـأـرـ إـلـهـ، وـيـاـ  
دـاـسـوـاـ عـلـىـ الصـدـرـ، أـدـمـوـ صـدـرـ فـاطـمـةـ  
حـتـىـ النـسـاءـ إـذـاـ لـاذـتـ لـخـيـمـتـهـاـ  
يـاـ اـبـنـ النـبـيـ أـمـاـ آـنـتـ لـدـوـلـتـكـمـ  
يـاـ اـبـنـ الـحـسـينـ أـمـاـ تـبـدـوـ لـنـاظـرـنـاـ  
تـطـوـفـ بـالـبـيـتـ وـالـعـشـاقـ حـائـمـةـ  
يـاـ اـبـنـ الزـكـيـ أـلـاـ عـجـلـ ظـهـورـكـ يـاـ  
هـذـاـ نـدـائـيـ عـجـلـ يـاـ اـبـنـ فـاطـمـةـ

## إِنَّ لِقَاتَلِ الْأَسْبَابِ حَرَارَةٌ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ نِيرٌ مِّنْ أَبْصَارِ

الرسول الأكرم ﷺ

مطابع علیاً

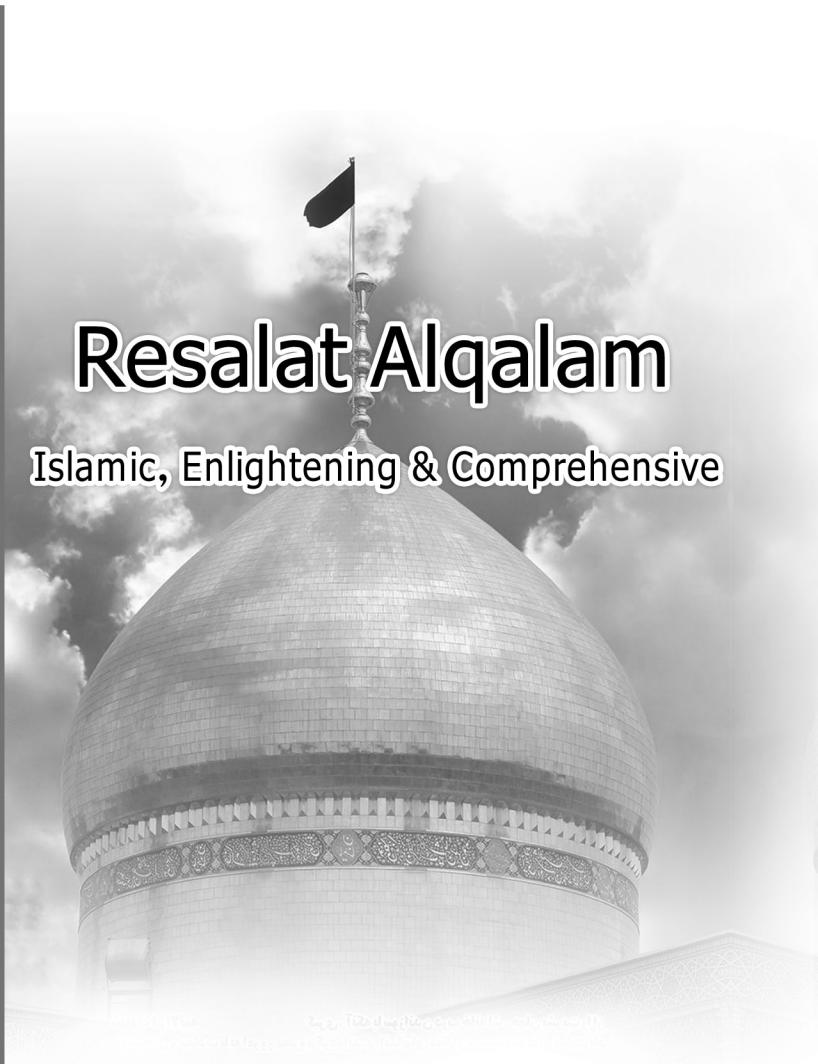
علي عبد الحسين البُنَى

فرمی الدلاص إلى المنية أقبلًا  
وإلى حصنون أميةٍ قد زلزا  
للحب مقداراً سوى أن يقتلا  
لما فدى سبط الرسول بكر بلا  
أو هل كفاه الدرع كلام ثم لا  
من صدرها فضلاً له قد كملًا  
في عشقه شهدت محانی کربلا  
من كفه للأرض ذب المنها  
قد ضرّها حرّ المجير المهوّلا  
فالأنس صار له بآن يتربّلا  
بل كفه اليسرى فما برح البلا  
ـهمـ المثلث فاغتدى متسملاً  
فلقد رقى نحو الخلود مغسلاً  
ـقمرـ العشيرة بالتراب مسرّلاً  
ـإلىـ الكفوف السبط صار مقبلًا  
ـهذاـ العدو لقتلكم قد هلا  
ـضاعتـ و كنت بمحظها متكفلاً

حب الحسين أجن عابس في الورى  
ومضى إلى ساح الوغى متيسما  
في قلبه سكن الحسين فما رأى  
إن كان عابس قد رمى درعا له  
ماذا رمى العباس حبا للهوى  
هذا ابن أم قد سقطه بجدها  
عشق الحسين وكان طفلا يا فعا  
بالسبط لما أن تعلق قلبه  
عاف الشراب وحارب النفس التي  
عاف الحياة وما بها من لذة  
فلحفظ (عرش الله) مديينيه  
له لما أن هوى في عينه السـ  
ولأن هوى فوق التراب مضرجا  
يا ساعد الله الحسين وقد رأى  
فأتى إليه والدموع ترقرقت  
أأخي ما بين اللئام تركتني  
أأخي هذى زينب من بعدكم



- General Supervisor & Executive Manager:  
Abdulla Ali Al daqaq
- Editor in Chief:  
Ali Ahmad Alkarbabadi
- Managing Editor:  
Ali Ahmad Aljofairi
- Publishing Committee:  
Fadhel Abdujaleel Al Zaki  
Jaffer Abdulmahdi Shehab  
Saeed Hassan Al Madeh



# Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

A Periodical Magazine Issued by the  
Bahraini Students  
of the Educational Hawza the  
Holy City of Qom